مختارات اسرائيلية



السنة الثانية عشرة - العدد ١٤٤ ديسمبر ٢٠٠٦
December. 2006



ترجمات عبرية

- نص خطاب أولمرت على قبر "بن جوريون"
- تداعيات الحرب مع لبنان: تزايد قوة حزب الله
- لماذا تتزايد أعداد النازحين من إسرائيل..؟
- نص الحوار مع يجآل كارمون مؤسس منظمة "ميمري"
- تراجع ثقة الإسرائيليين في الجيش ومؤسسات الدولة

رؤية عربية

- حنة وميخائيل.. صورة للصراع داخل المجتمع الإسرائيلي

مختارات اسرائيلية

مجلة شهرية تصدر عن مركز الدراسات السياسية والاستراتيجية بالأهرام
العدد ١٤٤ ـ ديسمبر ٢٠٠٦

مؤسسة الأهرام ـ شارع الجلاء ـ القاهرة ـ جمهورية مصر العربية
ت: ٥٧٨٦٣٠٠/ ٥٧٨٦١٠٠/ ٥٧٨٦٢٠٠ فاكس: ـ ٥٧٨٦٠٢٣

المحتويات

مقدمة

مبادرات لحسابات داخلية

في خطابه على قبر "بن جوريون"، أعلن رئيس الوزراء الإسرائيلي "إيهود أولمرت" استعداده لبدء مفاوضات تقود إلى دولة فلسطينية مستقلة متواصلة الأجزاء تعيش في أمن وسلام إلى جوار دولة إسرائيل. وقد أدت هذه التصريحات إلى إطلاق موجة من التكهنات بقرب إطلاق مفاوضات سلام بين إسرائيل والفلسطينيين، وجنى أولمرت من وراء هذا التصريح إشادات دولية وإقليمية بل وأيضاً من رئاسة السلطة، كان في أشد الحاجة إليها، لأنها سرعان ما انعكست على شعبيته في الداخل، فبدأت تعرف التحسن لأول مرة منذ انتهاء الحرب مع حزب الله.. ولم تشعر القوى السياسية اليمينية بأي مشكلة مع تصريحات أولمرت، لأنها، حسب زعيم حزب "إسرائيل بيتنا"، وزير التهديدات الاستراتيجية، أفيجدور ليبرمان، مجرد تصريحات لم تنتقل إلى الواقع، أي لن تتحول إلى سياسة عملية.

ونظرا لما أثارته هذه التصريحات من تقدير خارجي، فقد بدأت الأنظار تتجه مجدداً إلى الساحة الفلسطينية في انتظار حل حكومة حماس وتشكيل حكومة وحدة وطنية تلقى القبول الدولي والإقليمي وتفك الحصار وتنهي المقاطعة وتمثل شريك السلام "المفقود" على الجانب الفلسطيني. وبدا الأمر وكأنه متوقف برمته على تشكيل الحكومة الجديدة. وقد تلقفت حركة حماس هذه الفكرة وأخذت تروج لخطاب جديد يقبل بدولة فلسطينية مستقلة على الأراضي التي احتلت في عدوان يونيو ١٩٦٧، وبموجب هذه التصريحات تراجعت المقاطعة وقيودها وبدأ رئيس الوزراء الفلسطيني "إسماعيل هنية" أول جولة خارجية له بزيارة القاهرة.

وسرعان ما بدا واضحاً أن كافة الجهود الرامية إلى تشكيل الحكومة بعيدة المنال، بسبب تباعد برنامجي فتح وحماس، هذا فضلاً عن فشل كافة جهود الوساطة العربية التي كانت ترمي إلى تقريب المواقف وإقناع الحركتين الأكبر بضرورة تشكيل حكومة مشتركة أو حكومة من الفنيين - التكنوقراط - وذلك من أجل التعامل مع التحديات القائمة.

في نفس الوقت، رفضت حركة حماس كافة الدعوات الرامية لإجراء انتخابات تشريعية مبكرة من أجل طرح كافة البرامج على الشعب الفلسطيني وترك الشعب يختار ما يريد من برامج.. فيكون أمامه برنامج حماس الداعي إلى مواصلة المقاومة لتحرير فلسطين من البحر إلى النهر والرافض للتجاوب مع الشرعية الدولية، وأيضاً برنامج حركة فتح الذي يقبل بحل الدولتين، ويقبل بدولة فلسطينية مستقلة وفق الحدود التي كانت قائمة قبل عدوان الخامس من يونيو ١٩٦٧، دولة مستقلة وعاصمتها القدس الشرقية مع حلول عادلة لقضية اللاجئين.. وحسب اختيار الشعب الفلسطيني، سوف تتشكل الحكومة الجديدة، وتواصل العمل لتنفيذ برنامجها الذي تبناه الشعب الفلسطيني أو غالبيته.

وهكذا، بدت الصورة واضحة، تصريحات من قِبل رئيس الوزراء الإسرائيلي ظلت مجرد تصريحات، وأخرى من حكومة حماس بقت كذلك، واستمر الجمود سيد الموقف.. فأولمرت وهنية أطلقا تصريحات "سلام" وأشاعا التفاؤل لحسابات خاصة بكل منهما، ولم يكن للسلام الحقيقي مكان في قلب كل منهما أو عقله.

د. عماد جاد

◆ دراسات ◆

١

كتاب الثورة اليائسة
الباب الثانى (المدنية الجديدة)
الفصل الثالث: الجدل بشأن التعليم

بقلم: جادى تاوب - ترجمة وإعداد: د. أشرف الشرقاوي

من الصعوبة بمكان أن نتحدث عن وجود حرب من جانب الحركة النسائية ضد السيطرة الرجالية فيما يتعلق بالتعليم، نظراً لأن هذه الحركة والعناصر المقربة منها تعد هى العنصر المسيطر على مجال التعليم بمفهوم معين. وعندما شن وزير التعليم الأسبق أمنون روبنشتاين هجوماً على شروط الالتحاق بالجامعات (فى مقال تحت عنوان "القاطرة التى تقود الاقتصاد" نشر فى صحيفة هاآرتس بتاريخ ١٩٩٦/٦/١١) وأرجع إلى هذه الشروط وإلى "معايير الجودة الزائفة التى تمثلها" التسبب فى وجود فوارق اجتماعية بين الطبقات، كان يفعل بذلك نفس ما فعلته الحركة النسائية على امتداد وجودها. فقد هاجم المعايير واتهمها بالمسئولية عن خلق الواقع الذى كشفت هذه المعايير عن وجوده. وقال إن اختبارات القبول بالجامعات هى المسئولة عن نشأة عدم المساواة. وكما حدث بالنسبة لمهاجمة الحركة النسائية للمعايير المشتركة بين النساء والرجال، فقد اتهم الوزير معايير الجودة بأنها مزيفة، بمعنى أنها تمثل مصالح محدودة. وعلى حد قوله فلم تكن هذه المعايير عبارة عن اشتراطات تخصصية من جانب المؤسسات الأكاديمية، وإنما كانت محاولة لمنع الفقراء من الوصول إلى قلاع الصفوة التى يدافع عنها كل "من يؤيد الوضع الذى كان سائداً قبل ذلك"، وكل من كانوا يسعون إلى الاحتفاظ بحقوقهم المبالغ فيها. لقد تم وصم الشكاوى المتكررة من جانب الأكاديميين من انخفاض مستوى الطلاب الذين يلتحقون بالمؤسسات الأكاديمية بأنها مزيفة، وبالتالى فقد انتقلت المسئولية من ملعب وزارة التعليم إلى ملعب المؤسسات الأكاديمية. فما هو الشيء المزيف فى معايير الجودة..؟ وما هى معايير الجودة غير المزيفة..؟ وما هى قيمة الثقافة الجامعية إذا كانت لا تفى بمعايير الجودة فى تأهيل الطلاب..؟ لم يخبرنا الوزير السابق بأى شيء عن هذا.

ليس فى هذا الكلام ما يجعلنا نعتقد أن المؤسسة التعليمية مشغولة بإعادة بناء القوالب الفكرية، أو بنظريات المؤامرة أو بتكريس الشعور بالظلم. لم يكن الأمر هنا متعلقاً بإدانة سيطرة فئة معينة على مجريات الأمور. ولكن ما كان يشغل بال وزارة التعليم فيما يتعلق بمعايير الجودة جاء لأسباب مماثلة.

رغم أن من الممكن الرجوع بهذه الأفكار لنجد أساسها فى أعمال روسو، فإن الدفعة الأساسية لهذه الأفكار قد جاءت من فلسفة جون ديوى التعليمية، ولاسيما من التفسير الذى أعطته لهذه الفلسفة الحركة التعليمية التى تلتها (رغم التحفظ الشديد الذى أبداه ديوى نفسه على هذا التفسير). لقد اقترح ديوى أن يكون التلميذ نفسه وليس المادة العلمية هو الأساس، وفتح بذلك الباب أمام الفكر التربوى الذى يرى أن مهمته الأساسية هى ألا يعرقل النمو الطبيعى للطفل. وبالتالى فقد كان أنصار هذا التيار الذى أصبح منتشراً الآن ينظرون إلى المؤسسة التعليمية على أنها مؤسسة لا تطلب شيئاً من الدارسين بها، ولا تكلفهم بواجبات ولا بمهام، وإنما على أنها مؤسسة تسعى للفوز برضاهم وتوفير الجو الملائم لهم بعيداً عن الإكراه على العمل وبعيداً عن الامتحانات، ومهمتها هى منع تلوث براءتهم الطبيعية. وتستمد سياسة خفض الميزانيات المخصصة لامتحانات إنهاء الدراسة الثانوية، والمزاعم التى قيلت لتبرير هذه السياسة، أسسها من هذا الفكر. وأصبح من البديهى النظر إلى كل ما يتسم بالصرامة على أنه عقبة فى طريق النمو

الطبيعي، أو عقبة فى طريق تلك التلقائية العاطفية المرتبطة بتعبير الفرد عن نفسه، والتى تسعى وزارة التعليم إلى منع عرقلتها. وكان من الأعراض المصاحبة لهذه النظرية إصدار تعليمات لكل مدرس فى المؤسسات التعليمية فى اليوم التالى لاغتيال يتسحاق رابين بتخصيص ساعة كاملة فى بداية اليوم الدراسى لتمكين الطلبة من التعبير عن مشاعرهم. غير أن الطلبة الذين كانوا يشعرون بحيرة تفوق حيرة الكبار كان يهمهم قبل أن يعبروا عن مشاعرهم أن يسمعوا - من الجهة التى يفترض أن تكون المسئولة وذات السلطة، أو من ذوى الخبرة - تفسيراً يعيد الأمور إلى نصابها، ويضع الحادث فى حجمه الحقيقي. وبدلاً من ذلك عرضت عليهم وزارة التعليم التعبير عن مشاعرهم والاستماع لفيض من مشاعر زملائهم. وتتماشى هذه السياسة حسبما سأحاول أن أوضح مع الفلسفة الشائعة بين رجال التعليم الآن.

هناك مجموعة كبيرة من المواقف الرومانسية - التى تتناول البراءة الطبيعية المذكورة التى زعموا وجودها لدى الأطفال فى مقابل الفساد الذى تنطوى عليه الحضارة- تقف وراء النظرية التعليمية الجديدة، التى تكرس الإبداع والتعبير عن النفس. ولذلك فإن هذه النظرية نفسها تتعارض مع أهدافها. لأن الآلية الاجتماعية التى من المفترض أن تساعد الإنسان على الانتقال من الطفولة إلى النضوج قائمة على فكرة أن هذا الانتقال نفسه هو انتقال من عالم الخير إلى عالم الشر (حتى لو كان شراً لابد منه)، أو انتقال من عالم المشاعر البريئة الأولى الطبيعية إلى عالم باهت وآلى قائم على الحسابات. ومن المفترض فى المعلم الذى يقف أمام الفصل أن يمثل موقفاً يشكك فى وقوفه مكانه. وهذا التناقض فيما يبدو لى هو على الأقل أحد أسباب الشعور الشديد بالارتباك والتردد لدى الشباب، الذى يميل البعض إلى وصفه بأنه "انعدام للمبادئ".

ومع هذا، وحيث أن المواطن فى المستقبل من المفترض أن يمر بتطورات تضعه فى مصاف كبار السن، فإن المؤسسة التعليمية تسعى إلى تزويده بما يبدو لها أنه وسيلة للنجاة، متمثلاً فى ضمان قدرته على المنافسة فى سوق العمل المعاصر. والمؤسسة التعليمية مسئولة عن هذا أمام المجتمع كله كما صرح بذلك كثيراً وزير التعليم. وحسبما صرح روبنشتاين نفسه فى المقال المشار إليه أنفاً فإن التعليم هو القاطرة التى تجذب الاقتصاد وراءها. ومعنى ذلك أن المدارس لابد أن توفر للمجتمع احتياجاته المستقبلية من القوة البشرية، من العمالة المدربة المناسبة لاحتياجات اقتصاد المستقبل. ويتناول العديد من المقالات المنشورة عن التعليم تنمية المهارات والقدرات التحليلية والوعى التكنولوجي، وتحليل احتياجات السوق ومعدل تغير التكنولوجيا، كما تتناول ميكنة المدارس وبنية الفصل المستقبلي.

ويبدو لى أن هذه هى الوسيلة الملائمة التى تجعلنا نفهم الخطاب الجديد لرجال التعليم، الذين يعرضون علينا تنمية المهارات من ناحية والقدرة على الإبداع من ناحية أخرى. وتعبر المدارس الجديدة للطبيعة والفنون عما نعتبره اليوم مهمة المؤسسة التعليمية. فمن المفترض فى هذه المؤسسة من ناحية أن تكسب الطلبة قدرات- مثل الإلمام باللغات والتخصصات العلمية والرياضيات والحاسوب- ومن المفترض فيها من جهة أخرى ألا تقلل من قدرتهم على التعبير عن نفسهم باستقلالية. والدراسات الإنسانية هى الوحيدة التى ليس لها علاقة بالقدرات ولا بتنمية المهارات الإبداعية. ولذلك فإن هذه الدراسات لا تلقى الاهتمام الكافي. حيث يتم الحد منها بدعوى محاربة أسلوب حفظ المقررات الدراسية، إذ أن الحفظ كما هو معلوم يتنافى مع الناحية الإبداعية. وبالتالى فقد أصبحت المؤسسة التعليمية بالكامل معدة لسماع آراء الطالب وليس لتلقينه الآراء السائدة، أو كما يحبون أن يصيغوا ذلك فإنها معدة للتعلم من الطالب وليس لتعليمه. وبذلك فإنها تكاد تعلن بصراحة أنها ليس لديها ما تقدمه للطالب، وبهذه الطريقة تحول العملية التعليمية بالكامل إلى شيء مثير للسخرية. إذ أن المؤسسة التعليمية تعترف فى الواقع بعدم قدرتها على أن تفعل ما تتظاهر بأن من المفترض أن تفعله.

يمكن القول إذن بأن المؤسسة التعليمية تعتبر أن مهمتها هى إكساب التلاميذ الحد الأدنى المطلوب من القدرات والمهارات، وهو الحد الذى يعد ضرورياً، ولكنها لا تسعى إلى حجب قدرتهم على الإبداع فيما يتجاوز هذا الحد الأدنى الضروري. وهناك نوع من التقارب بين هذه النظريات - التى تدعو إلى عدم الوقوف أمام النمو الطبيعى والتى تعتبر أى تدخل فى هذا النمو نوعاً من القهر- وبين النظرية التى قامت عليها الحركات النسائية. والحق أن مصطلح القهر سرعان ما وجد لنفسه مكاناً بارزاً فى فلسفة التعليم اعتباراً من عقد الستينات - الذى يعد عصر تحرير الغريزة والإبداع من القيود - وهو العقد الذى ظهر فيه رجال التعليم الذين ينتمون إلى ما وصف بالتيار الراديكالي. وقد كان هناك تشابه يدعو للدهشة بين مزاعم هؤلاء وبين مزاعم الحركة التنويرية الجديدة. فقد زعموا أن المدارس تنقل للطلاب رسالة ضمنية بالإضافة إلى الرسالة العلنية، وتتجلى هذه الرسالة فى صورة التنظيم السلطوى داخل المدرسة، وكذلك فى المادة الدراسية التى يتلقاها الطلاب. وهذه الرسالة هى رسالة تشكيلية، حيث يهدف التحايل على أفكار الطالب إلى جعله كائناً يدين بالولاء للإطار الاجتماعى الذى ولد فيه، ولإقناعه بأن القيم التى يتلقاها فى

المدرسة لا يمكن وصفها سوى بأنها الحقيقة، وأن هذه هى الطريقة الوحيدة الصائبة للحياة. وبذلك فإنهم يقولون لنا أساساً أن المدارس تقوم بعمل غسيل مخ للطالب.

وبهذه الطريقة، وقبل وقت طويل من ظهور حركات التحرر الاجتماعية وانتشار أفكارها، كانت الأفكار المقاربة لروح أفكارها قد ضربت بجذورها فى المؤسسة التعليمية وتحولت إلى ما يمكن وصفه بأنه "الأساس". وقد كان هناك من يمكن وصف أفكارهم بأنها تعبر تمام التعبير عن هذا الأساس مثل د. دان شارون المدير العام السابق لوزارة التعليم. كتب شارون يقول: "إن التمسك بتلقين الطالب مواد معلوماتية يغلق أمامنا الطريق إلى التفكير فى أشياء أخرى، لأنه يحمل بين طياته الدعوة إلى رفض وجهات النظر الأخرى باسم مبادئ مشكوك فى قيمتها".

إن مصطلحات كتلك التى يستخدمها شارون على غرار "الرسائل الضمنية" أو "غسيل المخ" هى نفس المصطلحات التى تستخدمها حركات التحرر الاجتماعى والحركات النسائية والتيار الراديكالى فى مجال التعليم لكى تضفى فى نظرنا نوعاً من الأهمية على عملية بسيطة وبديهية، وذلك لأن ما تفعله أى مدرسة- بشكل ليس ضمنياً على الإطلاق وإنما بشكل معلن- هو عملية مشاركة فى التأهيل الاجتماعي. وفى إطار هذه العملية تؤثر المدرسة على الطالب ليتقبل أيضاً مبادئ وفنون المجتمع. وعلى سبيل المثال ففى الدول الديموقراطية تعمل المدارس عن قصد على إكساب التلاميذ وعياً بأهمية الديموقراطية، وتبذل جهوداً واضحة تماماً لدعم الإيمان بالديموقراطية. والقهر أو الإكراه هو كلمة مضللة للغاية إذا استخدمت فى وصف هذه الجهود، وذلك لأن الفكرة الديموقراطية تنطوى فى حد ذاتها على الإيمان بأن من حق الفرد أن يكون له رأيه المستقل. ولا حاجة بنا إلى التعمق فى البحوث الاجتماعية لنكتشف أن كثيرين فى المجتمع الإسرائيلى – من اليهود والفئات الأخرى -يرفضون بالفعل الأفكار التى تعرضها عليهم المؤسسة التعليمية الرسمية، وحق الممارسة الديموقراطية يقف إلى جانبهم. وبهذا المفهوم فلن يكون لهذه النوعية من "الإكراه" سوى تأثير جزئي.

إن فكرة أن من الممكن تقليل مساحة التأهيل الاجتماعى لتكون قاصرة على تلقين مجموعة من المهارات التى لا علاقة لها بالقيم الأساسية المفترضة أو بالنظم المفترضة ليست سوى فكرة ساذجة. وليس هناك ما يمكن وصفه بأنه مجموعة من القدرات الوظيفية البحتة، ولو كان لهذا المصطلح وجود لما كان سيصبح كافياً لتمكين المرء من أداء مهامه فى المجتمع من حوله، لاسيما وأن هذا المجتمع لديه بعض المعتقدات الأساسية المشتركة بقدر أو بآخر وبعض العادات المشتركة بقدر أو بآخر. وهذا النوع من الافتراضات الساذجة أكثر شيوعاً لدى المؤسسة التعليمية، ولكن أنصار حركات التحرر الاجتماعى فى المدارس يرفضونه. فهم ينكرون تماماً وجود أى معلومات محايدة من النوع الذى يريد دان شارون تلقينه للتلاميذ. وإذا كان الأمر كذلك فإن الخلاف إذن لا يتركز حول المضامين الخفية فى التعليم ومحاولة كشفها وتنقية التعليم منها، وإنما حول مدى عمق هذه المضامين وانتشارها، وإمكانية اقتلاعها. وبما يتفق مع ذلك هناك أيضاً خلافات حول مدى قوة وتأثير القهر والإكراه فى مجال التعليم. وعلى سبيل المثال فإن أهارون أفيرام المسئول بالإدارة التعليمية فى جامعة بئر سبع يعرض علينا النظر إلى العلاقات بين الأطفال والكبار على أنها حالة تصور "استعباد فئة من السكان لفئة أخرى". وهناك خط يمتد بين هذه النوعية من المزاعم وبين حركة المطالبة بمنح حق الاختيار للجنين وهو فى بطن أمه.

وحتى ما تعتبره المؤسسة التعليمية مهارات منزهة عن المضامين الخفية – مثل دراسات المواطنة التى تركز تماماً على الناحية الشكلية فى السياسة الإسرائيلية، وهو ما يقلل من قدرتها على الإقناع بالقيم المطلوبة – تعتبره حركات التحرر الاجتماعى شيئاً مختلفاً تماماً. وعلى سبيل المثال تشير باعيل تامير الأستاذة بقسم الفلسفة فى مدرسة المعلمين العليا بجامعة تل أبيب- فى إطار مقال يتناول التعليم والأخلاق- إلى عدة عناصر بديهية لدى الحركة التنويرية الجديدة بخصوص نظام الحكم، فتقول: "لقد كشفت الأقليات العرقية والأفراد الذين لهم تفضيلات جنسية أو ثقافية أو اقتصادية ترفضها الأغلبية عن أنه فى ظل قناع من الحيدة قامت الديموقراطية الليبرالية بنشر مبادئ محددة، وهى مبادئ الرجال الغربيين البيض البروتستانت". وعندما يكون المعلم منتمياً إلى الطبقة المسيطرة، ويأتى إلى الفصل وهو مزود بالمادة الدراسية ذات المضمون الخفى الذى يعبر عن هذه الطبقة، فإنه لا يصبح عاملاً فى خدمة الحقيقة، وإنما فى خدمة عناصر سياسية متطرفة.

فى استطاعة مثل هذه الصياغات أن تصور أى تأهيل اجتماعى مهما كانت محدوديته على أنه نوع من القهر أو الإكراه، بغض النظر عن أن مضمون تلك القيم التى وصفت بأنها محددة ينطوى فى جوهره على تعليم التسامح. حيث تسعى تامير أساساً إلى منعنا باسم التسامح الراديكالى من إمكانية فرض التسامح على الآخرين. لأن التسامح لدينا هو قيمة محددة إذا جاز لنا أن نقول هذا.

من هذا المنطلق فإن التعليم بصفة عامة – حتى لو كان تعليم التسامح – ينطوى على إكراه. لأن أى تعليم –

حسبما أوضحت تامير في موضع آخر - ليس سوى تدخلاً فى حياة الآخر. ولذلك فإنه حتى المرأة الليبرالية التى تقوم بتعليم أبنائها تعليماً ليبرالياً إنما تتدخل فى حياتهم. وهذا التدخل يحد من قدرتهم على اختيار أساليب حياتهم. ويبدو لى أن هناك شيء غريب فى فكرة أن أى تدخل فى حياة الآخر هو إكراه. فإذا كان الأمر كذلك، لابد أن نسأل أنفسنا؛ هل من حق عامل الإنقاذ الذى يعمل على إنقاذ المصطافين من الغرق فى البحر الحق فى التدخل فى حياة الغريق..؟ ليس من الممكن تفنيد هذه المقارنة، نظراً لأن تامير تصف الأطفال بأنهم كالغرقى، الذين ليس فى استطاعتهم النجاة بدون تدخل - من هذه النوعية- فى حياتهم. وهى تنقل لنا موقف كليفورد جيرتس، الذى تتفق معه فى اعتقاده أن الإنسان يولد غير كامل. وتقوم عملية التأهيل الاجتماعى باستكمال ما نقص نتيجة للعوامل الوراثية. ولذلك فإنها تعترف بحق الطفل فى تلقى تعليم. ولكنها ليست مستعدة لأن ترتب على ذلك حق الآباء فى تعليم أبنائهم. إذ أن التعليم فى نظرها ليس تدخلاً فى حياة الإنسان غير الكامل وغير المستقل فحسب. وقد كتبت تقول: "إن أهم سمة فى التعليم هى أنه تدخل يجرى بهدف التأثير على حياة الإنسان فى المستقبل". ولا يجب أن نقيد مستقبل الإنسان بمنظومة القيم التى نؤمن بها نحن. وحيث أن كل تعليم هو "إكراه"، فإنها ترتب على ذلك أنه "ليس لأى إنسان ولا لأى مؤسسة الحق فى تعليم الآخر تحت أى ظروف". وأن "إلغاء حق المؤسسات والأفراد فى تعليم الآخر ينطبق على كافة أشكال التعليم مهما كان مضمونها".

تريد تامير فى نهاية الأمر الوصول إلى تعليم خال من "الإكراه" يسمح للأطفال بالاستقلالية عندما يكبرون، بما يتيح لهم اختيار طريقهم بشكل مستقل وعقلانى وغير مرتبط بثقافة المعلمين. وتريد بذلك الوصول إلى تعليم يحمى الطفل من خطر أن يتحول هذا التعليم نفسه إلى وسيلة قهر، تحرمه من حقه فى أن يصبح إنساناً مستقلاً. وعلى هذا فإن ما يجب أن يفعله التعليم يشبه عرض كتالوج بالاحتمالات المتاحة فى المستقبل على الإنسان، حتى يتمكن من اختيار أسلوب الحياة الذى يناسبه منها. فنحن نعترف بأن قدرة الأطفال على الاختيار الحر والعقلانى ترتبط بأن يسمح لهم تعليمهم بتقييم الإمكانيات المتاحة لهم واتخاذ قرار عقلانى (وليس الاختيار بشكل عشوائى). وهناك قدر كبير من السذاجة فى الاعتقاد بأن من الممكن تعليم الإنسان بشكل ينطوى على تعميم، بحيث يتمكن هو نفسه من اختيار المضامين المحددة لما سيتعلمه فى مرحلة معينة. وقد رفض جيرتس نفسه هذه النظرية تماماً. فالتأهيل الاجتماعى فى نظره ليس سوى وضع مضامين محددة، ولا يمكن تنفيذ ذلك بعيداً عن المضامين، بالضبط كما لا يمكن تعليم الإنسان الكلام إذا لم نكن سنعلمه أن يتكلم بلغة محددة.

مما يدعو للدهشة أن تامير- التى تولت بنفسها الكشف عن اشتراطات معينة فى منظومات قيم تتظاهر بالحيدة، والتى تنكر حيدة كافة منظومات القيم التى صادفتها- تعتقد أن الدعوة لجعل الإنسان يقوم بالاختيار بشكل عقلانى ليس لها أى مضمون. إذ أننا لو نجحنا فى جعل كافة الناس عقلانيين ألن نجد من يحرضهم ضد كل ما ليس عقلانياً..؟ ولذلك لابد أن نتساءل عما إذا كان هناك من الأفراد أو المؤسسات من له الحق فى تعليم غيره مهما كانت الظروف، بغض النظر عن المضمون. من أين أعطت تامير لنفسها الحق فى أن تقرر أن الهدف من التعليم هو تحقيق تلك الاستقلالية العقلانية..؟ وبأى حق نحاول تعليم التلميذ مناهضة التطرف الدينى والآراء المسبقة والعنصرية..؟

إن الرد على هذا السؤال هو أن كل هذا الجهد يبذل أساساً باسم الحرية، ولذلك فإن من البديهى استبعاد النظريات الرافضة للحرية. ولكن تامير ترفض فكرة أنه لابد من تلقين التلاميذ الحرية كقيمة، على اعتبار أن هذه الفكرة هى نوع آخر من الإكراه. فالإكراه هنا - كما هو الحال فى كافة القضايا التى تعالجها حركات التحرر الاجتماعى - هو المفتاح لفهم التغيرات الدلالية لديها. فتلقين أى قيمة هو إكراه. وبما أن الإكراه - سواء فى تلقين قيم الديموقراطية أو فى تلقين أى شيء آخر - هو رأس كل الخطايا، فقد تطلب الأمر من تامير الالتفاف حول دلالات الألفاظ، بما يتيح لها المناورة لتوجيه التلاميذ إلى الاتجاه الذى تريده دون أن يكون من الممكن الإشارة إلى أى نية من جانبها أو أى ارتباط بها (كمعلمة). فهى من ناحية تريد أن يصل التلميذ إلى شاطئ الأمان، ولكنها من ناحية أخرى تريد أن تتصرف بحيث لا يبدو بشكل مباشر ولا بشكل ضمنى أنها قد أثرت عليه فى هذا الاتجاه. والمشكلة أن هذين الأمرين متناقضان.

كان التيار الراديكالى يعتقد أنه قد توصل إلى الحل (الذى تؤمن به تامير أيضاً) لهذه المشكلات. ولا يختلف الحل كثيراً عن الحلول التى تطرحها حركات التحرر الاجتماعى المعاصرة، ويتمثل فى إعادة بناء وعى التلميذ. ووفقاً لهذه الطريقة، من المفترض فى عملية التعلم أن تكسب التلميذ وسائل للكشف عن المضامين الخفية أثناء العملية التعليمية والتشكيك فى كل ما يدرسه. وحسبما سأحاول أن أبرهن فإن هذا الحل- بالنسبة لتعليم الأطفال- لا يتجاوز كونه تظاهراً بالتحضر يخطئ أهدافه، ومن شأنه أن يتسبب ضمنياً فى ضرر شديد. ورغم هذا فإن الكثيرين يقبلون بهذا الحل. والكتابات الصحفية عن مشاكل التعليم مليئة بهذا النوع من الحلول. وعلى سبيل المثال فقد كتب توم ساجيف

فى صحيفة هاآرتس عن أسطورة تل حى ما يلي: "أعزائى الطلبة. فكروا جيداً قبل أن تصدقوا ما يقوله لكم مدرسوكم". كما كانت ذروة ما كتبه شموئيل هاسفرى فى قصيدته "خمير" ما يلي: "أيها الأطفال؛ لا تذهبوا إلى المتاحف". وكثيراً ما قال سامى شطريت إنه يريد تعليم الأطفال الشك. وهذه مجرد أمثلة قليلة على ما يعتبر لدينا حقيقة مؤكدة فى الآونة الأخيرة. فهذا الكلام يبدو صحيحاً وحضارياً، ولذلك فإن من يقرؤه لا يسأل إلى أين سيؤدى به.

◆ رياضة تحطيم الأساطير:

إن المراجعة المستمرة للأساطير، التى تعد بمثابة ذبح لأبقار مقدسة لا تجرى بهدف استبدال أسطورة سلبية بأخرى إيجابية، وإنما أصبحت هدفاً فى حد ذاتها. فقد حل مبدأ جديد محل المبادئ القديمة، وهذا المبدأ هو مبدأ تحطيم الأساطير. ولكن هل نتيجة ذلك هى تعليم التسامح والعقلانية الشخصية أم نقص العواطف وانعدام المبادئ..؟ وهل النتيجة هى التفتح أم الشعور بالعجز الناتج عن عدم وجود ما يمكن أن يؤمن به الشباب..؟ لقد حكى الكاتب آلان بلوم فى كتابه "الفقر الفكرى فى أمريكا" أنه عندما كان فى الرابعة من عمره تعرف على طفل أصر على أن يوضح له أن بابا نويل هو شخصية خرافية لا وجود لها. وكتب بلوم عن هذا الموضوع يقول: "لقد أراد أن يغمرنى بضوء الحقيقة الساطع". غير أن الطفل الذى جعل بلوم يعرف الحقيقة لم يكن يعرف مدى حاجة بلوم الطفل إلى أشياء يؤمن بها ويصدقها قبل أن يتمكن من فهم زيفها. لم يكن يدرك الحاجة المبدئية إلى وجود عناصر وأساطير يؤمن بها المرء، وإلى وجود أبطال وقصص نموذجية تتيح للمرء تخيل عالم يسوده نظام، فيما يتيح له بالوسائل الطفولية أن يؤمن بوجود الخير والشر وأن يفهم فكرة الأخلاق. وقد نقلت ياعيل تامير فى مقالها المشار إليه آنفاً عن أكرمان قوله إن هناك حدود للعادات والثقافات والقيم المتناقضة التى يمكن أن يتعرض لها الطفل دون الإضرار بقدرته على تطوير شعور بمعنى الأشياء. كما كتب بلوم يقول: "ليس فى استطاعة التدمير المنهجى للخيال- الملئ بالآلهة والأبطال الخياليين - الإسهام فى معرفة المرء لذاته. وكل ما يفعله ذلك هو إزالة جزء من هذه الذات، وتشويه معتقداتها". يبدو أن الشعور بعدم وجود مبادئ مستقرة - حتى لو كان مقبولاً من جانبنا ككبار- هو شعور شديد الصعوبة والإيلام بالنسبة للطفل. فهو يحجب عنه الأساس المستقر الذى يمكنه من داخله أن يوجه نظرة نقدية إلى مبادئه فى وقت لاحق. ورغم أن تامير تريد تنشئة أطفال واعين بالسليقة فإن الحركة التنويرية الجديدة تعتقد أن عملية النضوج ليست قادرة على الإطلاق على أن تتسبب فى الإفاقة والوعي. وقد واجه بلوم نفس هذه الأفكار عندما بدأ الدراسة فى الجامعة. وفى هذا الصدد يقول:

"عندما كنت معلما شاباً فى كورنيل، أجريت ذات مرة حواراً حول مشكلة التعليم مع أحد أساتذة علم النفس. وقد زعم أثناء الحوار أن مهمته كانت القضاء على الآراء المسبقة لدى تلاميذه، وأنه نجح فى ذلك نجاحاً تاماً. فتساءلت عما عرضه عليهم بدلاً من هذه الآراء المسبقة. لم يكن يبدو لى أنه يعرف أى شيء عما قد يكون العنصر المضاد للرأى المسبق.. فهل كان يعتقد أن هناك حقائق من الممكن أن يسترشدوا بها فى حياتهم كما كانوا يسترشدون بهذه الآراء المسبقة..؟ أم ترى أراد أن يجعلهم أناس يتحركون بلا أمل، بما يجعلهم يستسلمون لسلطة مثل سلطته..؟ لقد كان محدثى السابق عليه- الذى حدثنى عن سر بابا نويل - يسعى إلى التباهى بإثبات تفوقه فحسب. فلم يكن هو الذى خلق بابا نويل، الذى كان لابد من وجوده حتى يتمكن من إثبات أنه لا وجود له.. ولابد لنا من أن نجرب مشاعر الإيمان الحقيقى بشيء قبل أن نجرب الإثارة التى ينطوى عليها التحرر من هذا الإيمان".

وإذا لم يحدث هذا فسيكون لدينا فى المقام الأول خواء عاطفى وفكري، وانعدام للتأثر وللفضول. يقول بلوم "إن سقراط بعد سنوات من العمل الجاد الذى لا يكل كان يعرف أن لديه قصور معرفي. والآن أصبح كل طالب ثانوى يعرف ذلك. فكيف أصبح هذا الأمر بهذه السهولة..؟

لقد أصبح الأمر بهذه السهولة لأن من يعمل فى مجال القيم والمعتقدات يتلقى رسالة تفيد بأنه ليس لديه ما يعرفه ولا ما يؤمن به. هذا ما يحدث عندما نفقد كافة الأدوات المناسبة لخلق إثارة وحماس فور ظهور هذه الأدوات. وهذا هو ما يؤدى إلى ولادة فكرة التحرر التام من الأساطير. إن نزع الشرعية عن الأسطورة- باعتبارها أحد الأدوات الثقافية- هو تعبير عن روح ذلك العصر وعن فكر حركات التحرر الاجتماعي، كما أنه جزء من أفكار الاتجاه البنيوى والتيار الراديكالي. ويتضمن أساس هذه الأفكار الافتراض البريء بأننا لو نجحنا فقط فى إنتاج آلية تقوم بتفكيك نفسها أثناء البناء، وعمل آليات مضادة تقوم بتحييد هذه الآلية تماماً ونزع أى رسالة اجتماعية قاطعة تحتوى عليها، فمن الطبيعى أن يؤدى ذلك إلى نشأة إنسان متسامح وعقلاني. وهذا هو الافتراض الذى تحتاج إليه تامير للمواءمة بين التناقض الداخلى الذى تنطوى عليه مزاعمها، حتى يمكن أن يصبح الأطفال متسامحين، ولكن بدون توجيههم إلى التسامح.

ليس من الواضح لنا رغم هذا إلى أى شيء إستند هذا الافتراض. وإذا تأملنا ما حولنا فسوف نجد أن النظام الديموقراطى على سبيل المثال لا ينشأ بشكل طبيعى من أناس مقتنعين به. فقوة النظام الديموقراطى فى الولايات المتحدة أو فى بريطانيا قائمة على تقاليد وأساطير وعلى قيام النظام التعليمى بتلقين الدارسين المبادئ الديموقراطية. وبالتالى ينشأ الناس على الإيمان بالنظام الديموقراطى نظراً لأن ثقافتهم مشبعة بالخطاب الديموقراطي. ولم يحدث هذا بسبب توصل كل فرد على حدة إلى تلك النتيجة. وإذا كانت النية تتجه إلى تبنى تعليم التسامح، فلماذا نختار السير فى طريق غير مباشر ولا نربى أبناءنا على الحرية والمساواة بشكل معلن..؟ يبدو أن هناك أساس معقول لافتراض أن مثل هذا التعليم ستكون فرصته فى تشكيل الشباب الذين يتسمون بالتسامح أفضل من فرصة مشروع التعليم القائم على الاتجاه البنيوي، وأنه سيكون متسماً بالتسامح اللانهائي، ولن تكون لديه الأدوات اللازمة للتعليم المناهض للعنصرية أو للتطرف القومى أو للعنف، إذ أنه حتى فى اللحظة التى سيحاول فيها التعليم مناهضة هذه الأشياء سيكون خاضعاً لاحتياجاته لبناء نفسه.

لن تكون النتيجة التى تسفر عنها الرغبة فى الامتناع عن فرض أى عقيدة على التلميذ هى التسامح وإنما ستكون الاتجاه إلى العدمية، وهى ذلك الإحساس بالفراغ القيمى الذى أصبح الآن ملموساً وبارزاً بشدة لدى الشباب. وما تقترحه تامير وزميلاتها على الشباب ليس سوى مزيداً من الفراغ. ومن هذا المنطلق فإنها تنهى مقالها الذى نشرته بعنوان "تاريخ فشل معروف مسبقاً" على النحو التالي: "إذا كنا لا نعرف إلى أين نريد السير، وإذا كان اتجاه السير ليس له أى أهمية، ففى استطاعة كل واحد منا أن يصير المعلم، وأن يشير إلى الطريق ويحدد الاتجاه، وبعد إعادة التفكير فإن أحداً لن يتمكن من تحديد الاتجاه، وبالتالى فلن يكون فى استطاعة أحد أن يكون المعلم". ويبدو من هذا الكلام أن الخطر على الديموقراطية والتسامح من جانب رجال التعليم الذين يتسامحون إلى حد الاعتقاد بأن "اتجاه السير ليس له أى أهمية" أشد من الخطر الذى يمثله أنصار فلسفة التعليم القديمة التى سعت إلى فرض السلوك الديموقراطى على تلاميذها.

إن ما سمح بالوصول إلى الاستنتاج الذى توصلت إليه تامير وحركة التحرر الاجتماعى والتيار الراديكالى من قبلهما، وما أدى فى النهاية إلى العدمية السخيفة التى تبدو فى شكل التسامح هو طمس الحدود بين المصطلحات المتداولة. ويستمد هذا الزعم قوته من الخطاب البلاغى الدرامى غير الواضح الذى يطمس الفوارق بدلاً من أن يوضحها. فالميل إلى وصف إكساب المجتمع الديموقراطى مبادئ معينة باستخدام مصطلحات مثل "غسيل مخ" و"اشتراط" و"إكراه" هو تصوير للتعليم وللثقافة بالكامل فى شكل شمولى صارخ، لدرجة تطمس المجالات المشتركة بين المجتمعات. وبالطبع فإن الواقع أقل قطعاً من ذلك. صحيح أن هناك مبادئ ولكن هذه المبادئ تمر بعملية تغيير مستمر نظراً لأنها تترك مساحة كبيرة للجدل. هناك "أساليب خطاب" متعددة، إلا أن الخطاب الديموقراطى قائم على التعددية، ومن المؤكد أنه ليس متطرفاً على النحو الذى يحاولون وصفه به. تتجه النية إلى التأثير على التلاميذ فى اختيارهم للقيم، ولكن من بين المبادئ التى يسعون لإكسابهم إياها أيضاً التسامح مع المبادئ التى تختلف عن مبادئنا. ويبدو أن شمولية أسلوب الخطاب ليست قاطعة، وإلا فسيكون من الصعوبة بمكان تفسير كيف نجحت منظمات التحرر الاجتماعى فى التهرب مما يزعمون أنه لا يمكن التهرب منه.

◆ **نظرية سامى شالوم شطريت التربوية:**

إن فكرة الحرية التامة التى تدعو إليها تامير هى مجرد وجه واحد من أوجه التسامح غير المحدود. أما الوجه الآخر له فهو المساواة التامة. وقد تطورت الدعوة إلى المساواة فى الفرص فى دعوة التمييز الإيجابى - الذى يهدف إلى إصلاح تمييز واقع - لدى الحركة النسائية الجديدة لتصبح دعوة إلى تحقيق المساواة فى الإنجازات. وبالتالى فإن الجانب الذى ترحب به الحركة فى النضال من أجل المساواة هو العمل على زيادة إنجازات الطلاب الضعفاء. وفى مقابل ذلك فإن الجانب الآخر هو احتواء الطلاب المتفوقين وتخفيض مستوى الطلبات المطلوبة منهم ليصل إلى مستوى إنجازات أكثر الطلاب ضعفاً، وهو تكتيك غير مستبعد فى بلادنا بلا مبالغة. وهذا هو التفسير لهجوم الوزير السابق روبنشتاين على معايير الجودة المزيفة فى شروط الالتحاق بالجامعات، وهذا هو تفسير رغبته فى التخفيف من عبء الامتحانات قدر الإمكان، وإلغاء بعضها إذا كان ذلك ممكناً. وهذه المشكلة تشبه مشكلة القط الذى تسلم مفتاح الكرار. إذ أن إنجازات وزير التعليم تقدر من خلال أعداد الحاصلين على الثانوية العامة، غير أنه يعد هو أيضاً المسئول عن تحديد مواد الامتحان. وكلما زاد عدد الشهادات التى يمنحها كلما كانت إنجازاته أكبر. ولذلك فإنه يوزع المزيد من الشهادات بقدر أكبر من السهولة.

لم يبدأ التدهور فى مستوى الامتحانات فى أيام روبنشتاين. فعندما تجاوز مستوى الامتحانات مستوى معين إلى أسفل قررت الجامعات تطبيق نظام اختبار القدرات. وهناك جامعات تحتفظ بمقياس لدرجات الامتحان، وتستعين

بجدول من المفترض أن يترجم الدرجات العالية- التى زاد ارتفاعها مؤخراً- إلى القيمة الحقيقية للدرجات منذ عشرين عاماً. وفى فترة تولى أنيتا شابيرا لمنصب عميد كلية الآداب بجامعة تل أبيب طبقت الجامعة نظام السنة التأهيلية، التى تهدف إلى توسيع ثقافة الطالب العامة، وإكسابه القدرة على القراءة والفهم وتحسين معرفته باللغات. وكان كل هذا يهدف إلى حماية مستوى الدراسة بالجامعات من التدهور تحت تأثير التدهور الذى يحدث فى المؤسسة التعليمية. وقد ترددت فى مؤسسات التعليم العالى مراراً وتكراراً شكوى مفادها أن الطلاب الذين يلتحقون بالجامعات يلقون صعوبة فى التعبير عن أنفسهم كتابة، وفى فهم ما يقرأونه، وأن لديهم قصور معرفى وقصور فى مستوى المهارات.

كان الانخفاض فى مستوى الطلبة الملتحقين بالجامعات نتيجة لتطور استغرق فترة طويلة تم فى إطاره تخفيف عبء التحصيل عن الطلاب، وتقليل المادة التعليمية التى يتلقاها الطالب باسم حرية الإبداع والمساواة فى الدرجات. وبهذه المناسبة فإن هذا الأمر لم يسهم بأى درجة فى تحقيق المساواة. فالطلبة الذين يأتون من بيت مثقف يجدون الطريق إلى إثراء عالمهم الفكرى (عن طريق الدروس الخصوصية، التى أصبحت شائعة للغاية بين أبناء الطبقات الغنية على سبيل المثال، حسبما تنشره الصحف). وفى مقابل ذلك فإن الطلبة الفقراء لا يجدون طريقاً للتحصيل الثقافي. وبدلاً من منح الطالب القادم من بيئة اجتماعية واقتصادية متردية ما يحتاج إليه حقاً- وهو إمكانية اكتساب ثقافة- فإنهم يعطونه شهادة تتضمن إنجازات لم تتحقق. وبذلك يطبقون نظام المساواة فى الإنجازات. ومعنى هذا المساواة فى منح شهادات بدأت تفقد قيمتها بالتدريج. حيث لم تعد هذه الشهادات سوى دليل على رغبة المؤسسة التعليمية فى التستر على الفوارق التحصيلية بين الطلاب بدلاً من إصلاح الخلل فيها. غير أن هذه الفوارق لم تتناقص وإنما انزاحت مظاهرها إلى الساحة الأكاديمية. وقد كتب يارون لندن فى صحيفة يديعوت أحرونوت (بتاريخ٧/٣/١٩٩٥) ما يلي: "من الممكن تأجيل الامتحانات من تاريخ إنهاء الدراسة الثانوية إلى تاريخ الالتحاق بالجامعة (١)، ومن الممكن تأجيلها لتجرى مع الامتحانات التى تعقد فى إطار الدراسة بالجامعة، ومن الممكن تأجيلها لتجرى مع امتحانات الماجستير، ومن الممكن تأجيلها أكثر وأكثر إلى مواعيد شتى، ولكنها ستجرى فى النهاية، وسيكون لنتيجتها تأثير على حياة الطالب. فسياسة حفظ كرامة الطالب لا يمكن أن تجرى سوى فى إطار الحماية المحدودة ولابد فى النهاية أن تصطدم بالواقع.

فضلاً عن ذلك ليس من الممكن تأجيل الامتحانات فى كافة المجالات. وعلى سبيل المثال فإن اللجوء إلى سياسة معالجة آثار التمييز فى كلية الطب ربما يمكن أن يجرى فى امتحانات القبول، ولكن لا معنى لتخفيض الدرجات اللازمة للالتحاق بها، إذا كان مستوى الدرجات الحالى يعبر عن المستوى الحقيقى المطلوب أن يكونه عليه الطالب ليتمكن من إنهاء دراسته. من الممكن بالطبع تخفيض مستوى اختبارات التخرج من الكلية، ولكن هل نحن حقاً فى حاجة لإضفاء طابع ديموقراطى على دراسة الطب، مهما كان تأثير ذلك على القدرات والإنجازات..؟ لابد أن يتجلى سد الثغرات بين الطلبة الأغنياء والفقراء فى زيادة قدرات الطلبة الفقراء، وليس فى إخفاء الجهل تحت ستار حفظ كرامة الطالب بمنحه تقدير مرتفع. فإصلاح المرآة التى ينظر فيها المرء ليس أفضل السبل لإصلاح شكله. ولابد أن يرى المرء الحقيقة حتى يتمكن من التعامل معها.

لكن وزارة التعليم لا تتفق مع هذا الرأي. ولم يكن مما يدعو للدهشة أن لم يرد ذكر تعبير "مزيد من الثقافة" أو تعبير "مزيد من الإنفاق على الطلاب الفقراء" بين الأشياء الخمسة التى قال وزير التعليم إنه يريد مزيداً منها، وذلك فى حديث أدلى به لصحيفة "حداشوت طوفوت – أنباء طيبة"، جعل فيه هذه الأشياء الخمسة أهدافاً تسعى وزارته لتحقيقها. فقد قال روبنشتاين إنه يريد "مزيداً من الطلاب فى مراحل التعليم حتى نهاية التعليم الثانوي، ومزيداً من الطلاب الحاصلين على شهادة إتمام الدراسة الثانوية، ومزيداً من الطلاب فى الجامعات والكليات، ومزيداً من الازدهار للفرد والجماعة (..؟)، ومزيداً من المساواة فى الفرص". كان من الممكن أن يكون هذا برنامجاً رائعاً لولا أنه قائم على النزول بمستوى المطالب المطلوبة من الطلاب بدلاً من الارتفاع بمستوى قدراتهم التحصيلية، ولو لم يكن هناك سعى لإزالة آثار التمييز بالجملة على حساب مستوى الدراسة بدلاً من رفع مستوى الدراسة. سيقوم وزير التعليم بتوزيع شهادات بكرم بالغ، وسيشعر الجميع بالسعادة، مؤقتاً على الأقل. وإذا شئنا استخدام كلمات روبنشتاين نفسه، فقد صرح لصحيفة معاريف بما يلي: "أريد أن أعيد البسمة إلى وجوه جميع الطلاب". وبالتالى فإن الطلاب يحملون الوزير على أكتافهم. ولا شك أن هذا لم يكن مقصد جون ديوي.

جرت العادة على تصوير سامى شالوم شطريت – المدير العام السابق لمدرسة "كيدما" الكائنة فى حى "هاتكفا" (٢) – على أنه شخص لديه اعتراضات على النظام. والحق أن لديه اعتراضات بالفعل. ولكن لديه أيضاً كثير من الأمور المشتركة مع النظام. وإذا كان المقصود بالنظام هو وزارة التعليم فى الفترة التى كان يدير فيها المدرسة أو إذا كان

المقصود به كليات التربية فى الجامعات المختلفة، فيبدو لى أن نقاط الاتفاق أكثر من نقاط الخلاف وأن الأفكار الأساسية أكثر تشابهاً مما اعتادت الصحف على وصفه. فشطريت - مثله فى ذلك مثل روبنشتاين - مشغول بوضع البسمة على شفاه الطلاب باعتبار ذلك مفتاح مستقبلهم، كما أنه هو الآخر يعتبر الكرامة مفتاح النجاح. وهذه هى الأسباب التى جعلته يعطى طلبته درجات عالية فى نهاية الدراسة، ليجعلهم يبتسمون بدون أدنى شك. ولكن السؤال المطروح هو ما الذى سيحدث لهذه الابتسامة بعيداً عن حمايته، وأقصد فى الجامعة أو فى سوق العمل.

تستمد المزاعم والتبريرات التى ساقها شطريت قوتها من نفس المصدر الذى يستند إليه روبنشتاين، ومن نفس المواد التى تلجأ إليها مزاعم إيلان بابيه بشأن الاحتلال الصهيوني، ومزاعم أورلى لوبين بشأن إقصاء المرأة باعتبارها "الآخر"، ومزاعم إدوارد سعيد بشأن الاستشراق. وكما هو الحال فى جميع حركات التحرر الاجتماعى يتحدث شطريت عن حالة صارخة من التمييز والتعالى على جماعات الأقلية. ولا شك أن النظام الصهيونى كان يتعامل فى الخمسينات بتعالٍ وبخشونة مع المهاجرين من الدول العربية. ولكن السؤال الذى لابد من طرحه هو: ما الذى يجب القيام به من الآن فصاعداً..؟ إن الحلول التى يقترحها شطريت تشبه الحلول التى اقترحتها حركات التحرر الاجتماعى فى الولايات المتحدة. وهو يقترح علينا السير فى أعقاب الولايات المتحدة؛ فهناك قام زعماء ذلك العصر الذى شهد الحرب الباردة بإخلاء الطريق لقادة ديموقراطيين، يسعون للتركيز على القضايا الاجتماعية والاقتصادية لإصلاح الأوضاع المتردية. والحق أن شطريت جاءنا وهو مسلح بنظريات اليسار الجديد فى الولايات المتحدة، إلا أن هذا يطرح سؤالاً بشأن الفائدة التى يمكن أن تعود علينا من السير فى أعقاب الولايات المتحدة فيما يتعلق بالإصلاح الاجتماعي.

نشر هذا الكلام فى يونيو١٩٩٥ بعد فترة طويلة من محاولة كلينتون الفاشلة لإصلاح نظام التأمين الصحي، وبعد فترة طويلة من سيطرة الجمهوريين على الكونجرس. فبعدها قام الرئيس كلينتون بتحول بهلوانى وطبق إصلاحات فى الشئون الاجتماعية ترتب عليها تخفيض نسبة وصلت إلى ٥٠٪ من المعونات التى يحصل عليها المحتاجون. وإذا كان للمثقفين من أنصار حركات التحرر الاجتماعى فى الولايات المتحدة دور فى السياسة الداخلية فإن هذا الدور يتمثل فى مساعدة المحافظين. فقد هاجموا اليسار الليبرالى بشدة باعتباره شريك فى نشر قيم مضادة للتوجهات الأوربية، وأسهموا فى تقليل نسبة الدراسات الليبرالية فى المدارس لصالح الدراسات العرقية، وناضلوا من أجل كرامة الأقليات بدلاً من النضال لضمان تخصيص ميزانيات للأحياء الفقيرة، وناضلوا من أجل الهوية العرقية بدلاً من الهوية الأمريكية التى زعموا أنها تمحوا ثقافة وهوية الآخر. فى نفس الوقت استمرت الزيادة فى انتشار الفقر وفى عدد المشردين وفى انتشار الجريمة لتصبح هذه العناصر أداة استفاد منها المحافظون. ولو كان المثقفون الأمريكيون قد ركزوا نضالهم على خلق أنشطة شبابية للشباب الذى يدور بلا عمل فى الشوارع، وعلى تقييد حق حمل السلاح أو على الأقل على الإصلاح فى مجال التأمين الصحي- ولو كانوا نجحوا فى أى من هذه الأشياء كما نجحوا فى مسألة إصلاح التمييز الواقع- ربما كان الوضع قد اختلف إلى حد ما. ولكن فى أمريكا، حتى يومنا هذا، ليس كل طفل يولد يحصل على التطعيمات الضرورية. فالتطعيم يتكلف مالاً وهناك كثير من الفقراء الذين ليس لديهم المال ولا الدراية بأهمية هذه التطعيمات. ويكاد يكون نصف الأطفال السود يعيشون تحت خط الفقر، وليس لدى آبائهم المال اللازم لعلاج أسنانهم أو لتطعيمهم أو لمنعهم من الانضمام إلى عصابات الشوارع. ومن يتجول فى الأحياء السوداء فى الولايات المتحدة يمكنه أن يرى مشهداً لا يراه فى أى مكان آخر فى الغرب، حيث سيرى العشرات من الشباب الذين نزعت أسنانهم الأمامية.

ولكن أنصار حركات التحرر الاجتماعى يفضلون الاحتفاظ بطهارة ذيلهم. وفى نفس الوقت فقد سئم أغلب الجمهور الأمريكى الحديث عن تعدد الثقافات، وعن أن كل ما هو أمريكى سيء وكل ما ينتمى إلى فئات الأقليات أفضل. فهذا فى نظره عداء للهوية الأمريكية، وهذا هو الوتر الذى يعزف عليه المحافظون بنجاح. ناهيك عن أن اهتمام الآباء بمدى سيطرة العرق الأوربى أقل بكثير من اهتمامهم بما يجرى فى مدارس أبنائهم من مشاجرات باستخدام السلاح الأبيض.

غير أن حركات التحرر الاجتماعى تهتم بطهارة ذيلها هى وليس بمشكلات أطفال حى هارلم الفقير. ولذلك فإنها ترفض أى تنازل للجهات المسيطرة، وتفضل لعق جراحها وعدم مداواتها، لأن استمرار وجود الظلم يكفل لها استمرار شعورها بعدالتها. لذلك فإن أنصار الحركة التنويرية الجديدة يثورون ضد أى محاولة للإصلاح. ولذلك فإنهم يصورون أى تغيير وأى إصلاح وأى اتفاق سياسى على أنه محاولة للتستر على المظالم، أو محاولة لطمس هوية أو أهداف المظلومين. وهذا هو الوجه القبيح للموضوع، الذى تترتب عليه صعوبة إجراء أى حوار مع هذه الحركة. فالعدالة حكر عليها. وكل من يعترض على آرائها "عنصري" و"فاشي" و"ديكتاتور". فالليبراليون فى نظر هذه الحركة

هم محافظون متنكرون، واليسار المعتدل هو يمين متنكر والحركة النسائية المعتدلة متعاونة مع التعصب الرجالي. ومن يريد فرض تعليم ليبرالي يتساوى في السوء مع من يدعو لتعليم قومي متعصب. ولذلك فإن الحركة التنويرية الجديدة لن تنجح بالفعل في عمل أي شيء، ولكنها ستبقى دائماً على حق وستبقى العدالة في صفها دائماً. وإذا كان رامون آرون على حق عندما كتب أن الماركسية هي أفيون المثقفين، فإن حركات التحرر الاجتماعي هي بالتأكيد مخدر من نفس النوع.

أنا لا أعتزم الزعم بأن سامي شطريت لا يهتم بأوضاع الأطفال في حي "هاتكفا" الفقير. ورغم أن شطريت شديد الحماس للانتقام من النظام إلا أنه رغم ذلك يعد من رجال التعليم المخلصين الذين يؤمنون بالطريق الذي يسيرون فيه. وهو على استعداد للنضال من أجل وجهة نظره حتى لو كان سيدفع ثمناً شخصياً. كذلك فلا اعتراض على الإنجازات التي حققتها مدرسة "كيدما" . وما أريد أن أقوله هنا هو أن التحليل الذي يسوقه شطريت والحلول التي يقترحها قائمة على نفس أفكار ومبادئ حركات التحرر الاجتماعي، التي جعلت اليسار الأمريكي غير قادر على العمل من أجل الإصلاح الاجتماعي الحقيقي. ومن الناحية العملية فإن اقتراح شطريت يشبه اقتراحات الأفروأمريكيين، ولذلك وعلى ضوء الإنجازات المشبوهة التي حققوها هناك، لابد أن نسأل؛ هل السير على هذا الطريق يمكن أن يؤدي هنا إلى الوصول إلى إنجازات المساواة والتعددية التي يسعى شطريت إليها. لقد كتب شطريت في صحيفة حداشوت يقول: "في الولايات المتحدة- التي لا نحرص على تقليدها سوى في الأمور التي فشلت فيها متأخرين عنها في ذلك عشرين عاماً - تحول السود إلى دراسة التاريخ في مجتمعاتهم مغيرين بذلك توجهاتهم إلى حد كبير. وهم يدرسون التاريخ من الواقع الفعلي في الشارع وفي المجتمع، ومن خلال العودة إلى المصادر الأفريقية، مروراً بقيام البيض بصيد العبيد، وسنوات الرق والاغتصاب، وسنوات التمييز والعنصرية، ووصولاً إلى هذه الأيام التي يستمر فيها النضال.

يبدو لي أن لدينا هنا وصفاً شديد الدقة لما يحدث للدراسة في أمريكا. فبعد سنوات طويلة احتل السود فيها مكاناً ثانوياً في كتب التاريخ في الولايات المتحدة نشأت موجة مضادة واسعة النطاق. ولكن هذه الموجة لا تسعى إلى وضع الأمور في نصابها، وإنما تسعى إلى قلب الأوضاع. وبالفعل فإن هناك توجه آخذ في الانتشار في المدارس الأمريكية يرى أن الثقافة الغربية بالكامل هي ثقافة اغتصاب وقهر وسلب واستعباد وتمييز وعنصرية حسبما يقوله شطريت. ولا تختفي في خضم هذه المعركة سوى حقيقة واحدة وهي أن الأفكار التي يدينون بها كل هذه الأشياء هي أفكار غربية بحتة.

لقد قسمت اللجنة التعليمية- في ولاية نيويورك على سبيل المثال- دراسة التاريخ في المدارس العامة في عام ١٩٨٧ إلى سبعة أقسام حسب أقسام العالم، وهي: آسيا وشرق آسيا وأمريكا اللاتينية والشرق الأوسط وأوروبا الغربية وأوروبا الشرقية والأمريكتين. وتم تحديد عدد مماثل من الساعات الدراسية لكل قسم. وتم تخفيض المدة التي يجري فيها تدريس تاريخ أوربا الغربية من عام دراسي كامل إلى ربع عام. وعند دراسة التاريخ الأمريكي ألغى من البرنامج الدراسي جيفرسون وجاكسون والحرب الأهلية (!) وفترة إعادة البناء التي تلتها. ولم يبق سوى دراسة الدستور ثم قفزة تتجاوز مائة عام للوصول إلى عام ١٨٧٧ الذي تقرر فيه إعطاء السود حق التصويت.

في عام ١٩٨٩ تم تشكيل لجنة لمتابعة البرامج الدراسية تضم ١٧ عضواً. ورغم أن أعضاء اللجنة ليس من بينهم مؤرخ واحد فقد قرروا أن التغييرات التي أدخلت على البرامج الدراسية في مادة التاريخ ليست كافية. وأعربوا عن اعتقادهم أن البرنامج الدراسي يشوبه العنصرية والانحياز للعرق الأوروبي. وقررت اللجنة أن هذا هو السبب في عدم استطاعة عدد كبير من الطلاب - الذين ينتمون لأصول غير أوربية - تحقيق الإنجازات المنتظرة في هذه المادة.

ربما يمكن أن نعرف ما يجب أن تكون عليه البرامج الدراسية اللائقة من آراء أعضاء اللجنة. كان من بين أعضاء اللجنة الدكتور ليونارد جيفريس الأستاذ بسيتي كوليدج في نيويورك. ويعتقد جيفريس أن الأوروبيين يتسمون بالبرود ويميلون إلى الفردية والمادية. كما يعتقد أنهم عدوانيون وأنهم هم الذين جلبوا للعالم الآفات الثلاثة التي تتمثل في الدمار والقهر والموت. وفي مقابل ذلك فإن الإفريقيين في رأيه هم أبناء الشمس الذين يتمتعون بقدر أكبر من اللياقة البدنية ويتسمون بالدفء والإنسانية والود. ومن بين ما يعلمه لطلبته في سيتي كوليدج أن تمويل تجارة العبيد الأمريكية كان يأتي من يهود أثرياء. وجدير بالذكر أن هذا الرجل لا يعد من الشخصيات الهامشية الواهمة، وإنما هو واحد من أعضاء لجنة متابعة البرامج الدراسية في ولاية نيويورك، وهي ثاني أكثر الولايات تعداداً في الولايات المتحدة. ولا غرابة في نشأة عنصرية فاشية على غرار الجيش المدني الذي يتزعمه الزعيم العنصري لويس فارخان إذا كان هذا ما يدرس في المدارس الأمريكية.

ولا يصل شطريت في تطرفه إلى هذا الحد، وبالطبع فلا وجه للشبه بينه وبين فارخان، إلا أنه من المؤسف أن تصدر عنه تصريحات مشوبة بالعنصرية في نفس الاتجاه. يقول شطريت: "إن الأغلبية العظمى من تلاميذ مدرسة

روجوزين شرقيون، ومنهم مهاجرون جدد من الجمهوريات الآسيوية فى الاتحاد السوفيتى السابق. وهم شباب وفتيات رائعون ويتمتعون بذكاء نادر. ولديهم فضول معرفى شديد وحب للحياة يجب أن يتبناه الإشكناز الذين يميلون إلى الحزن والكآبة. لماذا يجب أن نحول قضية عادلة، تم فيها محاربة الظلم الواقع، إلى عنصرية تحت زعم السعى لإصلاح التمييز الواقع..؟ هل السبب فى إدانة العنصرية هو أنها قاصرة على الظالمين..؟ هل الرد على قول شطريت إن "أيديولوجية الصفوة فى دولة إسرائيل ترى أن تخلف الشرقيين يرجع إلى الجينات الوراثية"، يجب أن يكون الزعم بالتفوق الجينى للشرقيين..؟ لا شك أن العنصرية أيضاً ليس لديها القدرة على حل المشكلات. لقد أراد المحلفون فى قضية أو. جي. سيمبسون الشهيرة الانتقام من المحكمة بتبرئة رجال الشرطة الذين ضربوا رودنى كينج. وقد اعتقدوا أنه فى حالة قيام محلفين بيض بتبرئة رجال شرطة اعتدوا بالضرب على مواطن أسود ستكون مهمة المحلفين السود الانتقام من المحكمة عن طريق تبرئة مجرم أسود. ومن هنا جاءت البراءة فى تلك القضية التى كان من الواضح للجميع فيها أن المتهم قد ارتكب جريمة القتل بالفعل. فقد كانت دماؤه موجودة بالقرب من دماء الضحايا، وكانت دماء الضحايا موجودة فى سيارته وفى منزله. ولكن تم استبعاد بعض الواقع عن طريق نظرية المؤامرة. وزعم الدفاع عن المتهم أن رجال الشرطة البيض قد تآمروا واختلقوا كل هذه الأدلة.

ولكن هذا السلاح سلاح خطير. فإذا كانت العنصرية البيضاء تعطى الشرعية لوجود عنصرية سوداء، ألا يعنى ذلك أن شرعية العنصرية السوداء تعود لتضفى الشرعية على العنصرية البيضاء..؟ هل الأسود الذى يعتقد بوجوب الحكم على المجرم بناءً على أصله العرقى وليس بناءً على أفعاله يمكنه أن يعترض على تصرف الأبيض الذى يفعل نفس الشيء..؟ طرح هذا السؤال صراحة فى أعقاب محاكمة سيمبسون. وكتب كريستوفلر دردان وكيل النيابة الذى تولى مهمة الادعاء فى القضية بعد انتهاء المحاكمة ما يلي:

"باعتبارى من الشباب فقد بدت لى العنصرية كسكين حاد النصل، يستخدم البيض نصله لقمع السود. والآن أدركت أن عنصريتنا من الممكن أن تكون خطيرة وغادرة كتلك التى ناضلنا ضدها على مدار مئات السنين. إننى أرى العنصرية لدى بعض من يدعون أنهم يمثلون الأفروأمريكيين. وأرى العنصرية لدى مجتمع يرفض الاعتراف بمسئولية أحد أبنائه عن تصرفاته. وأرى العنصرية فى نفسي. والعنصرية هى سلوك غير أخلاقي، وقد كان دائماً غير أخلاقي. لا يمكننا أن نهزم العنصرية التى نتعرض لها عن طريق التصرف بعنصرية. ولا يمكننا تفنيد الآراء المسبقة عن طريق إنكار العدالة."

وما ينطبق على القضاء ينطبق على التعليم أيضاً. فمن يشجع اعتناق أحد الأطراف لآراء مسبقة يضفى الشرعية دون قصد منه على اعتناق الطرف الآخر للآراء المسبقة.

تقوم آراء شطريت التى حاول بها تفسير التفاوت فى المستوى التعليمى بين أبناء الأحياء الفقيرة وبين أبناء الأحياء الغنية على مزاعم مماثلة لتلك التى طرحها ذوو الأصول الإفريقية فى الولايات المتحدة. وقد توصل - من حقيقة أن البرامج الدراسية تبخس الجاليات العربية حقها وتقلل من شأن دورها فى الثقافة اليهودية - إلى نفس النتيجة التى توصلت إليها لجنة متابعة البرامج الدراسية فى نيويورك. فهو يعتقد أنه لا محل لتدريس ثقافة يهود الغرب للطلبة الشرقيين، وأن هذا هو السبب فى انخفاض درجاتهم عن المتوقع. "فهم يدرسون بالفعل ثقافة وتاريخ شعب آخر، ويعانون من إنكار حقهم فى تعلم ثقافتهم وتاريخهم. وبالتالى فإن هناك اغتراب يؤدى إلى عدم الاهتمام، ولن يؤدى عدم الاهتمام بالدراسة إلى الحصول على درجات مرتفعة". وكتب شطريت فى نفس المقال يقول: "الصهيونية هى غاية المراد. وجميع البرامج الدراسية تقاس حسب إسهامها لصالح الحركة الصهيونية. لم يحاول أحد أن يقول للطلاب الشرقيين إن الصهيونية هى شأن يخص الإشكناز وحدهم، ولا علاقة له بواقع يهود الشرق المختلف عن واقع الإشكناز. ولم يحاول أحد أن يدرس تاريخ يهود الشرق بعيداً عن العنصر الثانوى المسمى بالصهيونية الإشكنازية". والحق أن المؤسسات الصهيونية فى ظل حكم ماباى لم تفكر أبداً فى أن ثقافة يهود الشرق تستحق الدراسة، ولكن هل يؤدى بنا هذا إلى استنتاج أن الصهيونية هى عنصر ثانوى فى حياة اليهودى الشرقى المقيم فى إسرائيل..؟

لم تكن المشاحنات بين أنصار الأيديولوجية الصهيونية وبين أنصار حركات التحرر الاجتماعى من قبيل الصدفة. حيث تنظر حركات التحرر الاجتماعى إلى الهوية القومية على أنها نفس النوع المقنع من أنواع قمع الأقليات الذى تجده فى الدعوة إلى العولمة. فهوية الإنسان لا تتكون سوى من عنصر واحد وهو كونه مختلف، أو عضو فى جماعة من الأقليات أو مضطهد. والاضطهاد هو جوهر الهوية. وبالطبع فإن هناك مشكلة مبدئية فى وجهة النظر المذكورة. إذ أنها تميل إلى تكريس الاضطهاد. فكل من ينجح فى تجاوزه يصبح خائناً. وكل من "يتسلل إلى الجامعة" رغم انتمائه للأقلية العرقية يصبح "مصانعاً للإشكناز" أو "مصانعاً للبيض". وكل من يشعر بهويته كإسرائيلى أو أمريكى أكثر من شعوره بهويته كشرقى أو ذو أصل أسباني، وكل من يسعى إلى التنكر للظلم والاضطهاد والاندماج كفرد طبيعى فى

المجتمع إنما يتعاون مع القمع. وبما أن عناصر التميز فى الثقافة المشتركة ليست هى وحدها التى تعد قمعاً، فإن الثقافة المشتركة بكاملها ليست سوى مؤامرة لمحو هوية الأقليات، ولذلك فلا يجب المشاركة فيها. ولذلك لابد من الاعتزال خلف مزاعم الاضطهاد والتمسك بالهوية المضطهدة التى تعد الهوية المؤكدة للمضطهدين وحدها دون سواها. وكما تقترح أورلى لوبين على النساء قراءة الأدب قراءة نقدية، وقراءته من وجهة نظر نسائية وليس إنسانية، كذلك شطريت يقترح على الشرقيين أن يتفاخروا بانتماءاتهم الشرقية وحدها ويقترح عليهم التنكر لهويتهم الإسرائيلية. وكما حدث مع الحركة النسائية الجديدة، فقد كانت النتيجة التى توصل إليها هى التمسك بالانفصال عن المجتمع وإنكار العناصر المشتركة مع الآخر. وقد عبر عن ذلك على النحو التالى فى مقال فى مجلة "عيتون آحير":

تعالوا نبدأ بالانفصال. وأقصد الانفصال بغرض الدفاع وليس بغرض الهجوم حاشا لله. فالانفصال وحده هو الذى سيتيح لنا إعادة بناء هويتنا المنهارة. دعونا لحالنا. أعطونا نصيبنا من أموال الضرائب وسوف نعمل نحن على تعليم أبنائنا. إننى أدعو كل الشرقيين الذين لم تفسد روحهم بعد إلى البدء فى حفر حفرة لدفن الاندماج الاجتماعي. نحن اليوم فى حاجة للفصل بين الطرفين فى مجال التعليم، مادياً وفنياً، من حيث التمويل والبرامج الدراسية. والانفصال وحده هو الذى سيمكننا من إعادة بناء هويتنا المنهارة ودعم ثقافتنا وفكرنا المنهارين. إننا نريد تنشئة أجيال من الشرقيين تتمتع بالكمال والكبرياء".

والطريق إلى الكبرياء لا يمكن أن يكون فى مشروع مشترك للمستقبل وإنما يكمن فى الجذور، وفى الماضى المنفصل. لذلك فإن التاريخ والأدب - حسبما يوضح آرثر شلزينجر فى كتابه "انفراط عقد أمريكا"- "لابد فى رأى حركات التحرر الاجتماعى من دراستهما ليس كأنظمة ثقافية وإنما كآلية لجعل الأقليات تشعر بالتقدير لنفسها". ومن وجهة نظر شطريت فإن وزارة التعليم تقوم بتقييم البرامج الدراسية بناء على إسهامها فى رفع شأن الحركة الصهيونية فقط، أما هو نفسه فيعرض علينا تقييمها بناء على إسهامها فى تحقيق الكبرياء العرقى فقط.

يجرى التعامل مع الأدب والتاريخ من هذا المنطلق فى الولايات المتحدة منذ سنوات طويلة. ففى عام١٩٩٢ دخلت إلى المقررات الدراسية التى تشرف عليها لجان التعليم المحلية سلسلة من المقالات بعنوان "مقالات أساسية عن الأمريكيين ذوى الأصول الإفريقية". وقام بتحريرها عالم النفس التربوى "آسا هيليارد". وقد كان الزعم الرئيسى فى هذه المقالات هو أن "إفريقيا هى مهد الحضارة الغربية". فمصر - التى كانت دولة إفريقية سوداء حسب رأى هيليارد - هى مصدر النظريات العلمية والفلسفية التى ينسبها الغربيون لليونان. وقد كانت إفريقيا هى التى اخترعت وسائل منع الحمل، وكانت هى التى اخترعت الفولاذ. وهى التى قامت بنقل العلوم والفنون والطب إلى أوروبا. وعلى سبيل المثال فقد كان بيتهوفن حسب زعمه أوربى من أصل إفريقي(!). كما كان المصريون أول من اكتشف أمريكا قبل كولومبوس، وهم الذين وضعوا الأساس لنظرية بقاء الطاقة. وهم الذين فهموا الطابع المزدوج للنور كجزيئات لها أطوال موجية. وهم الذين وضعوا نظرية أصل الأنواع والتطور التى تنسبها لداروين. كما كانوا يتمتعون بقوى خارقة للطبيعة مثل القدرة على التخاطر وقراءة الأفكار وغيرها من القدرات البشرية التى لم نعمل على تطويرها بالقدر الكافي. ولا تزال القائمة طويلة. وقد تآمر الغربيون لإخفاء هذه الحقائق حتى يمكنهم التعالى على الأفارقة وقمعهم.

لا ينطوى القول بأن وضع هذه المقالات مشوبه على أى مبالغة. فالزعم بأن كليوباترا سوداء البشرة يرتكز على الزعم بأن شكسبير وصفها فى مسرحيته "أنطونيو وكليوباترا" بأنها Tawney (وهو لون بين البني والأصفر). وغنى عن البيان أن شكسبير الذى عاش بعد عصر كليوباترا بألف وستمائة عام لا يمكن أن يكون مصدراً موثوقاً به لوصف لون بشرتها. كما أن صدق ما قيل عن العلوم المصرية غير أكيد. وكاتب المقالة لا يمكن أن يكون مصدراً موثوقاً به فى هذا المجال. ورغم كل ذلك فقد أصبحت هذه المقالات جزءاً من المقرر الدراسى فى المدارس العامة فى بورتلاند وأورجون وميلوكى وإنديانابولس وبتيسبرج وواشنطن وريتشموند وأطلانطا وفيلادلفيا وديترويت وبلتيمور اعتباراً من عام ١٩٩٢ . وذهب الأمر فى بورتلاند إلى أبعد من ذلك. فقد علمنا المسئول عن دراسات التعددية الثقافية هناك أن ضياع أنف أبو الهول هو جزء من المؤامرة البيضاء. وفسر ذلك بقوله إن نابليون أصدر تعليماته لمدفعيته بإزالة الملامح السوداء التى كانت تكسو وجه التمثال العملاق حتى يطمس الأدلة التى تشير إلى أن المصريين القدماء كانوا سود البشرة. وقد كتب روبرت يوز الناقد الفنى بمجلة التايمز يقول: "لا يوجد أى دليل يمكن أن يدعم هذه المزاعم. ولكن لا يوجد أيضاً أى دليل يمكن أن يفندها..". وأتمنى ألا يكون شطريت يعرض علينا تدريس أشياء كهذه. وأعتقد أنه لا يقترح ذلك. ولكن القول بأن الصهيونية هى شيء ثانوى بالنسبة لذوى الأصول الشرقية هو تحريف للحقائق دفاعاً عن الكبرياء. وقد كان له فى هذا الصدد شركاء فى وزارة التعليم عندما كانت تحت سيطرة حزب ميريتس.

كانت النتيجة التى توصل إليها الأفروأمريكيين هى أنه فضلاً عن مشاركة التاريخ والأدب والقيم الغربية فى قمعهم فإن اللغة الإنجليزية نفسها تعد هى الأخرى أداة لمحو هويتهم. وقد كانت هذه المزاعم هى السبب المباشر فى ظهور

المصطلحات التى تراعى اللياقة السياسية. وهناك مزاعم مثيلة لها وردت كما سبق أن أشرت فى الكتيب النسائى الذى أصدرته وزارة التعليم الإسرائيلية. لقد استنتج الأفروأمريكيين أن السود لابد أن يدرسوا بلغة "إنجليزية سوداء" (كتلك الشائعة فى القارة الإفريقية) وأن الذين ينحدرون من أصول أسبانية لابد أن يدرسوا بالأسبانية وأبناء الهنود الحمر بالهندية، وهكذا. وسوف تكون نتيجة مثل هذا الإصلاح (الذى يجرى تنفيذه جزئياً فى الولايات المتحدة الآن، ولاسيما بالنسبة للتلاميذ الذين ينحدرون من أصل أسباني) ليس فقط الحيلولة دون أن يصبح الطفل الأسود فى أمريكا مؤرخاً له قيمة، وإنما أيضاً الحيلولة دون أن تكون لديه اللغة المشتركة التى تعد أول أدوات التقدم فى مجتمع يتحدث أغلبه باللغة الإنجليزية. وهذا الأمر شبيه بالمزاعم التى ساقها شطريت بشأن الإثيوبيين. فهو يصور نفسه لأول وهلة على أنه يدافع عنهم، وعلى أنه يهاجم بشدة العنصرية المنظمة من جانب الأطباء والمعلمين والجامعات، التى تتجلى فى تآمرهم جميعاً من أجل تصوير الثقافة الإسرائيلية على أنها ثقافة متفوقة عن ثقافة الدولة التى جاءوا منها. ولكن الآثار العملية لهجومه – الذى يعتبر المعايير المشتركة بين الطرفين تعالياً وعنصرية – تعنى فعلياً إبقاء الإثيوبيين فى معازل تحول بينهم هم وأولادهم وبين إمكانية النجاح فى المجتمع الجديد الذى هاجروا إليه. وبالفعل فقد اقترح عليهم شطريت فى مقالة كتبها للمجلة التى يصدرها اتحاد مهاجرى إثيوبيا إقامة مدارس منفصلة لأبناء الطائفة الإثيوبية.

ولكن الأكثر خطورة من ذلك هو أنه على المدى الطويل تسعى ثقافة الدعوة إلى التعددية الثقافية إلى تقويض الأساس المشترك الذى قام عليه مجتمع المهاجرين. ورغم ذلك فقد حققت حركات المساواة إنجازات لا يستهان بها، وإن لم تكن قد وصلت إلى الكمال بعد. وتستند هذه الإنجازات إلى الإيمان بالمبادئ المشتركة وبالدستور المشترك وبالطبع بالمستقبل المشترك. عندما قال مارتن لوثر كينج أنه يحلم، كان حلمه يدور حول المستقبل المشترك، وحول التنفيذ الفعال لمبادئ إعلان الاستقلال ولمبادئ الدستور. أما التعددية الثقافية فتهدد بتدمير هذه الإنجازات لأنها لا ترغب فى وجود مستقبل مشترك، وإنما تريد ماضياً منفصلاً ومستقبلاً منفصلاً. إذ أن العناصر المشتركة فى العالم تعد بشكل آلى داعمة للقمع والقهر. ولم تتجه سهام النقد إلى إساءة تطبيق المبادئ وإنما اتجهت إلى المبادئ ذاتها، ومن هنا كان العنوان الذى اختاره شلزينجر لكتابه هو "انفراط عقد أمريكا– The Disuniting Of America".

والسؤال المطروح هو، ألا يسعى شطريت إلى شيء مماثل عندما يطالب بالفصل بين الطرفين..؟ ألا يتسبب فى تدمير الأساس المشترك للحياة فى إسرائيل عندما يعلق الاتهام على فكرة الاندماج بين الطوائف لخلق مجتمع واحد وليس على التنفيذ الخاطئ لهذه الفكرة..؟ إن وصفه للصهيونية بأنها عنصر ثانوى هو تدمير للأساس المشترك الذى قام عليه المجتمع اليهودى فى إسرائيل.

رغم الحديث عن الحاجة إلى رواية جديدة للتاريخ تأتى من داخل المجتمع الأسود، ورغم تصوير نضال حركات التحرر الاجتماعى على أنه ثورة يقوم بها المقهورون، إلا أن الأمر ليس كذلك. فالمسألة عندنا وعند الولايات المتحدة سيان، وما لدى الدولتين هو حركة مثقفين. ففرض استخدام تعبير أفروأمريكيين بدلاً من تعبير سود لم يأت من القاعدة الشعبية وإنما جاء من الدوائر الأكاديمية والإعلامية. بينما من الناحية العملية، أغلب السود يعارضون هذا المصطلح. ففى استطلاع للرأى أجراه "المعهد المشترك للدراسات السياسية والاقتصادية" عام ١٩٩١ تبين أن ٧٢٪ من السود يفضلون وصف أسود فى مقابل ١٥٪ يفضلون وصف أفروأمريكي. وقد أجرت شبكة ABC وصحيفة الواشنطن بوست استطلاعات رأى كشفت عن نتائج مماثلة.

وقد اصطدمت دعوة شطريت بعداء فى حى "هاتكفا" لدرجة أن قلة عدد المقيدين للدراسة فى العام الدراسي١٩٩٦-١٩٩٧ أجبرته على الاستقالة. ومن المحتمل أن يكون هناك أساس من الصحة لما زعمه المسئولون فى جمعية "كيدما" من اضطهاد موظفى القيد لمدرستهم. ومن ناحية أخرى فمن المحتمل أن يكون شطريت نفسه هو المسئول عن الاغتراب الذى أحاط بمدرسته. ولا يرجع هذا إلى اندماج أبناء الحى فى الطائفة الإشكنازية، وإنما لأنهم شعروا من قراءة مقالاته أنه يسعى لسلبهم هويتهم الإسرائيلية باسم الكبرياء الشرقي. ويبدو أن الشرقيين لا يريدون أن يأتى الكبرياء الشرقى على حساب هويتهم الإسرائيلية، بنفس الطريقة التى يسعى بها الإشكناز إلى جعل الكبرياء الإشكنازى لا يأتى على حساب هويتهم الإسرائيلية. فكلا الطرفين يعتبر نفسه إسرائيلياً أيضاً، حتى لو لم يجعل الأولوية لهويته الإسرائيلية. وحيث أن شطريت يدعو لاستهجان الهوية الإسرائيلية باعتبارها قمع، فإنه يعرض على أولياء أمور تلاميذه المحتملين التنازل عنها لصالح هوية جماعية معينة. وهو يفسر انتماء كل هذا العدد الكبير من الشرقيين إلى المعسكر القومى السياسى – الذى يعرض على أنصاره هوية إسرائيلية تتسم بالكبرياء – بأنه نتيجة للإكراه. فقد أدى الاندماج فى المجتمع الذى فرضه النظام الإشكنازى على الشرقيين إلى تعليمهم كراهية أى شيء شرقى حتى العرب، ولكن من المحتمل أن يكون تفسير ذلك الأمر أبسط من ذلك بكثير. فليست هذه المرة الأولى التى

تتساق فيها جماعة من المهاجرين إلى الوطنية بشكل غريزى ومن خلال الرغبة فى الاندماج فى المجتمع الذى هاجرت إليه وترسيخ جذورها فيه. وهناك أمثلة عديدة ليهود كانوا يسعون لأن يكونوا أمريكيين أكثر من الأمريكيين أو فرنسيين أكثر من الفرنسيين أو أسبانيين أكثر من الأسبان.

لهذه الأسباب أدى احتفال "كيدما" بذكرى النكبة النازية- التى يتم فيها إيقاد ست شموع- إلى ضجة وغضب فى حى "هاتكفا" عندما قام شطريت بوضع شمعة سابعة لذكرى نكبات شعوب أخرى. فرغم أن النكبة النازية ترتبط بماضى يهود أوروبا إلا أنها أصبحت رمزاً قومياً بكل معنى الكلمة. وأعتقد أن غضب أبناء الحى فى هذه الحالة أيضاً كان يرجع إلى شعورهم بأن شطريت يهدد بحرمانهم من الارتباط برمز موحد. فاختياره عدم الاعتراف بالوضع المميز للنكبة اليهودية، هو دعوة لتلاميذه للابتعاد عن الجماعة، كأنه يقول لهم إنهم ليسو شركاء فى هذا الرمز. ولا شك أن التلويح بالنكبة لتبرير العنف الإسرائيلى على النحو الذى أجاده مناحم بيجين هو أمر قبيح. فالتعرض للإضطهاد ليس تبريراً لانعدام الأخلاق، كما أن الاضطهاد الذى تعرض له السود فى أمريكا ليس مبرراً لعدائهم للسامية. وربما يكون استخدام ذكرى النكبة على النحو المذكور أكثر استفزازاً فى نظر شطريت الذى يعتبر حركات التحرر الاجتماعى أهم ما يقتدى به باعتباره خريج جامعة كولومبيا. فقد كان هذا فى نظره محاولة من الفئة التى يعتبرها مسئولة عن القمع لاحتكار الشعور بالاضطهاد أيضاً. ولكن الطريقة التى استخدم بها شطريت هذه المراسم لا تختلف كثيراً عن طريقة مناحم بيجين. ولكنها فقط جاءت فى الاتجاه المعاكس. وفى كلتا الحالتين يحاول كل منهما أن يظهر فى صورة المضطهد، غير أن هذا للأسف الشديد يجرى على حساب ما تمثله هذه الذكرى من حداد وحزن صادق.

ولشديد السخرية فإن شطريت نفسه الذى يتهم الجميع بالتعالى لم يتقبل حكم مواطنى حى "هاتكفا" على السياسة التى اتبعها. وبعد أن أجبروه على الاستقالة اتهمهم بغطرسة شديدة بأنهم لا يدركون أنه يعرف ما فيه صالحهم أفضل منهم. وكان من بين ما قاله:

"تظهر نتائج الاختيار أن أولياء الأمور يميلون إلى الهروب من البيئة التى ترتبط لديهم بالفشل. وبالنسبة للشرقيين فإنهم يهربون من الهوية الشرقية... يهربون من أنفسهم ومن هويتهم. وأسلوب الاختيار يسمح لهم بالهروب.. فليس لدى أغلبيتهم وعى شرقى ناضج. فأنا منهم. وعدم ثقتهم بى وبجمعية "كيدما" كأنه انعدام للثقة بأنفسهم. فأنا مرآتهم. إنهم ينظرون لى فيرون وجوههم، ويخافون مما يرونه فى المرآة".

وبالتالى فإن شطريت هو كل الشرقيين، ولكنهم لا يفهمون ذلك حتى الآن. وهو يعلم أنه لابد أن يختار لهم، وألا يقبل باختيارهم الذى اختاروه بإرادتهم الحرة لتحديد مصيرهم، لأن هذا الاختيار يتيح لهم الهرب مما يعرف شطريت أنهم لا يجب أن يهربوا منه. فشطريت يمثل هويتهم الحقيقية. ومن البديهى فى نظره أنهم يريدون الهروب من هويتهم الشرقية. ولكن جدير بالذكر أن مرآة شطريت لا تعكس هوية شرقية عادية، وإنما تعكس هوية شرقية تتسم بالتطرف العرقى وتميل للانعزال وتعارض فى وجود أى مجال مشترك مع الآخر. وهى من الناحية العملية لا تمثل هوية شرقية مؤكدة بقدر ما تمثل نظريات جديدة فى أمريكا.

لم تكن مطالبة شطريت لأهالى حى "هاتكفا" بأن يكونوا فخورين بحيهم – وأن يقول الواحد منهم "أنا من حى هاتكفا" وهو يشعر بالفخر – مجرد مطالبة لهم بالتحلى بالكبرياء الشرقي. وذلك لأن حى "هاتكفا" ليس حياً شرقياً فحسب ولكنه أيضاً حى فقير. وإذا كان أولياء الأمور يهربون من البيئة التى ترتبط عندهم بالفشل، فليس معنى هذا أن الشرقيين يهربون بالضرورة من الهوية الشرقية. فقد يكون هربهم ناجماً عن الفقر أيضاً. وبالتالى فإن مطالبة شطريت لهم بعدم السعى إلى الهروب من الحى كأنه مطالبة لهم بالتمسك بالفقر. فهو يعرض عليهم الجمع بين الهوية الشرقية والفقر والتفاخر بالفقر بدلاً من السعى إلى الهروب منه. ومن الصعوبة بمكان أن نتفهم تقبل أى شخص للسكن فى ظروف متردية بسبب أصله وتركه السكن الأفضل لذوى الأصول الأخرى.

بناء على ما سبق، هناك انطباع بأن شطريت يسعى إلى وضع مرآة أمام وجه المجتمع الإسرائيلى كله وليس أمام أبناء حى "هاتكفا" وحدهم. فهو يطلب من سكان الحى ما تطلبه لوبين من الأدبيات، وهو التعبير عن الاحتجاج على الأزمات التى يتعرضون لها، والتحصن وراء هوية منفصلة تعبيراً عن الاضطهاد حتى يكونوا شاهداً حياً فى صحيفة الاتهام ضد المجتمع الإسرائيلي. كما يطلب منهم تحويل مشكلاتهم إلى علم يجمعهم وأيديولوجية يعتنقونها. ويمكن أن نفهم من تصرف أهل الحى أنهم لم يتحمسوا لأن يصبحوا أداة يناطح بها شطريت كل ما يشتبه فى أنه إشكنازي، وأنهم لا يريدون أن يصبحوا شركاء فى المشروع الذى يسعى إلى الحط من شأن الصهيونية، وأنهم لا يسارعون إلى تحويل مشاكل الثقافة والهوية من ناحية ومشاكل الأزمة الاقتصادية من ناحية أخرى إلى حملة للانتقام من النظام. وعلى أى حال فإنهم لن يفعلوا ذلك إذا كان سيعرض مستقبل تعليم أبنائهم للخطر.

عندما تم الإعلان عن نتائج الانتخابات وهزيمة حزب العمل احتفل شطريت بهذا الانقلاب السياسى فى صفحة

كاملة كتبها فى صحيفة "هاعير" تحت عنوان "فرحة الفقراء". كتب فيها ما يلي: "باعتبارى مواطناً شرقياً فى إسرائيل يدرك مدى تحكم الطبقة الإشكنازية الصهيونية العلمانية فيه.. كان من الصعب ألا أشعر بالفرحة لسقوط إمبراطورية حزب ماباي". وبين صيحات الفرح لسقوط النظام الإشكنازي- الذى صوره على أنه مقدمة لثورة اجتماعية- لم يتطرق المقال إلى أن الحزب المنتصر هو حزب يؤيد انتهاج سياسة لا تميل للدعم الاجتماعي، لأنه حزب رأسمالى يفترض أن يلحق الضرر بالطبقات التى يدعى شطريت أنه يعبر عنها. وما بين جزيل الثناء الذى وجهه لناخبى حزب شاس على ما وصفه بنضجهم السياسى وبين سروره على ذهاب حزب ميريتس إلى المعارضة كان من الصعب ألا نعتقد أن الانتقام من النظام يسعده أكثر مما يكدره سقوط معسكر السلام الذى ينتمى إليه، أو ميل الحكومة الجديدة إلى اتجاه اليمين فى سياستها الاقتصادية والاجتماعية.

ولشديد السخرية فقد كان شطريت نفسه ربيب ذلك النظام الذى شعر بهذه السعادة الشديدة لسقوطه. وقد كان سكان حى "هاتكفا" هم الذين جعلوه يستقيل من إدارة جمعية "كيدما"، بينما كانت وزارة التعليم فى الفترة التى كان يتولاها فيها حزب ميريتس هى التى دعمته وعينته فى ذلك الموقع. وفى الوقت الذى حاربه فيه مجلس سكان حى "هاتكفا" أعلنت صحيفة هاعير – التى تعبر عن اليسار – أنه ممثل سكان هذا الحي. وقامت الصحيفة من خلال مراسلها ران روزنيك بتصوير مدى تمسك سكان الحى به. وأخشى أن كل هذا لم يكن من قبيل الصدفة. إذ أن شطريت هو سوط فى أيدى طبقة مدللة تستخدمه فى جلد وتعذيب نفسها، أكثر من كونه المدافع عن مصالح المقموعين والمقهورين. فهو يساعد الذين يشعرون بالذنب من ناحية- ولكنهم من ناحية أخرى يرفضون تحمل المسئولية الاجتماعية الفعلية- على التطهر من ذنوبهم.

يتباهى الكتاب السياسيون الجدد بهجومهم على الفطرسة الثقافية. ويقول لنا كثير من الكتاب الذين يعتبرون أنفسهم متحضرين إنه لا يجب الحكم على الثقافات أو تصنيف مدى تفوق إحداها حضارياً عن الأخرى. ويقولون إننا لا يجب أن نتقبل التعالى الذى يعتبر ثقافة الآخر متخلفة. وبهذا المفهوم فإن موقف شطريت مريح بالنسبة لهؤلاء الكتاب. ولكن من وراء هذه الكلمات المتزلفة يعتقد أغلب هؤلاء الكتاب أن موقفهم متحضر مقارنة بمواقف أخرى أقل تحضراً. وهو ما يعنى أن موقفهم أرقى من المواقف الأخرى المتدنية. ورغم أن الشعارات التى يرددونها تخدم هذا الشعور بالتحضر، إلا أنها لا تفيد فى تفسير الواقع. فتباهى الكتاب بطهارة الذيل من موقع كتابتهم لا يحل مشكلات الواقع. وكالعادة فإن الأمثلة التى تدلل على ذلك تأتى نتيجة للتصادم بين أنواع القمع، ويبرز فى هذا الصدد تعالى النظام الصهيونى فى الخمسينات والستينات على اليهود المهاجرين من الدول العربية، الذين كان من الممكن والواجب منع قدر كبير من الاضطهاد الذى تعرضوا له. ولكن هذا الأمر يثير تساؤلاً يتعلق بمسألة أخرى: فهل إعطاء حق التصويت للنساء على سبيل المثال هو تصرف مستهجن حتى لو كان سيثير الشقاق فى الأسر القائمة على السلطة الأبوية..؟ وهل يجب منع ذلك بسبب الاعتقاد بأن ثقافة الآخر أدنى من ثقافتك..؟ من المؤكد أن منح هذا الحق يتم باسم التحضر الذى يعتبر الحط من قدر النساء عدم تحضر. ولكن إذا كان المرء يعتبر منح المساواة للنساء تصرفاً لا علاقة له بالثقافة، وأنه يجب القيام به لأن الحرية والمساواة هى حقوق إنسانية عامة فستكون النتيجة الحتمية لذلك أنه يعتنق قيماً معينة يقوم بتصنيف الثقافات المختلفة بناء عليها. ولا يمكن لأحد من الكتاب السياسيين أن يدعى طهارة الذيل فى هذا الصدد سوى من لا يجد فى نفسه حاجة لاتخاذ قرار فى هذا الشأن. ولكن من يعيش بيننا فى عالم الواقع مضطر لأن يتخذ قراراً بتأييد أو رفض هذا التصنيف.

الهوامش:

١- جرت العادة على أن يلتحق المواطن الإسرائيلى بالجيش لأداء الخدمة العسكرية فور إنهائه الدراسة الثانوية ولمدة ثلاث سنوات بعدها يلتحق الراغب بالجامعة بعد اجتياز امتحان القدرات.

٢- حى هاتكفا واحد من أفقر الأحياء الإسرائيلية.

◆ دراسات ◆



هنا والآن.. عمير بيرتس والحالة الإسرائيلية (الفصل السابع): المعجزة الأيرلندية

تأليف: يهوشع سوبول

يضع الوضع الحالى إسرائيل فى مرتبة مُتخلفة عن فرنسا بخمسين عاماً فى مجال تشريعات الحد الأدنى للأجور وسياسة الأجور بصفة عامة. والبرنامج الذى يقترحه عمير بيرتس فى هذا السياق يدعو عملياً إلى صياغة ميثاق اجتماعى جديد يحدد ضمن قانون أساسى واجب الأمة تجاه الفرد والأسرة على غرار ما حدث فى الدول الأوروبية بعد انتهاء الحرب العالمية الثانية.

يقول عمير بيرتس:

– التساهل والنفاق هنا فى مسألة الحد الأدنى للأجر غير محتمل. لقد اعتاد بنيامين نتنياهو كوزير للمالية فى حكومة شارون السابقة، اعتاد الإشادة بالنمو الذى حققته أيرلندا، غير أنه، بهذه المناسبة، أخفى عنا الجانب الآخر من قصة النجاح الأيرلندي، ألا وهو العلاقة بين المعجزة الأيرلندية وبين الحد الأدنى للأجر وسياسة الأجور المتبعة هناك.

ويسرد عمير بيرتس بعض التفاصيل، سافرت إلى أيرلندا بصحبة بوجى هرتسوج لدراسة الأمور على الطبيعة. وبعد أن درسنا جيداً ما يحدث فى أيرلندا اتضح لنا أن القاعدة الذهبية التى قام عليها نجاح الاقتصاد الأيرلندى هى قبل أى شئ آخر هو اتفاق تعاون بين أصحاب الأعمال والحكومة والعاملين. بعدها سألتهم: ما هو الحد الأدنى للأجر السائد لديهم، وعندما سمعت الرد كدت أفقد وعي. (مرة أخرى نذكر الحقائق: الحد الأدنى للأجر فى إسرائيل ٣,٧ دولار فى الساعة. وفى الولايات المتحدة ٥,٩ دولار فى الساعة. وفى انجلترا ٦,١ دولار فى الساعة. وفى أيرلندا ٩,٣ دولار فى الساعة..!).

ليس هناك مكان فى العالم تؤدى زيادة الحد الأدنى للأجر فيه إلى البطالة. ولا توجد أى أدلة قياسية على ذلك. وأى إدعاء ضد زيادة الحد الأدنى للأجر يقوم على تفسيرات قديمة، فيقولون لك: إن تكلفة العمل ستزيد ولن يتسنى لأصحاب الأعمال تشغيل عمال فى إسرائيل، وبالتالى سيأخذون رؤوس أموالهم وينقلون مشاريعهم إلى أماكن يكون أجر العامل وتكلفة العمل فيها أرخص. ولكن يتضح لنا من خلال النموذج الأيرلندى أن ذلك لم يحدث فى أيرلندا. فزيادة الحد الأدنى للأجر وتكلفة العمل لم تتسبب فى هروب رأس المال الوطنى أو الاستثمارات الأجنبية من أيرلندا. العكس هو الصحيح. عندما تزيد تكلفة العمل يتحسن أداء القوى البشرية أيضاً، الأمر الذى يسمح باستخدام أكثر للوسائل التكنولوجية، وتوسيع رقعة التسويق، وتمديد مظلة الحماية لوسائل الإنتاج ذاتها. أما رخص تكلفة العمل فهو بمثابة إغراء لأصحاب العمل للإبقاء على التخلف التكنولوجى للصناعة، فاستخدام عشرة عمال فى مكان يحتاج إلى تطبيق التكنولوجيا الحديثة هو أقل تكلفة من جهاز كمبيوتر واحد أوعملية إنتاج تكنولوجية واحدة. باختصار فإن الإبقاء على الحد الأدنى للأجر منخفضاً هو ضمان لغلبة التخلف على التنمية التكنولوجية الحديثة.

أما عن النموذج الفرنسى الذى أشرت إليه أجاب عمير بيرتس:

– نفترض أن المعارضين لوضع قوانين تقدمية فى موضوع الحد الأدنى للأجر جاءوا وقالوا: لا تقارن فرنسا

بإسرائيل. وستكون حجتهم أن القوة الشرائية فى فرنسا كبيرة، أما عندنا فالتصدير هو العنصر الأهم بالنسبة للنمو الاقتصادى. نفترض أنه حتى إذا كان هذا الكلام صحيحاً، فلو استمر لديك عمال يحصلون على ٢٠٠ أو ٣٠٠ دولار فلن تكون أمامك فرصة للاستثمار فى تطوير تكنولوجيات التصنيع الحديثة، لأنه سيكون من الأفضل لك أن تنفذ كل شئ بالطريقة التقليدية المتاحة فى الانتاج. وعندئذ تكتشف بسرعة فائقة أن التخلف التكنولوجى فى الانتاج يؤدى إلى منتجات متخلفة من الناحية التكنولوجية، ولا تستطيع أن تنافس فى الجودة أمام الدول التى استثمرت فى تطوير تكنولوجيات الانتاج المتطورة، لأن قوة العمل البشرية التى تتطلبها مُكلفة.

بالإضافة إلى أن معارضى رفع الحد الأدنى للأجر يصرون على التجاهل التام لعدم ارتباط القوة الشرائية للجمهور بمضاعفة رأس مال عشرة مليارديرات ومائة مليونير: بل إنه يرتبط فقط لاغير بزيادة حصة المبالغ الفائضة لدى جمهور المستهلكين. فطالما أن ٧٠٪ أو ٨٠٪ من الشعب تعيش حياة الكفاف، لن تكون هناك نهضة للاقتصاد. تلك هى الحقيقة التى يحاولون تجاهلها بأى ثمن.

❖ قضية 'شعب واحد' ودروسها المُستفادة:

- سألت عمير بيرتس، ما الذى دفعك إلى تشكيل حزب عام أحاد (أو شعب واحد)، وما الدروس التى استخلصتها من هذه المسألة..؟

- جاء رد عمير وكأنه يفكر بصوت عال، قصة "شعب واحد" شديدة التعقيد. لقد بدأت القصة باللُغز الكبير: كيف يمكن أن تكون البروليتاريا(١) الإسرائيلية مَحسوبة دائماً على اليمين. كيف تطور الأمر لدرجة أن الحركات اليسارية، التى يُفترض أنها كانت الحضّانة لكل الجماعات العمالية بمختلف أطيافها، قد تحولت إلى نوادى للنخبة لم تنضم إليها البروليتاريا الإسرائيلية ولم تجد فيها مكاناً.

وبمرور السنين زادت الهوة اتساعاً بين الواقع اليومى لعمال إسرائيل الذى كان يمثل واقع حركة العمل، وبين تصويتهم الذى كان يأتى لصالح الليكود. فالواقع كان ينتمى لحركة العمل أما الوعى فيميل إلى اليمين. وهذا الوضع الغريب كان يتطلب إجراء تحليل عميق.

كان من المعتاد اعتبار أن الواقع يشكل الوعى. لكن فى الواقع الإسرائيلى يمكنك أن تكون طوال اليوم داخل مجتمع العمال، لتقضى معهم الوقت والطاقة، وأن تتجول طوال اليوم فى حارات المعاناة، وفى المساء تجد نفسك فى نقاش سياسى فى مركز حزب العمل ويجلس بجانبك رجال صناعة كبار ومدراء شركات من علية القوم.

سألت نفسى كيف يحدث هذا وكيف يستمر ولماذا لا تعمل الزعامة التقليدية لليسار على احتواء حقيقى لهذه الشرائح المهمة من السكان التى كانت هى الجمهور المستهدف لكل نشاطات اليسار فى يوم ما. لقد تولد عندى شعور بأنه إذا كانت زعامة اليسار أدركت كيف تقترب من البروليتاريا الإسرائيلية الحقيقية، لاستطاعت أن تؤثر عليها تأثيراً كبيراً وأن تشكل وعيها بالفعل. لقد فشلت هذه الزعامة فى إدراك كيفية إعطاء هذه الشرائح من السكان الشعور بالانتماء.

من هنا استنتجتُ أن السياسة الإسرائيلية ليس بمقدورها مواجهة شعور واحد أساسى، وهو الشعور بالانتماء. الانتماء إلى جماعة، أو إلى حزب، أو تيار. والاختبار الذى فشل فيه اليسار الإسرائيلى فشلاً ذريعاً كان هو منح الشعور بالإنتماء للبروليتاريا الإسرائيلية الحقيقية. لقد أخفق اليسار الإسرائيلى أن يكون شريكاً فى هذا الشعور. فلا انتماء للصهيونية، ولا انتماء إلى بناء الدولة. ونمت نظرية تفرق تماماً بين صهيونية ملموسة مُتحققة وبين صهيونية يمكن اعتبارها 'صهيونية بالإكراه'. فقد كان هناك صهيونيون حقيقيون فى نظر أنفسهم، وآخرون كانوا فى نظرهم صهيونيين رغماً عنهم. ولست واثقاً أن يُقبل هذا التصور من منظور الموضوعية التاريخية. ولا أعرف هل إذا كان الشخص الذى اعتبر دولة إسرائيل أمله لأنه آمن بذلك بسبب مصادر الاعتقاد الدينى، تكون قوة صهيونيته أقل من شخص آخر قرأ هرتسل فجعله يذهب إلى دولة إسرائيل. ولست واثقاً ما الذى يعطى قوة أخلاقية أكثر أو ما الذى يتسم بشرعية أكثر فى أن يُسمى صهيونياً.

حتى الهجرة الثانية، التى جلبوها كنموذج للهجرة الأيديولوجية، التطوعية الطليعية، كانت فى أغلبها على هذه الشاكلة، ولكنها ضمّت فى جزء منها شبان هربوا من روسيا بعد فشل ثورة ١٩٠٥(٢) لأن الشرطة القيصرية لاحقتهم، ولو تم القبض عليهم لكان مصيرهم السجن، فى غياهب سيبيريا. ويبدو أن بعضاً لا بأس به ممن تطور وعيهم وأصبحوا من زعامات الهجرة الثانية قد جاءوا إلى البلاد من باب الاختيار الأسهل تقريباً. وكما نعرف فإن غالبية الهجرة الثانية قد غادرت بعد ذلك. وهناك أعداد كبيرة عادت إلى أوروبا وبعضهم هاجر إلى الولايات المتحدة الأمريكية.

وهؤلاء الذين هربوا من روسيا وجاءوا إلى إسرائيل لأن الشرطة القيصرية لاحقتهم، بعد أن وصلوا هنا كان من السهل عليهم أن يتحدثوا عن هجرتهم إلى إسرائيل وكأنها تمت بدوافع أيديولوجية خالصة. كذلك بعد الحرب العالمية الأولى، مع انهيار وتفكك الإمبراطورية النمساوية - المجرية وضمت فجأة مناطق مثل جاليتسيا إلى بولندا وبدأت مضايقات وملاحقات معادية للسامية فى أماكن معينة، وعاش اليهود الذين فروا من هناك فى معاناة وشعروا معها وكأن الأرض تشتعل من تحت أقدامهم. ولا مجال للتحدث عن الهجرة الرابعة التى جاءت من بولندا نظراً لاندلاع موجات معاداة السامية هناك أيضاً، وبالتأكيد يصدُق هذا أيضاً على الهجرة التالية القادمة من ألمانيا ووصلت إلى إسرائيل عام ١٩٢٣ .

إذا راجعنا عدد الذين جاءوا إلى هنا ضمن هجرةٍ أيديولوجية حقة، فإننى اعتقد أنه عدد متواضع للغاية. بعد ذلك وضعوا سيناريو معين منحهم وضع "صهيونية المتحققة"، أى هجرة بدوافع أيديولوجية خالصة. فالذى يدفعنا للقيام بمثل هذا العمل أمر واحد، وبعدها يقولون لنا قصة أخرى تماماً. لذلك اعتقد أن التقسيم والتفرقة بين هجرة واقعية مُتحققة وبين هجرة نتيجة أزمة لهو أمر واجب للتأكد بعدسة مُكبرة إذا كنا نريد أن نعرف ماذا حدث فى الواقع.

لكن الحقيقة أن الواقع هنا ليس مُهماً إلى هذه الدرجة. فما أهمية أن انجح فى خلق هيكل أخلاقى لا أملك أية أدلة لإثباته أو آلية لتطبيقه، المهم أن يكون الهيكل موجوداً. وتحت هذا الهيكل عشنا عشرات السنوات وهذا بالفعل يرتبط بموضوع "شعب واحد" فى مرحلة لاحقة. والحقيقة الأهم لفهم البنية السياسية لإسرائيل هى أنه كانت هناك الكثير من التقسيمات السياسية بالطريقة التى قسموا بها أنماط السكان المهاجرين فى الهجرة الجماعية بعد قيام الدولة. المهاجرون جاءوا إلى إسرائيل، وهنا قاموا بعملية فرزٍ وقالوا: هذه المجموعة تنتمى إلى المفدال، وهؤلاء سيكون انتماؤهم للماباى، وهؤلاء للعامل الصهيونى (٢). واليوم من المفزع أن تفكر فى أن مستوطنات كاملة كانوا يقررون على أى حزب تقع مسئوليتهم، وكل شئ بموجب تقسيم سياسى تضعه القوى فى الوكالة اليهودية وفى مؤسسات الاستيطان. وما يؤسفنا أيضاً أنه حتى فى فترة الهجرة الأثيوبية لم نتخلص من ذلك. وحتى شرط استيعاب الأثيوبيين، بضرورة الدراسة فى مدارس دينية رسمية، كان جزءاً من الاتفاقات السياسية، ولم يسأل أحد عن الرغبة الحقيقية للمهاجرين الأثيوبيين أنفسهم بالنسبة للتعليم الذى يريدونه لأبنائهم.

- أنت نفسك لاحظت هذه الظاهرة عندما تأملت قصة استيعاب أسرة والديك..؟

- لقد بدت الروح الأسرية فى نظر السكان الذين استوعبوهم كشئ يُشبه نسمات الأصالة. هذه الروح الأبوية ذاتها كانت بمثابة عودة إلى الأصالة. وكلما فكرت اليوم فى ذلك، أجد فى أنهم قد نجحوا فى عمل شئ ما لهجرة الخمسينيات، نجحوا بصفة خاصة فى كسر الروح الأبوية. واليوم اعتقد، من خلال نظرة إلى الوراء، أن السكان المستوعبين كان عليهم إدراك أن قوة وطاقة الروح الأبوية الأسرية بمقدورها أن تكون حافزاً ليصبح الارتباط بالإسرائيلية الجديدة أسرع بكثير وأكبر نجاحاً. لكن السكان المستوعِبين (الحاضنين) لم يتمكنوا من فهم هذا الأمر، لأنهم هم أنفسهم كانوا غارقين فى الفكرة القديمة بأن الروح الأبوية هى تعبير عن الفطرة والسذاجة والرجعية.

انظر الآن ما يحدث عندما يبثون إليك ما يوحى ببعض لمحات تتشابه مع الفطرة والأصالة. فإذا كانت البنية الأبوية فطرية، فلغة منزل أبى هى فطرية، أى أن المغربية التى جاءت معنا كانت فطرية وتتسم بالأصالة. أنت تستقبل ذلك بصفة يومية، ساعة بساعة من المعلمات المجندات اللاتى جئن إلى المستوطنة. وفى غضون ذلك تعلم أنه ليس هناك ما يسمى لغة أصلية أو فطرية لوالديك. ولكن لتثبت أنك مندمج يجب أن تتحدث العبرية. وهنا برزت مشكلة. أن أمك لا تتحدث إلا المغربية. وعليك أن تتحدث معها أيضاً فى النهاية. وكأطفال كنا نعرف: عندما نسير فى الشارع، ونشاهد أحد الوالدين عن بُعد، كنا نسارع بالولوج فى أى طريق جانبى حتى لا نلتقى ونضطر للحديث معه فى الشارع بالمغربية. ولا بأس لو تحدثنا المغربية فى البيت. إنه شئ مزعج. وهذا بالطبع يفتح الباب على مصراعيه على صراع الهويات.

◆ جيل كامل يريد شخصية الأب:

عندما تفكر فى ما حدث لمجموعات كاملة من الشبان فى الوقت الذى فقد فيها الأب مكانته كشخصية ذات صلاحية حاسمة، وعليه أن يذهب للعمل، إذ لم يكن رجلاً بإمكانه أن يهتم بإعالتهم جميعاً، وفجأة تجد فئات كاملة من الشبان نفسها منزوعة الرقابة، وغير قليل منهم وجدوا أنفسهم بسرعة فى الطريق إلى السجن. إذا لم يكن قد طرأ على الذهن أولاً أن الشاب الذى سيُدخن من خلف ظهر والده، فإن نفس الشاب سيُصفر فجأة على أبيه إلى أن يسمح لنفسه بالتدخين بجوار الأب، وعندما يفعل ذلك فهو يُحطم فى ذات اللحظة مكانة الأب. فما حدث أن السلطة الأبوية دُمرت دون أن يحل محلها أى بديل، وعندما دُمرت هذه الصلاحية نشأ فراغ كبير وتربة خصبة للمشاكل. وما

حصل أنه فى مرحلة معينة عند وصول الشبان الذين جاءوا مع هجرة الخمسينات تحولوا إلى مجموعة توسم بالتخلف وانعدام القدرة على تحقيق أى انجاز والاختلاف، لأن الأبوين أنفسهما لم يكنا المثال والنموذج الذى تربى عليه الجيل التالى. لقد جاء الآباء وبدءوا فى العمل من أجل البقاء. نعم، عملوا من أجل البقاء. وتربى جيل كامل دون نموذج وفى فضاء كبير وفراغ بدلاً من شخصية الأب.

وعندما شرح عمير بيرتس النمو النفسى لأبناء جيل بلا أب، وجدت نفسى أفكر فى أنه ربما أصبح أبناء هذا الجيل زعماء سياسيين يمثلون الأبوة، وبسرعة كبيرة وصلوا إلى مرتبة "آباء الأمة". هل لم يكن بيجين بديلاً لمثل هذا الأب، الذى يحمل شخصية ومُقومات الأب لكل من سعى للإحتماء بأبوة قومية..؟ وأما شارون فكان يمثل تداخل غريب وخاص للأب والجد، وبالتالى كان باستطاعته أن يُلبى مؤقتاً المتطلبات النفسية لجيلين متتاليين فى نفس الوقت: أن يكون أباً لجيل كامل من أبناء حُرموا من الأب وأن يكون أيضاً ومؤقتاً جداً لجيل حُرم من الجد، لعلهم هم الإسرائيليين فى العقد الثالث من العمر أحفاد الآباء الذين تفرق جمعهم عند الهجرة إلى إسرائيل خلال حقبة الخمسينيات من القرن العشرين.

وبالفعل، عندما وصل شارون إلى نهاية المطاف كزعيم، تُوج بأثر رجعى باعتباره من "آباء الأمة"، وشعُر كثيرون باليُتم من بعده. فهل انتهى بذلك العهد الطفولى الإسرائيلي..؟ هل منذ ذلك الحين فصاعداً لن يبحث الشاب الإسرائيلى عن بدائل للأب والجد، ويتجه إلى اختيار زعمائه بناءً على ما يطرحونه من أولويات وجدول أعمال من أجل إصلاح أوجه الخلل الكثيرة فى المجتمع الإسرائيلى، حصيلة سنوات من إهمال التزامات وواجبات الدولة تجاه مواطنيها، لدرجة عدم تعريف ولدرجة تقليص وانتهاك هذه الالتزامات بشكل تام تقريباً على أيدى الحكومة الإسرائيلية خلال السنوات الخمس الماضية..؟

ويعود عمير بيرتس لأحد الموضوعات التى تشغله ولم يجد ما يشفى غليله فيه: الفشل الذريع الذى مُنيت به حركة العمل فى كسب صداقة يهود الشمال الأفريقى.

– يقول عمير، اليهودية التى جاءت من شمال إفريقيا كانت يهودية تقليدية وأقرب إلى حركة العمل. لقد كانت اليهودية الأكثر تسامحاً، الأكثر انفتاحاً، الأكثر استعداداً للتلقى. إنها لم تكن يهودية مُتشددة أو منغلقة. بل بالعكس. بالعكس تماماً. لقد كانت يهودية يمكن تشكيلها مثل المادة اللدنة داخل الإسرائيلية الجديدة، إذا كانوا أعطوهم فقط إحساس بأنهم جزء من القضية، بأنهم ليسوا مادة ما تخدم القضية، لكنهم جزء منها، بل هم أنفسهم القضية. صحيح أنهم يخدمون القضية، لكنهم جزء منها، هم جزء من نتائجها. وبالطبع فإن طفولتنا أيضاً ترافقنا فى كل اللحظات العصيبة التى نلتقيها، فعندما نسمع أن أبوينا أحرقوا مكتب العمل لأنه لم يقم بتوزيع أيام العمل، فى الوقت الذى وزعوا فيه العمل بناءاً على المخصصات وحصل كل واحد على عدد من الأيام فى الأسبوع.

وهذا يُعيدنا فى الواقع لقصة "شعب واحد". لأنه بالرغم من كل ما أقول، فإن قوة استثارة العواطف فيما يروجه اليمين لم تنجح فى اجتذابى. وهذا يعنى، أن موقف الناخب الذى يُصوت ضد شئ ما وليس لصالح شخص ما لم يكن فى يوم من الأيام ليجتذبنى إليه. بمقدورى أن أكون متمرداً كبيراً، وبمقدورى أن أكون ثورياً عظيماً، لكن كل ثورة أقدم على القيام بها فى الحياة هى من أجل شئ ما. وليست ضد شئ ما. فهى ليست من أجل تخريب العالم القديم فقط، بل هى أيضاً من أجل بناء عالم جديد.

◆ تحويل السكان المطحونين إلى دعاة سلام:

يقول بيرتس، أكثر ما يؤرقنى حتى اليوم، هو حلمى بأن يأتى الوقت الذى تتحول فيه فئات السكان التى تنتمى على وجه الخصوص وبصورة مُؤكدة إلى جبهة الرفض إلى فئات سكانية دافعة لمسيرة السلام. لأننى اعتقد أن التنظيم السياسى يُصبح على الطريق الصحيح عندما يشعر بالفعل بالجماعات التى ترتبط به وبالتالى تضع الدولة على الطريق الصحيح من وجهة نظرها. وبمرور السنين فقدت حركة العمل العلاقة مع هذه النوعية من السكان. والصور التى نراها اليوم تثبت بدرجة معينة أن هؤلاء السكان هم الذين يُقدمون التضحيات الكبيرة. والحقيقة هى أن اليسار الإسرائيلى قد فشل فى تحويلهم إلى جزء من معسكره من خلال التحايل على أزمتهم، لأن اليمين لم يقدم أبداً مقترحات بالكيفية الحقيقية التى يمكن أن تعالج أزمتهم، ومن هنا فإن حل أزمة هؤلاء السكان لم يكن يُمثل شيئاً لليمين. فهو لا يحتاج إليهم إلا كجيش من الناخبين، والواقع أنه كلما تعمقت أزمتهم، وتزايد يأسهم، ازدادت سيطرة اليمين عليهم كمجرد جيش للناخبين.

والأكثر من ذلك، أن اليمين قد حصل أيضاً من هؤلاء السكان اليائسين على شرعية فى الاستيلاء على أفضل موارد الدولة واستثمارها فى تلك الخطط التبشيرية فى قطاع غزة والضفة الغربية. وبرز وضع غريب، يتم فيه الحصول على الشرعية السياسية من أناس يدفعون الثمن كاملا وتمنح لأناس يتقاضون الثمن كاملا. وبسرعة فهمت

أن العوائق النفسية التى ظهرت بين هؤلاء السكان وبين حركة العمل لا يمكن تجاوزها، والطريق الوحيد لإسقاط هذه الأسوار هو فى الواقع محاولة البدء من القاعدة.

والبدء من القاعدة هو أول ما يمكن قوله: حسناً، لم نتحدث عن أى شئ بما فيه الكفاية. والآن نبدأ التحدث عن أبسط الأشياء، عن حق الانسان فى كسب قوته بكرامة، وأن يعامل عندما يتقدم فى السن معاملة كريمة. ليس مُهماً ما تفكرون فيه. كونوا يمينيين أو يساريين. لن نتناقش فى الأمر. لكن الآن نحن مُقبلون على رحلة طويلة، وقبل كل شئ يجب أن نغير نظرية أن كل شئ هو من صنع السماء. هناك الكثير من الأمور تتوقف علينا وعلى ما نفعله.

ومما أدهشنى بشدة أن هؤلاء السكان واثقون أن السلام هو من صنع أيدينا، لكن أزمتهم ومعاناتهم فهى أمر إلهى. وكنت أقول فى سخرية إننا فى حاجة إلى مباركة السماء بدرجة ما فى موضوع السلام بالتحديد، أما البحث عن حلول لأزماتنا فيمكننا أن نفعل الكثير بأنفسنا.

ولكننى وجدت نفسى عندئذ أشعر بشك كبير فى استعداد حزب العمل لإسقاط الجدران بصورة حقيقية والاعتراف بالفئات السكانية المأزومة وبحقها فى تبوأ مكانة محورية فى تشكيل صورة حزب العمل.

كل هذه القضايا كان الشك يكتنف الرد عليها نظراً للتاريخ الطويل من الأخطاء التى وقع فيها حزب العمل فى علاقاته مع السكان المأزومين. وعندما اتضح لى أن حزب العمل تحول إلى فرع من الليكود من ناحية ومن ناحية أخرى يرفع راية الليبرالية الرأسمالية التى لا تختلف كثيراً عن الطريق الذى التزمه بيبى (نتنياهو) عندما كان رئيساً للوزراء، فأدركت أننى إذا اشتركت فى هذه المسيرة الجديدة لزعامة حزب العمل، فإننى بالفعل أساهم فى استمرار القطيعة بين معسكر السلام والمعسكر الاجتماعى.

من ناحية أخرى علمت أننى ربما أكون الوحيد الذى يمكن أن يُحقق الأفضل لحركة العمل. لقد أدركت أنه بمقدورى أن اجتذب أصوات المحسوبين على معسكر اليمين، ويمكننى أن أجعل من الثلاثة أو الأربعة مقاعد التى سأحصل عليها هى المقاعد الحاسمة فى المعركة.

يمكننى اليوم أن أقول وبكل وضوح أننى لو نظرت بمنظور تاريخى لمسألة هل كنا على حق عند إنشاء حزب "شعب واحد"(٤)، نعم أم لا..؟ أستطيع القول أننا كنا على حق تماماً. لأنه لم يكن هناك أى احتمال لتغيير الجدل العام فى دولة إسرائيل إلا بحقيقة أننى بمشاركة يتفقون فى الموقف معى نتكاتف سوياً فى هذه الجبهة كبداية الطريق، حتى تحول هذا مصطلح 'نضال اجتماعى' إلى مصطلح مُقنن ومُتداول فى السياسة الإسرائيلية خلال السنوات الخمس الأخيرة. وقبل عشر سنوات لم يكن موجوداً أصلاً. وما يبعث على الغرابة فى هذا الأمر أن الأشياء التى تبدو الآن مفهومة من تلقاء نفسها لم يكن لها وجود فى الأصل. مثال ذلك أننا نتحدث اليوم عن دولة فلسطينية وكأنه أمر ليس بحاجة إلى تفسير. أنت تقول: هل من المعقول أنهم قبل عشر سنوات فقط كان إذا تحدث شخص ما بضرورة إقامة دولة فلسطينية، يعتقدون أنه تقريباً نصف خائن فى هذه الدولة..؟ أما اليوم فقد أصبحت نفس العبارة دارجة على ألسنة الناس العاديين ببساطة وسهولة.

لقد كنا بالضبط فى نفس الموقف. ولكن بدلاً من 'دولة فلسطينية'، وهو أمر أكثر تحديداً ووضوحاً، نحاول ترويج قيم ومفاهيم اجتماعية كنظرية سياسية وهو أمر لم يكن له وجود فى دولة إسرائيل. وذلك بالرغم من حقيقة أنك عندما تراجع التحولات فى إسرائيل إن كانت اجتماعية أو سياسية يتضح لك أن معظم التحولات كانت اجتماعية.

حتى تحول مناحم بيجين، وتحول يتسحاق رابين، كان فى المجمل اجتماعى. ورغم حقيقة أن رابين كان رجلاً أمنياً معنياً بشئون الدفاع، فلم يأتى بأى بادرة سياسية تختلف جديدة لقد ذهب إلى أوسلو بعد انتخابه. ولكن قبل انتخابه جاء إلى ديمونه وحضر معى مؤتمرات هناك وقال للجمهور: إنكم لم تتركوا الليكود، بل الليكود هو الذى تركم. لقد فهم أهمية التوجه الاجتماعى ومحاولة ربط القضايا الاجتماعية بالقضايا السياسية.

ولكن لا شك فى أهمية الهستدروت باعتباره كان فى بؤرة الصراعات، وأن 'شعب واحد' كان موجوداً كحزب سياسى مختلف عن كل سابقيه فى المجال الاجتماعى. نظراً لأن الأحزاب الاجتماعية فى إسرائيل تنقسم حتى اليوم إلى نوعين: هناك أحزاب اجتماعية دينية، وأحزاب اجتماعية قومية ذات طابع قومى حاد ومُتشدد، مثل الأحزاب العربية.

والواقع أن 'شعب واحد' كان الحزب الوحيد الذى حصل على أصوات، صحيح غير كافية، لكنها أصوات من كل الشرائح السكانية: من العرب، ومن اليساريين واليمينيين، من المتدينين والعلمانيين. ولعلهم إذا درسوا من الناحية التاريخية وأعطوا 'شعب واحد' ما يستحقه من درجات، فإن النتيجة التى سيتوصلون إليها هى أن الحزب نجح فى جعل القضية الاجتماعية أكثر أهمية لدى الفرد، بل أنها تتقدم على ما هو سياسى داخلياً وخارجياً، وكان ذلك أمراً غير مسبوق فى إسرائيل.

◆ فى أية دولة نريد أن نعيش..؟:

يقول عمير بيرتس، إننى أشعر بالتغير فى كل مكان. ذهبت مساء أمس إلى إحدى حفلات الزفاف لتقديم التهانى. وظهر الحاخام بملابسه التقليدية، وقال عندما استهل مراسم مباركة الزواج، قبل أن أبارك هذا الزواج يقف بيننا هنا ضيف، وواصل بشكل دعائى بعض الشئ وصادر من القلب ما لم أسمعه منذ عدة سنوات: بعون الرب سيصبح عمير بيرتس رئيس الوزراء. بهذه البساطة. لم يكن هناك مثل ذلك منذ عشر سنوات. شخص ما يتبنى نظرية اجتماعية يقولون له "بعون الرب سيصبح رئيساً للوزراء". كانوا يقولون فى السابق، بإذن الله يكون وزير الشرطة أو وزير العمل. أتعلم..؟ لأن هذا هو الموضوع. إنه كل الموضوع. فأنت تأتى فجأة وتقول: عفواً، صحيح هناك قضايا سياسية، وهناك قضايا أمنية، ولكن آن الآوان لوضع مشكلة المجتمع والملف الاجتماعى فى المقام الأول.

والقضية التى تشغل الإسرائيليين كثيراً هى: فى أى نوع من الدول نريد أن نعيش..؟ أى نوع من المجتمعات يوجد لدينا..؟ هل أريد أن أعيش فى دولة يتربص فيها الإنسان بأخيه الانسان كتربص الذئب..؟ هل أريد أن أعيش فى دولة تهمل كبار السن والضعفاء وتتركهم ضحايا لمصيرهم..؟ هل أريد أن أعيش فى دولة لا تضمن خدمات صحية متساوية لكل فرد..؟ هل أريد أن أعيش فى دولة يعيش نصف سكانها تحت خط الفقر..؟ هل أريد أن أعيش فى دولة لا يكون التعليم فيها لأولادى وأحفادى مجاناً من الحضانة إلى الجامعة..؟

نحن لن نسمح لدولة إسرائيل بأن تكون غير مُبالية بما يحدث. أثرنا جدلاً عاماً جديداً. وصاحب طرح القضايا غضب شديد. واضطر آخرون إلى منافستنا، وفجأة أصبح ليكود بيبى وكذلك كاديما شارون وما بعد شارون "اجتماعيين". وبالتالى فرضنا بالفعل جدول أعمال للانتخابات التالية وما يليها فى ترتيب الأهمية. وقد خلق ذلك اتجاهاً بات الآن مفهوماً من تلقاء نفسه. وفجأة أصبح هناك صراع حول من الأحق بأن يكون القائد لهذه القضايا الاجتماعية وفجأة أيضاً أصبح الفقر فى بؤرة الاهتمام سواء بالنسبة لبيبى أولأعضاء الليكود الذين ذهبوا إلى كاديما وكانوا هم أنفسهم السبب فى وجوده بسياستهم خلال السنوات الخمس الماضية. وبات الصراع القادم - من أجل مكافحة الفقر.

وقد فعل فك الارتباط شيئاً مهماً. ففجأة لم تعد غزة موجودة وكان من الضرورى أن نسأل أنفسنا أسئلة صعبة. الآن، وبعد أن توقف البكاء الذى غمر الأرض من تحت أرجلنا، وانتهى إعصار تسونامى العاطفي، جاء بالتدريج الوقت الذى نطرح فيه الأسئلة الصعبة:

ما هؤلاء الرفاق، هؤلاء المستوطنين..؟ "أسياد البلاد"..؟ ما هذه القصة..؟ من الذى سمح لهم طوال كل هذه السنوات بعدم الخضوع للقانون وعدم الخضوع لأى معيار..؟ إن البشر الذين يعيشون تحت خط الفقر يمكنهم أيضاً أن يأتوا ويفرضوا شروطهم ويُعطوا للدولة إنذاراً كما يفعل المستوطنون..؟ أن يقولوا، نطلب ٣٠٠ أو ٤٠٠ ألف شيكل للأسرة، وأن يطلبوا منحهم مساكن بديلة مقابل ما تعرضوا له من فقر لعشرات السنين..؟ وسيكون الرد بالرفض.. طبعاً! ولكن فجأة تدبر دولة إسرائيل مدناً على الساحل فى غضون ستة أشهر، وتجهز أماكن عمل سواء كانت مناسبة أو غير مناسبة لمن تم إخلاؤهم. ما هذا..؟ أى قصة سخيفة تلك التى نسردها عن أنفسنا..؟ عنا جميعاً..؟

"أسياد البلاد" هؤلاء، هم الدلالة الواضحة على الفشل الذريع لحركة العمل. وفى كل مرة يستدعى الأمر ظهوراً، تخرج إحدى زعامات حركة العمل وتقول: أوقفوا فوراً هذه الفضيحة من إهدار لموارد الدولة على المستوطنات - لكن أحداً لا يهتم! لماذا..؟ لأنهم كانوا هم البادئين بالتحرك، إذن تعالوا نقول الحقيقة. الخطأ القديم يكمن فى حركة العمل. لأنه إذا كانت حركة العمل حقيقية لقالت إنه للحفاظ على هذه الدولة يجب أولاً حماية الفئات السكانية الضعيفة التى تعيش فى الدولة، وليس حماية "أسياد البلاد" الذين يسعون للعيش على حساب الدولة خارج حدودها!

والآن عندما أخلينا المستوطنين من قطاع غزة، كنت أقول لهم منذ الصباح وحتى المساء: عفواً، اسمحوا لى ! لماذا لا تأتون للعيش معنا فى سديروت..؟ لماذا كل هذا الخوف..؟ ولماذا تبكون..؟ ماذا حدث..؟ ألا يروقكم أن تكونوا قوة مُضافة إلى سديروت ونتيفوت وكريات ملاخِى أو يروحام (٥)..؟ وحقيقة أن هذا الكلام لم يصدر عن زعامة حزب العمل بالذات خلال فترة فك الارتباط ربما تم أكثر من غيرها عن، فشل حركة العمل، بكل مُكوناتها. ولا حتى سمعنا أى صوت من معسكر السلام خلال فترة فك الارتباط، دون أن نعرف السبب.

الواقع أن عدداً غير قليل من البشر، من بينهم مفكرون وكتاب مُهمون، انتحروا خلال حقبة الثلاثينيات من القرن الماضى لأنهم استشعروا أن الإنسان فقد القدرة على فعل شئ فى هذا العالم. لقد انتابهم هذا الشعور على خلفية صعود الفاشية من ناحية والشيوعية الدكتاتورية من ناحية أخرى فأصبح الإنسان مجرد أداة للأنظمة الحاكمة طبعت على جبهته عبارة "يُستخدم ويُلقى".

واليوم يعود هذا الشعور بسبب الأصولية الاقتصادية، التى تمثل نوعاً من الحكم الديكتاتورى لرأس المال وقوانين السوق. ومرة أخرى تنظر حولك وترى هذه العبارة الخطيرة ظاهرة على جباه الناس: "يُستخدم ويُلقى". فهذا العالم الذى نعيش فيه لا يحتاج إلينا كبشر. بل يحتاج إلينا كماكينة مهمة ويفرض علينا أن نسوّق أنفسنا بكل ما نملك من قدرة. وفى اللحظة التى لا يستطيع فيها الإنسان أن يُسوق نفسه كما ينبغى، فإنه يعتبر حُثالة يجب على عالم الأصولية الاقتصادية أن يتخلص منه. وكما انهارت أنظمة الحكم الديكتاتورية فى القرن الماضى فإن ديكتاتورية الأصولية الاقتصادية ستنهار أيضاً، ولكن لن يحدث ذلك إلا إذا أفاق ملايين المتضررين من أحلام الجنة الكاذبة التى تلوح بها الأنظمة غير الإنسانية.

إن الدفع بالاصلاح الاجتماعى إلى رأس الأولويات القومية هو الخطوة الأولى فى هذا الاتجاه. الإنسان ليس بحاجة إلى اقتصاد أصولى، بل بحاجة إلى اقتصاد يخدم الانسان. وليس بحاجة إلى دولة تخدم الأصولية أياً كان نوعها وتفرضها على مواطنيها، بل دولة فى خدمة الإنسان. هذه هى القاعدة التى يجب أن نصيغ على أساسها ميثاقاً اجتماعياً جديداً.

الهوامش:

١- البروليتاريا هى تسمية نشأت فى القرن التاسع عشر للطبقة الفقيرة فى فرنسا ابان حكم مارى انطوانيت. واستخدمه كارل ماركس فى الإشارة إلى الطبقة العاملة التى لا تمتلك أدوات الإنتاج. البروليتاريا هى الطبقة التى - من بين كل طبقات المجتمع - تعيش كليا من بيع عملها فقط، وليس من أرباح أى نوع من أنواع رأس المال. وتتوقف معيشتها بل وجودها ذاته على مدى حاجة المجتمع إلى عملها، أى أنها رهينة فترات الأزمة والازدهار الصناعى وتقلبات المنافسة الجامحة. بإيجاز البروليتاريا هى الطبقة الكادحة فى كل المجتمعات وفى جميع الأزمان.

٢- هى الثورة التى تعرف فى التاريخ بيوم الأحد الدامى. ويعتبره الكثيرون الإرهاص الحقيقى للثورة الروسية. وفيه خرج رجل الدين جابون على رأس آلاف العمال من جميع أنحاء مدينة سان بطرسبورج مُتجهين إلى ساحة قصر الشتاء ليقدموا عريضتهم للقيصر، بعد أن أكد زعيمهم للقيصر حرصهم على سلامته وإخلاصهم له طالبين أن يُطل عليهم فقط ويسمع لشكواهم. ولكن صدر الأمر باستدعاء قوات الجيش التى أعملت التقتيل بالسلاح الأبيض وبإطلاق النار على العمال بلا رحمة فسقط فى ذلك اليوم ما لايقل عن ألف قتيل وألفى جريح.

٣- حركة العامل الصهيونى هى اتحاد عمال حركة الشبيبة الصهيونية. واتحاد عمال غير اشتراكى انضم إلى الهستدروت لاحقاً. وكان أعضاؤه أحد عُنصرين يكونان الحزب التقدمى الذى تأسس مع قيام الدولة.

٤- كان شعب واحد (عام آحاد) حزباً اشتراكياً اجتماعياً، أقرب إلى الجناح اليسارى فى الخريطة السياسية فى إسرائيل، وقد شُكل عام ١٩٩٩ على يدى عمير بيرتس وأديسو مسالا ورفيق حاج يحى. والثلاثة أعضاء بالكنيست استقالوا من حزب العمل. وترأس الحزب طوال فترة وجوده، حتى انضوائه فى حزب العمل عام ٢٠٠٥، عمير بيرتس. وكان الحزب موازياً من حيث المواقف السياسية للهستدروت العام، الذى كان يرأسه عمير بيرتس بين ١٩٩٥ - ٢٠٠٥، حتى تعيينه رئيساً لحزب العمل وترشيحه من قبله لرئاسة الحكومة، فى انتخابات ٢٠٠٦ . التزم الحزب خطاً اشتراكياً اجتماعياً وانصب نشاطه فى الكنيست على الدفاع عن حقوق العمال. وعلى مدى فترة بقائه كان الحزب فى صفوف المعارضة.

٥- ثلاث مدن تقع فى القطاع الجنوبى لإسرائيل: نتيفوت تبلغ مساحتها الإدارية ٨,٥٠٠ دونم. وقد أُعلنت كمدينة فى عام ٢٠٠٠، ومعدل النمو السنوى للسكان هو ٣,٩٪، وقد وصل تعدادهم فى سبتمبر ٢٠٠٣ إلى ٢٢,٩٠٠ نسمة. وغالبية السكان فى نتيفوت هم من اليهود. كريات ملاخى تبلغ مساحتها الإدارية ٥٠٠٠ دونم. وأعلنت كمدينة عام ١٩٩٨، وكان تعداد سكانها فى سبتمبر ٢٠٠٣ يصل إلى ١٩,٢٠٠ نسمة. ومعدل الزيادة السكانية سنوياً ٠,٤٪ وغالبية سكانها من اليهود. وقد أقيمت المدينة على ما تبقى من قرية كاستينا العربية التى كانت موجودة حتى اندلاع حرب الاستقلال وعلى اسمها سُمى مفترق طرق ملاخى كاستينا الذى يمثل مدخل المدينة. يروحام تبلغ مساحتها الإدارية ٣٤,٠٠٠ دونم. وظهر المجلس المحلى لها عام ١٩٥٩ وكان تعداد سكانها عام ٢٠٠٣ هو ٩,٤٠٠ نسمة، معدل النمو السكانى السنوى ١٪. وتعد مدينة مُختلطة غير أن نسبة السكان اليهود تصل إلى حوالى ٩٧٪.

◆ دراسات ◆



مؤتمر عن العلاقات بين القيادة المدنية والقيادة العسكرية فى إسرائيل فى ظل المواجهات العسكرية (❖)

جامعة تل أبيب - مركز يافى للدراسات الاستراتيجية

بقلم: رام إيريز - ترجمة وإعداد: د. أشرف الشرقاوي

العلاقة بين القيادتين أثناء الانتفاضة الأولى

بقلم: عمرام متسناع (١)

كانت الحكومة الإسرائيلية فى عام ١٩٨٧ الذى اندلعت فيه الانتفاضة الأولى حكومة ذات هوية عسكرية وأمنية واضحة. فقد كان خمسة من وزرائها وزراء دفاع سابقين - وهم يتسحاق رابين (الذى تولى فيما سبق منصب رئيس الأركان أيضاً) وآريئيل شارون وشمعون بيريس وعيزرا فايتسمان وموشيه آرنس - وكان معهم فى الحكومة رئيس الأركان الأسبق حاييم برليف، وانضم إليهم فى وقت لاحق اعتباراً من عام ١٩٨٨ رئيس الأركان الأسبق موتى جور على الرغم من ذلك لم تعقد الحكومة أى جلسة لمناقشة المشكلات التى تسبب فيها الوضع الجديد فى المناطق فى تلك الفترة، ولم تناقش هذه المشكلات على الإطلاق. صحيح أن هناك مشاورات قد جرت فى مراحل مختلفة مع خبراء مثل دافيد عفرى ودان مريدور بمبادرة من لجنة الخارجية والأمن بالكنيست. ولكن فى اللحظات الحاسمة عندما كانت هناك حاجة إلى تحديد غايات وأهداف الصراع ضد الانتفاضة - على أساس المشكلات القائمة - لم يجر أى حوار حقيقى بين القيادات العسكرية والسياسية.

لم يكن هذا الأمر غير معتاد. ففى كل مرة كان صناع القرار يصلون فيها إلى منعطف يتطلب قراراً حاسماً، كان هذا القرار - فى حالة اتخاذه - يتخذ فى اجتماع مغلق، دون تفاهم مع الجيش. حدث هذا فى الاتصالات التى أدت إلى اتفاقية أوسلو عام ١٩٩٣، كما حدث عند إعداد اتفاقية السلام مع الأردن عام ١٩٩٤، وفى قرار الانسحاب من لبنان عام ٢٠٠٠ . وبنفس الطريقة نشأت خطة فك الارتباط مع قطاع غزة وشمال السامرة.

كانت الانتفاضة الأولى التى اندلعت فى ديسمبر عام ١٩٨٧ بمثابة مفاجأة. وكانت مفاجأة بصفة خاصة لأولئك الذين لم يفهموا كيف احتاج الأمر من الفلسطينيين عشرين عاماً حتى يثوروا. كما كانت مفاجأة للذين كانوا يعتقدون أنه سيكون من الممكن مواصلة الاحتفاظ بالمناطق عشرين عاماً أخرى دون أى مشكلة، أو"بثمن بخس" حسبما عبر عن ذلك موشى ديان قبل الانتفاضة ببضع سنين. بل وكان البعض يعتقد أنها ستمثل إضافة اقتصادية لصالح دولة إسرائيل. وبالفعل فقد كانت السيطرة على المناطق فى نظر البعض بسيطة، ورغم التذبذب فى مستوى عدم الهدوء، لم تظهر أى حاجة حقيقية لتغيير هذه النظرية.

فى مايو ١٩٨٧ عندما توليت قيادة المنطقة العسكرية الوسطى كانت إسرائيل تسيطر على الضفة الغربية

بالكامل باستخدام ١٧ سرية، تنطوى تحت قيادة لواء واحدة، وموزعة على ثلاثة كتائب فقط. وبعد نحو عام، فى ذروة الانتفاضة، ودون أن نقوم بالتخطيط أو الاستعداد على النحو المناسب مسبقاً، وجدنا لدينا فى الضفة الغربية نحو ٦٠ – ٧٠ سرية تنطوى تحت قيادة فرقتين عسكريتين بهما خمسة ألوية.

من الصعوبة بمكان فى إسرائيل إجراء حوار استراتيجى داخل أروقة النظام حول قضايا الخارجية والأمن والتوصل إلى نتائج قابلة للتنفيذ من خلال هذا الحوار. وينطبق هذا الكلام من باب أولى على العلاقات بين إسرائيل والفلسطينيين، وذلك نظراً لعدم وجود اتفاق عام فى هذا الشأن، ونظراً لعدم إجراء حوار تفصيلى حوله. ولا يكاد يكون من الممكن التوصل إلى تفاهمات فى هذا الشأن، يتم بناء عليها تنظيم ورشة عمل منظمة وجادة، يجرى فى إطارها عرض مواقف المتخصصين وتقدير الموقف والتوصل إلى بدائل واتخاذ قرارات.

فى أيام الانتفاضة لم يجر أى نقاش جاد حول أسئلة مثل أين نحن الآن..؟ وإلى أين نريد الوصول..؟ وما المطلوب أن نفعله لتحقيق ذلك..؟ كان الخوف – وأقصد هنا الخوف من قول الحقيقة فى ظل الواقع المتغير فى المناطق– يرجع بالطبع إلى المشاكل السياسية المرتبطة بهذا الأمر. وقد تركزت المناقشات بدلاً من ذلك على المشكلات الفنية والتخطيطية وعلى المشكلات اليومية بصفة عامة. وفى يوم الخميس من كل أسبوع كان وزير الدفاع يعقد جلسة لبحث الموقف فى المناطق يشارك فيها رؤساء المناطق العسكرية ورئيس الأركان واللجان المعنية فى قيادة الجيش والشرطة وجهاز الأمن العام (الشاباك). وقد خصصت أغلبية الجلسات لإحصاء الحوادث التى وقعت خلال الأسبوع المنصرم وللتخطيط التكتيكى للأسبوع التالي. هكذا كان الحال فى عام ١٩٨٧، وأعتقد أن هذا هو الحال حتى يومنا هذا.

لم يكن هناك تفكير جماعى فى المسألة الفلسطينية حتى على مستوى أجهزة المخابرات. وحتى عشية اندلاع الانتفاضة لم تكن هناك جهة مخابراتية مسئولة عن تقدير الموقف المخابراتى بشأن ما يجرى فى المجتمع الفلسطينى وانعكاساته على الأحداث. وكان جهاز الأمن العام مشغولاً بإجهاض النشاط الإرهابي، ولم يكن على استعداد للانشغال بالأمور المتعلقة بالرأى العام الفلسطينى أو بالاتجاهات السائدة فى المجتمع الفلسطيني. ولكن المخابرات العسكرية لم تكن تهتم هى الأخرى بهذه الأشياء. ومن الناحية العملية لم يكن يهتم بهذه الأمور سوى بعض ضباط الإدارة المدنية، الذين قاموا– من خلال اللقاءات التى عقدوها بالطبع مع القيادة المتزمتة، بغض النظر عمن بيده تحديد الخطوات التى ستجرى فى المجتمع الفلسطيني– بجمع مادة مخابراتية عن الرأى العام الفلسطينى وطرح تقدير للموقف. كان للتعرف على الاتجاهات السائدة فى المجتمع الفلسطينى دور هام فى فهم العناصر التى أدت لاندلاع الانتفاضة الأولى، إذ أن هذه الانتفاضة لم تكن موجهة ضد الاحتلال الإسرائيلى وحده. فقد كانت تعبيراً اجتماعيا عن الاعتراض على وجود صلة بين المناطق وبين الأردن، وكانت موجهة ضد سيطرة طبقة الأعيان القديمة التى تضم المختارين (العمد) ورؤساء القرى، الذين كان الجيل الجديد يعتبرهم متعاونين مع الإدارة الإسرائيلية. كما كانت موجهة أيضاً ضد منظمة التحرير الفلسطينية. وقد فوجئت منظمة التحرير نفسها بهذه الانتفاضة. ومن المعروف أن أبو مازن – فى الشهور الأولى للانتفاضة – كان يرجح أنها سوف تنتهى خلال فترة وجيزة، حيث لم يكن يتوقع هو الآخر أن تتحول الانتفاضة إلى جزء من الواقع الإسرائيلى الفلسطينى لسنوات طويلة.

كان رد الفعل الإسرائيلى على الانتفاضة واحداً من الأمور الأساسية التى أثارت الجدل فى إسرائيل لفترة طويلة استمرت حتى يومنا هذا، وهو جدل وثيق الصلة بمسألة العلاقة بين القيادتين العسكرية والسياسية. وهنا يثور سؤال: لو كنا فى ديسمبر١٩٨٧ نفهم ما فهمناه بعد سنة، واستخدمنا القوة على نطاق أكبر يماثل النطاق الذى نستخدمه فى الانتفاضة الثانية، هل كان هذا سيؤدى لتصفية الانتفاضة..؟ إن طرح هذا السؤال فى حد ذاته يشهد على فهم سياسى خاطئ. فلا يوجد حل عسكرى لقمع انتفاضة شعبية، وحتى لو كنا نجحنا فى تأجيل تصعيد الانتفاضة لمدة عام آخر– عن طريق استخدام القوة على نطاق أكبر– لما كنا سنتمكن من منع الأحداث من الوقوع رغم هذا.

لكى نفهم هذا لابد أن نعود إلى الوراء، إلى نوفمبر ١٩٨٦، قبل عام من اندلاع الانتفاضة، عندما قتل طالبان من غزة أثناء اضطرابات جرت فى بيرزيت. فى ذلك الوقت أيضاً كانت هذه بداية انتفاضة، ولكنها خمدت بعد بضعة أيام. ولم يمر سوى عام (حتى ديسمبر١٩٨٧) إلى أن وقع ذلك الحادث المرورى المؤسف عند مفترق أشدود، ولقى بعض العمال الفلسطينيين مصرعهم فى الحادث. ثم تطورت الأحداث من عند هذه النقطة لتصل إلى حد الانتفاضة الشعبية التى تصاعدت وتيرتها فى قطاع غزة ثم انتقلت إلى يهودا والسامرة لتصبح ما أطلق عليه فى وقت لاحق اسم "الانتفاضة".

ما هى الأوامر والتوجيهات التى أصدرتها الحكومة للجيش مع اندلاع الانتفاضة..؟ لابد أن نعلم أن الحكومة

المختلطة التى تضم وزراء من اليمين واليسار- وهى هنا حكومة الوحدة الوطنية برئاسة يتسحاق شامير، وكان وزير الدفاع بها هو يتسحاق رابين - لم تصدر للجيش تعليمات بتصفية الانتفاضة على الإطلاق. صحيح أن جلسات الحكومة شهدت مباحثات لا يستهان بها فى هذا الشأن، ولكن من الممكن أن نصف هذه المباحثات بأنها كانت مواجهات كلامية أكثر منها مشاورات سياسية. وكان الهدف الذى حدده يتسحاق رابين فى ذلك الوقت للجيش هو، خفض مستوى العنف، وتحقيق الهدوء الذى يسمح للإدارة المدنية بممارسة مهامها.

وباعتبارى قائداً للمنطقة الوسطى أصدرت تعليمات للجنود، تم فيها تحديد الهدف على النحو التالي: "وقف أحداث الشغب وإحلال النظام، وإتاحة الفرصة لاستمرار الحياة العادية، حتى نترك لحكومة إسرائيل ومواطنيها أقصى إمكانيات ممكنة لاتخاذ القرارات السياسية الملائمة بالطريق الديمقراطي، فيما يتعلق بمستقبل المناطق." لو كنت أصدرت هذه التعليمات فى ظل الواقع السائد اليوم فلا شك أننى كنت سأقال على الفور. ويمكن أن أقول فى حق يتسحاق رابين إن القيادة السياسية المسئولة عن الناحية العسكرية قدمت دعماً مباشراً وفورياً لهذه التعليمات. ولم يقل شامير أبداً أى شيء يخالف ما قاله يتسحاق رابين، ولكن بعض الوزراء أدلوا بتصريحات مخالفة له.

ومن أبرز الأمور التى أذكرها جلسة حضرتها وعقدت فى أبريل ١٩٨٨ فى أعقاب وقوع حادث فى بلدة بيتا المجاورة لنابلس. ومن الممكن أن تشهد هذه الواقعة على أن الحكومة كانت تتحدث بعدة أصوات، وأنها كانت مصابة بالشلل إلى حد كبير مما منعها من إجراء مباحثات حقيقية والتوصل إلى نتائج فيما يتعلق بالوضع فى المناطق. فى الحادث المذكور نشبت مشاجرة كلامية بين مجموعة من الشباب الذين كانوا يتنزهون بين بساتين الزيتون فى عيد الفصح، فى منطقة لا تبعد كثيراً عن بلدة بيتا وبين مزارعين فلسطينيين من أبناء تلك المنطقة. وأثناء هذه المشاجرة قام حارس المجموعة- ويدعى روميم الدوفي، وهو شخص يمكن وصفه بدون تردد بأنه يمينيى متطرف- بإطلاق الرصاص على فلسطينى فقتله. وأثناء الاضطرابات التى استتبعت ذلك أخذ الفلسطينيون المحليون مجموعة الشباب اليهودى إلى داخل البلدة، وبينما كان بعض الفلاحين يحاولون مساعدتهم حاول آخرون الاعتداء عليهم. وأطلق روميم الدوفى رصاصة دون قصد من بندقية كان يحملها، بعد أن أصيب بحجر فى رأسه. وأدت الرصاصة إلى مقتل الطفلة اليهودية ترتسا بورات.

بعد الحادث الذى شهدته القرية، عقدت الحكومة جلسة مشاورات وتم استدعاء بعض الشباب الذين كانوا متورطين فى الحادث للإدلاء بشهادتهم أمام الوزير دافيد ليفي، الذى كان يقوم بتحقيق خاص به. وأدلى بعض الوزراء أثناء الجلسة بتصريحات شديدة اللهجة. وقالوا إنه لابد من "هدم قرى" و"تنظيف الشوارع" وما إلى ذلك، وقد جرى كل هذا بما يتوازى مع تحقيقات الشرطة والجيش فى الواقعة. وكان ردى على الوزراء المشاركين فى تلك الجلسة أننى أعتقد أن بعضهم لا يفهم معنى الكلام الذى قاله، وأنه ربما يجدر بنا أن نذكرهم بأن إسرائيل دولة يسود فيها القانون، وأن الجيش ليس من حقه التصرف بما يخالف القانون. وهنا غضب الوزير آرييل شارون وبدأ بعض الوزراء فى إصدار تمتمة توحى بالاعتراض، وقال رئيس الوزراء شامير إن حديثى مع الوزراء بهذه الطريقة غير مقبول، وطلب منى الاعتذار فاعتذرت.

بعكس الوضع فى الانتفاضة الثانية، شهدت الانتفاضة الأولى قيام كبار قادة الجيش وهيئة الأركان العامة وقادة المناطق العسكرية وأنا منهم بالتعبير عن رأيهم بشكل واضح. كنا ندرك أننا لا يجب أن نتجاوز كافة الحدود، وكنا نعمل على احتواء النشاط العسكري والحيلولة دون انعدام السيطرة على الأوضاع، وذلك فى محاولة منا لخلق واقع نقول فيه رأينا فى المستقبل أيضاً. لم يكن من قبيل الصدفة إذن أن شهدت نهاية الانتفاضة بداية تفاوض سياسي. فبعد المواجهة العسكرية أفاق الطرفان وأبديا استعداداً للجلوس إلى مائدة المفاوضات.

كان الضغط الواقع على الجيش من جانب القيادة السياسية إذن ضعيفاً. وقبل أن أترك منصبى قال موشيه آرنس الذى كان فى ذلك الوقت وزيراً بدون وزارة إنه "لن يكون من الممكن إنهاء الانتفاضة طالما ظل متسناع قائد منطقة عسكرية." ولكن وزير الدفاع يتسحاق رابين وقف كما سبق القول كحائط منيع فى وجه أى تطاول على الجيش، سواء من جانب وزراء الحكومة أو أعضاء الكنيست. وباعتباره ممثلاً للقيادة السياسية فقد قدم دعماً للجيش، وأجرى مشاورات، وتعامل بشكل مباشر مع قادة المناطق العسكرية- يتسحاق موردخاى فى المنطقة الجنوبية وأنا فى المنطقة الوسطي- ووفر لهما الحماية وسط الجدل الدائر حول أمور مثل، ما هى التعليمات التى صدرت للجيش..؟ وما الذى يجب عمله على وجه التحديد..؟ وكيف يجب عمله..؟ ومن هنا، ورغم الضغوط التى أوقعها الساسة، فعلى مستوى العلاقات بين القيادتين السياسية والعسكرية كانت هذه فترة وضوح سهل على القيادة العسكرية العليا عملها.

ينطبق هذا الأمر أيضاً على العلاقة مع المستعمرين اليهود والطريقة التى كنا نعمل بها على احتواء سلوكهم. فقد قلل رئيس الأركان دان شومرون ووزير الدفاع يتسحاق رابين من لقاءاتهم مع المستعمرين فى الضفة الغربية.

وكانت الرسالة الصادرة لهم واضحة، وهى أنهم ليس لديهم من يلجأون إليه سوى قائد المنطقة العسكرية، وأنهم غير قادرين على التأثير على قرارات القيادة العسكرية باستخدام طرق ملتوية. وإذا قارنا هذا بالواقع السائد الآن، فقد كان هناك نظام ساد فى ذلك الوقت ينظم العلاقات بين القرارات العسكرية الموضوعية التى يصدرها المتخصصون وبين الأمور السياسية. ففى فترة عملى كقائد للمنطقة الوسطى لم يتم بناء أى مستعمرة جديدة، وقد كان هذا أيضاً بتعليمات من القيادة السياسية. وكدليل فإن التعليمات القاطعة التى أصدرها وزير الدفاع رابين كانت تقضى بأن أى نشاط فى مجال البناء حتى لو كان قاصراً على دق مسمار فى منطقة قبر يوسف أو تركيب جهاز تكييف يتطلب تصديقاً من القيادة السياسية.

بالإضافة إلى الضغط الشديد الذى أوقعه الساسة على القيادة العسكرية العليا كان هناك ضغط واقع عليها من الجنود أيضاً. حيث كان الجنود يطالبون بإصدار تعليمات لهم بشأن "كيفية التصرف"، وكانوا يؤكدون فى بعض الأحيان أنهم "سئموا لعبة القط والفأر". وكان رابين - الذى كان يكثر من الزيارات الميدانية - يستمع إلى الجنود، وكان يشعر بإحباط شديد فى نهاية الأمر لأنه لم تكن لديه أدوات العمل المطلوبة. ولكننا كنا نناضل حتى يظل الجيش متمسكاً بالأخلاقيات، وكنا نحرص على أن يلتزم الجنود بقواعد السلوك اللائق فى الوقت الذى كانت القيادة السياسية تضغط علينا فيه حتى نستخدم قوة بطش أكبر، وكان الجنود يضغطون من جهة أخرى للسماح لهم بقدر من الحرية.

بالطبع كان هناك عدد لا يستهان به من الحوادث التى جرى فيها مخالفة القواعد، والتى وصفت بأنها "حالات استثنائية"، ولكننا كنا نفرض الالتزام بالقانون. وعلى سبيل المثال فقد حوكم عقيد فى قيادة المنطقة الوسطى وتم تنزيل رتبته إلى جندي، لأنه خالف التعليمات الصادرة إليه من قيادته ونقلها إلى الجنود محرفة. كما تم إحالة بعض الجنود ومن بينهم نائب قائد كتيبة إلى المحاكمة، فى أعقاب حادث تعدى بالضرب على مواطنين فى نابلس صورته كاميرات التليفزيون.

أعتقد أن الانتفاضة الثانية شهدت استجابة من جانب القيادة السياسية والعسكرية للضغوط الواقعة عليهما من أسفل، من جانب الجنود، فأطلقا لهم العنان، وسمحوا لهم بحرية العمل حتى يشعروا بأنهم أفضل حالاً، وحتى يشعروا بأنهم يردون. ويمكن أن نجد تعبيراً عن ذلك فى كتاب "أداة مرتدة" الذى أصدره رافيف دروكر وعوفر شيلح، وكذلك فى التحقيق الذى نشرته فى هذا الشأن صحيفة معاريف، وتناول المنظمة التى سميت "جنود ضد الصمت". عندما نقرأ الوصف الوارد للموقف فى الحالتين لا يمكن أن نهرب من الشعور بأن القرارات التى يتناولها الكتاب والتحقيق قد صدرت بدافع الانتقام.

وأخيراً فإن القيادة السياسية قد امتنعت على مدى السنين عن إجراء أى مشاورات - سوى مع مجموعة محدودة للغاية من القيادة العسكرية - عند اتخاذ أى قرارات حول القضايا الأساسية التى يدور حولها جدل سياسي. وحتى لو كان من الممكن أن نجد تبريراً لذلك، فلابد أن يكون هناك تفاعل بين القيادة السياسية والقيادة العسكرية، إن لم يكن قبل اتخاذ القرارات الأساسية، فعلى الأقل فى التنسيق لتنفيذها. وتبرز ظاهرة عدم التنسيق بين القيادتين أيضاً فى تنفيذ فك الارتباط بين إسرائيل وغزة. لقد توصل رئيس الوزراء شارون إلى قرار سياسى مشروع بالخروج من غزة، وعمل على تنفيذه. ولكنه أصر طوال الطريق إلى التنفيذ على التمسك بمنطق سخيف، وهو أن هذا القرار ليس سياسياً وإنما أمني، وأنه يهدف إلى تحسين وضع إسرائيل الأمني. وإذا كان الأمر كذلك فإن هناك محل للسؤال عن السبب فى عدم القيام بهذه الخطوة بالتنسيق والتشاور مع القيادات العسكرية المتخصصة.

مكافحة الإرهاب: الحاجة لنموذج جديد للعلاقات بين الجيش والدولة

بقلم: عامى أيالون (٢)

سيركز هذا المقال على أمرين، الأول، تحليل موجز بشأن مكافحة الإرهاب فى الفترة ١٩٩٦-٢٠٠٠ التى ترأست فيها جهاز الأمن العام (الشاباك)، والثاني، تصنيف الإرهاب ومكافحة الإرهاب كظاهرة تستوجب تطوير نموذج مختلف للعلاقات بين رجل السياسة ورجل الأمن.

بالنسبة لمكافحة الإرهاب فى فترة رئاستى للجهاز، كانت البداية فى آخر فبراير ١٩٩٦، فى أصعب أسبوعين فى تاريخ دولة إسرائيل فيما يتعلق بمكافحة الإرهاب. وكما نذكر كان ٥٥ مدنياً إسرائيلياً قد لقوا مصرعهم وأصيب ٢١٥ آخرون خلال أقل من أسبوعين فى سلسلة من العمليات الانتحارية. حيث وقعت عمليتان انتحاريتان ،الأولى كانت فى بداية الأسبوع يوم الأحد، والثانية بعدها بأسبوع. ثم عملية فى خط حافلات رقم١٨ فى القدس، وأخرى فى مركز ديزنجوف التجارى فى تل أبيب فى الأسبوع الأول من شهر مارس ثم عملية أخرى قرب طريق عسقلان. فى تلك الفترة وصل مستوى التهديد والشعور بانعدام الأمن إلى مستوى قياسي. وفى مقابل ذلك ففى الفترة ١٩٩٨ -٢٠٠٠ نجحت إسرائيل فى أن تقلل بشدة من مستوى العنف، وفى الشهور الإثنا عشر التى سبقت الانتفاضة الثانية لم يقتل سوى مواطن إسرائيلى واحد فى عملية إرهابية. والسؤال المطروح هو، ما الذى حدث..؟ وكيف نجحنا فى تقليل مستوى العنف إلى هذا الحد..؟ يعبر الرد على هذا السؤال إلى حد كبير عن النموذج الذى يجب أتباعه فى مكافحة الإرهاب الفلسطينى حتى لو كانت الصدفة قد لعبت دوراً فى بلورة هذا النموذج.

عندما كنا نحاول تحليل أحداث تلك الفترة رصدنا تفاعلاً بين بعض العناصر الأساسية التى ليس بينها أى علاقة بديهية. العنصر الأول هو الرأى العام الفلسطيني، والثانى هو المتغيرات الأخرى المرتبطة به، وهى السياسة التى اتبعتها حركة حماس فى العمليات التى قامت بها والثالث هو سياسة السلطة الفلسطينية فى إجهاض النشاط الإرهابي. المتغير الأول والأهم هو الرأى العام الفلسطيني. كنا نقوم بقياس هذا المتغير بشكل دوري. وكان المسئول عن قياسه هو الدكتور خليل شقاقي. وكان التحليل يوضح أنه كلما زاد ميل الرأى العام الفلسطينى لتأييد العملية السياسية كلما تناقصت العمليات الإرهابية. وكان المتغير الثانى وهو سياسة حركة حماس فيما يتعلق بهذه العمليات أحد أسباب ذلك. إذ أن حماس هى المنظمة التى تقود النشاط الإرهابى ضد إسرائيل، ولكنها تستجيب للرأى العام الفلسطيني. وربما يكون هذا هو الموضع المناسب لكى نقول إن إسرائيل تعتبر حماس منظمة إرهابية، ولها الحق فى ذلك. ولكن حماس ليست مجرد منظمة إرهابية وحسب. فأحد الدعامات الأساسية التى ارتكزت عليها هذه المنظمة هى التعليم والنشاط الديني. أما الدعامة الثانية فهى الجناح العسكرى للحركة، المتمثل فى كتائب عز الدين القسام. غير أن إسرائيل تميل إلى النظر لهذه المنظمة من خلال الجناح الإرهابى وحده، أى من خلال كتائب عز الدين القسام. ولكن ارتباط المنظمة بالجمهور من خلال جهازها الدينى يجعلها تخضع العمليات الإرهابية لاتجاهات الرأى العام الفلسطيني. ففى الوقت الذى كانت المنظمة فيه تعتقد أن الشعب الفلسطينى سوف يحقق مطامحه الوطنية من خلال العملية السياسية كانت تتوقف عن اعتبار الإرهاب أمراً مشروعاً.

المتغير الثالث كما سبق أن ذكرنا هو موقف السلطة الفلسطينية من الإرهاب، أو سياستها فى مكافحة الإرهاب. فقد كانت أجهزة الأمن الفلسطينية تستجيب هى الأخرى لنبض الشارع الفلسطيني. ولذلك فقد كانت تتصدى لمكافحة إرهاب إخوانها من المسلمين المتطرفين (أتباع حركة حماس)، دون النظر إليها على أنها تتعاون مع إسرائيل. وعندما كنت رئيساً لجهاز الشاباك اعتدت عقد لقاء شهرى مع قيادات أجهزة الأمن الفلسطينية للتنسيق بين أجهزة المخابرات. فى هذه الاجتماعات زعم جبريل الرجوب ومحمد دحلان وأمين الهندى وغيرهم، أن السبب الوحيد لقيامهم بمكافحة الإرهاب والزج بأتباع حركة حماس فى السجن هو اعتقادهم بأن هذا الأمر سيؤدى فى النهاية إلى قيام دولة فلسطينية مستقلة (فى فترة معينة كان عدد أعضاء حماس المعتقلين فى السجون الفلسطينية يفوق عدد المعتقلين فى إسرائيل منهم). وبالإضافة إلى ذلك فقد أضافوا أنهم- مثلهم مثل الجمهور الفلسطينى - فى اللحظة التى يفقدوا فيها الثقة فى عملية السلام سيتوقفون عن مكافحة الإرهاب.

كانت النتيجة التى توصلت إليها هى أن هذه العناصر الثلاثة مجتمعة ومعها نشاط جهاز الشاباك كانت السبب فى القضاء شبه المبرم على الإرهاب فى عامى ١٩٩٩-٢٠٠٠ . ماذا حدث إذن فى صيف عام٢٠٠٠ . لقد حدث تطور يتلخص فى فقدان الجمهور الفلسطينى للثقة فى عملية السلام. لم يعد الجمهور الفلسطينى يؤمن أن عملية السلام سوف تلبى طلباته أو تستجيب لتطلعاته إلى الاستقلال السياسى وإنهاء الاحتلال والإذلال، وإلى تحسن الاقتصاد والقضاء على الفساد الاقتصادى والعنف وما شابه ذلك. وأدى التغير الذى حدث لدى الجمهور الفلسطينى بعد أن فقد الأمل إلى تغيير فى سلوك حركة حماس وفى سياسة إجهاض العمليات الإرهابية التى كانت السلطة الفلسطينية تتبعها.

ما هى الصلة بين كل ما قلته حتى الآن، وبين القيادة السياسية والقيادة العسكرية والأمنية فى إسرائيل..؟ سنجد الرد على هذا السؤال فى نموذج العلاقات بين القيادتين العسكرية والسياسية والحاجة إلى إعادة تنظيم هذه العلاقة حسب طبيعة المواجهة التى تخوضها إسرائيل. لقد أكد فون كلاوزفيتش فى بداية القرن التاسع عشر فى كتابه "عن الحرب" أن جوهر النصر هو خلق واقع سياسى أفضل. وعلى ضوء هذا الكلام فإن الهدف المشترك للقيادتين العسكرية والسياسية هو بناء نموذج للعلاقات بينهما يسمح للشعب بتحقيق النصر حسب هذا الوصف،

متمثلاً فى تحقيق إنجاز سياسي. وأعتقد أن هناك حاجة لتغيير فى طبيعة العلاقات بين القيادتين العسكرية والسياسية لتتناسب مع نوع الحرب التى من المفترض فيهما التعاون فى مواجهتها.

وحيث أن السنوات الماضية قد شهدت ارتفاعاً فى مؤشرات الكثافة والتناسبية التى تصف تطورات وقعت فى ميدان القتال فإن من الممكن أن نتبنى هذه المقاييس أيضاً فى تحديد أنواع الحرب، حيث يعد تحديد أنواع الحرب عملية معقدة، ليس فى نيتى الخوض فيها، إلا بهدف التأكيد على الطابع الخاص للإرهاب باعتباره نوع مختلف من أنواع الحرب. وإذا كان الأمر كذلك فمن الممكن استناداً إلى مفاهيم القوة تقسيم الحرب إلى ثلاثة أنواع على النحو التالي:

النوع الأول هو حرب تستخدم فيها القوة المفرطة. ويكون السلاح المستخدم فيها سلاحاً تقليدياً. والهدف من هذه الحرب هو التدمير الكامل للطرف الآخر. والفيصل فى هذه الحرب هو الردع، وهو الهدف الحقيقى لهذا النوع من أنواع الحرب إلى حد كبير. ورغم أن هذا النوع سوف يشغل الجمهور الإسرائيلى فى السنوات القادمة إلا أننا لن نتحدث عنه هنا.

النوع الثانى من أنواع الحرب هو المواجهة التى تستخدم فيها قوة كبيرة، أو بمعنى آخر الحرب التقليدية، وقد كان هذا هو نوع الحروب التى خاضتها إسرائيل فى الماضي. ومعدات القتال فى هذه الحرب معروفة، وهى الطائرات والدبابات والزوارق والأسلحة التى يجرى تجهيز هذه المعدات بها. والهدف فى هذه النوعية من الحروب هو هدم أو تدمير الإطار العسكرى المقاتل لدى الطرف الآخر. والفيصل فى هذه الحرب هو مفهوم الحسم وكيفية تحقيقه.

النوع الآخر من أنواع الحرب الذى شهدناه فى العقود الأخيرة هو الحرب باستخدام قوة محدودة. وهو ما يمكن تسميته بالحرب المتكافئة. والسمات الأساسية لهذه الحرب هى استخدام قوة عسكرية محدودة والتكافؤ بين الطرفين المتحاربين. وحيث أن الإرهاب، وهو النوع الثالث من أنواع الحرب، هو الذى سنتناوله هنا، فلابد لنا أن نتوسع فى الحديث عن المدة الزمنية والأهداف والمصطلحات المرتبطة به.

بالنسبة للمدة الزمنية، فإن الإرهاب بعكس الحرب يعد تهديداً قصير الأجل ولكنه مصيري. إذ أن الإرهاب يمثل تهديداً متواصلاً لا يعتبره العسكريون والساسة تهديداً مصيرياً حتى الآن. ولكن له تأثير كبير يتسبب فى الانهيار بمضى الوقت.

لا يهدف الطرف الآخر- الذى يلجا إلى الإرهاب- إلى حسم المعركة، وإنما يسعى للبقاء، أى لعدم الاستسلام. وقد اهتمت الأجهزة الأمنية كثيراً بمدى تناسبية الأسلحة المستخدمة ضد الإرهاب، ولكنها لم تراجع أبداً مدى ملاءمة الأهداف الموضوعة لهذه الحرب (الحسم مقابل عدم الحسم) والمغزى المترتب عليها.

وكما أن النوع الأول من أنواع الحرب (الذى يستخدم فيه السلاح التقليدى بقوة مفرطة) قد استوجب تطوير مضامين جديدة له تتناول الردع كهدف أول من اجل تحقيق الاستقرار السياسي، فإن علينا تحديد المصطلحات بشكل جديد وحديث بهدف تطوير وسائل لمكافحة الإرهاب، الذى يمثل نوع الحرب الثالث.

لقد أخفق النظام الإسرائيلى فى مواجهة الإرهاب لأنه استخدم فى ذلك مفاهيم الحرب التقليدية. لم يعد هناك محل لاستخدام مصطلح الحسم فى مواجهة عدو لا يهدف لشيء سوى لعدم الاستسلام (وهذا هو مستوى تناسبية الأهداف الذى لا يتحدث عنه أحد فى إسرائيل). كما أن مصطلح الردع قد سقط فى مواجهة مجتمع يعتقد أنه ليس لديه ما يخسره. وكبديل لهذه المصطلحات فإن مصطلحات الاحتواء والتشكيل التى لم يعد لها وجود لابد أن تحتل مكان الصدارة من الجدل حول الإرهاب ومكافحته.

فى عام ١٩٨٨ جرت محاولة قام بها مدير عام وزارة الدفاع فى حينه دافيد عفرى لتحديث نظرية الأمن الإسرائيلية. وانضم إلى هذه المحاولة الطموحة شركاء مختلفون ومتخصصون فى مجال الأمن والدفاع. وقد أدت بى هذه المحاولة التى لابد أن نؤكد أنها فشلت إلى التفكير بشكل مختلف فى نظرية الأمن. وقد جذبت انتباهى النظرية التى طرحها العميد احتياط دوف تمرى بشأن العلاقة بين الساسة والعسكريين.

يصف تمرى عملية بلورة نظرية الأمن بأنها عملية تنظير طويلة. وتسمح عملية إعداد المصطلحات فيها بتفسير المعلومات المتاحة لنا والواقع الذى نراه بشكل مختلف. إنها عملية مستمرة قائمة على الدراسة المشتركة. وحسب رأى تمرى فلا يوجد ارتباط بين حدود فهمنا وبين المعلومات المتاحة لنا، ولكن هناك ارتباط بين فهمنا وبين عالم المصطلحات الذى نستخدمه. فليس هناك نقص فى المعلومات بصفة عامة فى عالم اليوم. ولكن هناك نقص فى القدرة على التنظير الذى يهدف إلى تفسير المعلومات بالشكل السليم. ولذلك فإن الانتقال من الأنباء إلى المعلومات ومن المعلومات إلى الذكاء يتطلب بناء عالم من المصطلحات. وهناك أهمية بالغة لهذا الزعم فى الحوار حول العلاقة بين القيادتين السياسية والعسكرية، إذ أن هناك افتراض بأن هذه العملية أكثر أهمية من نتائجها العملية. إن عملية

التفاهم والدراسة واللقاء والحوار التى تسهم فى بناء عالم المصطلحات أكثر أهمية من نتائجها العملية، لأنها فى نهاية الأمر عملية تشكيل وجهات نظر ومصطلحات المشاركين فيها من الساسة والعسكريين. من جهة أخرى فإن ديناميكية هذه العملية تتطلب استمرارها طوال الوقت، حيث أن النتائج العملية التى نتوصل إليها اليوم لن يكون لها محل غداً.

كانت النتيجة التى ترتبت على هذا التوجه هى أن النموذج المناسب للعلاقات بين القيادتين السياسية والعسكرية يختلف بشدة عما جرت عليه العادة حتى اليوم. فقد اختلف هذا النموذج عن النموذج الذى دعا إليه كلاوزفيتش منذ نحو مائتى عام، وعن النموذج الذى دعا إليه ريمون آرون فى كتابه، وهما النموذجان اللذان انتشرت الأفكار الواردة فيهما منذ منتصف القرن العشرين. ففى النموذج الذى يظهر من وصف كلاوزفيتش للحرب يحدد رجل السياسة الأهداف السياسية ويستخدم الوسائل العسكرية المتاحة له لتحقيقها. ويقوم هذا النموذج على التسلسل القيادي. ومعنى هذا أن النموذج المذكور ليس فيه سوى حالتين إما الحرب أو السلام. كما أن التسلسل القيادى فيه واضح. فالقيادة السياسية هى التي تحدد الأهداف السياسية للقيادة العسكرية. أما ريمون آرون فقد اقترح فى كتابه "عن الحرب والسلام" نظاماً موازياً لنظام التسلسل القيادي، ولكنه يتسم بالمرونة. فرجل السياسة فى رأيه هو شخص يمسك فى إحدى يديه بالوسائل الدبلوماسية وفى اليد الأخرى بالوسائل العسكرية، ويقوم باستخدام الوسيلتين لتحقيق أهدافه السياسية، ولكن بشكل تدريجي. ويتضمن هذا النموذج تفاعلاً بين التوجيهات السياسية والنشاط الدبلوماسى والقوة العسكرية. ورغم هذا يظل هذا النموذج قائماً على التسلسل القيادي، وإن كان يشتمل فى الواقع على نوع من الحلول الوسط يسمح باستخدام الوسائل الدبلوماسية والعسكرية فى نفس الوقت فى قنوات متعددة. وهذا النموذج الذى طرحه آرون هو الذى يصلح إلى حد كبير للواقع العسكرى وللعلاقات بين الدول فى النوع الثانى من الحروب الذى يقوم على استخدام القوة العسكرية(وهو الحرب التقليدية).

فى نموذج تمرى فى مقابل ذلك، يجتاز القادة السياسيين والعسكريين عملية تعلم مشتركة غير قائمة على التسلسل القيادى بنفس القدر. حيث يجلس الطرفان إلى مائدة مستديرة ويركزان على المضمون الذى سيتناولانه فى حوارهما. ويحق لكل طرف من الأطراف أن يطرح موضوعاً للنقاش. وبذلك لا يكون فى استطاعة أى منهما أن يلقى بالمسئولية على الآخر إذا لم يتم الحوار بينهما. وإذا جرت الأمور على هذا النحو فلن تستطيع القيادة العسكرية اتهام القيادة السياسية بأنها لم تحدد لها السياسة التى تريد منها إتباعها. ويكاد هذا الزعم يكون اتهاماً تكرر طوال السنوات الماضية. وفى إطار هذا النموذج - ولاسيما عندما يكون الأمر متعلقاً بالإرهاب، الذى تفرض فى إطار مقاومته قيود مشددة على استخدام القوة - لا يوجد محل لفرض الرأي. فمهمة القيادة السياسية ليس إملاء السياسة وإنما بلورتها. أما مهمة العسكريين فهى ملأ الفراغ الناتج، ليس بغرض السيطرة عليه، وإنما بهدف الوصول لإجراء حوار مشترك.

وهنا يثور السؤال، إلى أى حد يتناسب هذا النموذج مع ثقافة الإدارة الإسرائيلية. من تجربتى الشخصية لا يوجد تفاهم من هذا النوع، ولكن لابد أن أؤكد أن هذا هو النموذج الوحيد الذى يجب أن تتبناه إسرائيل الآن. فالقيادة السياسية فى ظل الواقع الحالى غير قادرة على تحديد الأهداف السياسية لأن الظروف السياسية- التى ليس هذا هو الموضع المناسب للحديث عنها - تقيدها. فمن يتوقع إذن الالتزام بالنظام التقليدى القائم على التسلسل القيادى - الذى يحدد فيه رجل السياسة الأهداف السياسية - سيخيب توقعه. وهناك خوف من أن الفراغ الذى نشأ قد يجذب الجيش فى نهاية الأمر، فيقلب الآية، ويدير القتال بناءً على فهمه القائم على احتياجات العملية نتيجة لشعوره بالتفوق الناتج عن الجهل. هنا سيصبح المستوى العملياتى هو الهدف وستصبح الدائرة المفرغة الناتجة عن التصعيد وفقدان السيطرة هى الغاية.

بناءً على ما سبق، لابد أن يقوم الجدل الأساسى بشأن النوع الثالث من أنواع الحرب، الذى يتسم بالتناسبية على التعاون بين القيادتين العسكرية والسياسية، ولذلك فهناك حاجة إلى تبنى أسلوب الحوار المستمر متعدد الأطراف. وبالطبع فإن القيادة السياسية فى هذا النموذج تحدد أهدافها فى كل مرحلة زمنية من خلال تفهم حدود القوة وحدود الصراع. وأقصد هنا حدود استخدام القوة بغض النظر عن مستوى المعدات الحربية المتاحة، وهى حدود تأتى نتيجة لتزايد مستويات التغطية الإعلامية، ونتيجة للاستجابة لقيود المسموح والممنوع بموجب القانون الإسرائيلى والقانون الدولي، ولأشياء أخرى لم تكن القيادة السياسية تهتم بها فى الحروب السابقة. ولن يكون من الممكن مواجهة تحديات الواقع الجديد سوى بالتفاعل بين القيادتين بما يقلل إلى حد كبير من وضوح التسلسل القيادي.

أود أن أؤكد أن الواقع الذى عرفته أثناء عملى لم يشهد وجود مثل هذا النموذج على الإطلاق. وحتى عندما طرحت مشكلة التناسبية كان الاتجاه السائد يقضى بالتركيز على التناسبية بين الأسلحة المستخدمة، أو التناسبية التنظيمية (جيش فى مواجهة منظمة منتشرة وشبه مدنية مثل حماس أو تنظيم مثل تنظيم القاعدة). ولم تجر مناقشة

الجانب الهام المتعلق بالتاسبية الفكرية، التى تترتب عليها التاسبية فى تحديد أهداف الحرب، وحتى لو جرت مناقشته فإن هذا لم يحدث بالقدر الكافي. وقد قام ريمون آرون الذى يهتم كثيراً بهذا الجانب (على ضوء الحرب الفرنسية الجزائرية) ببحث التناسب بين الهدف والاستراتيجية. أما بالنسبة لنا هنا فما يهمنا هو مفهوم الانتصار. فهذا المفهوم يؤدى إلى تناسبية. فإذا كان أحد الطرفين يسعى لتحقيق النصر، بينما كان الهدف الذى حدده الجانب الآخر لنفسه هو عدم الهزيمة، فسينشأ انعدام فى التناسبية بين الأهداف. فالانتصار يتطلب استخدام استراتيجية الحسم. وعنصر الوقت هو عنصر أساسى لتحقيقه، حيث أن الطرف الذى يسعى للانتصار يسعى لحسم الحرب. وفى مقابل ذلك يسعى المنافس لعدم الانهزام. ويسعى لإثبات أنه رغم التفوق التكتيكى للخصم، فإنه لن يتمكن من إلحاق هزيمة استراتيجية به. ذلك أن استراتيجية الطرف الذى يسعى لعدم الهزيمة هى ما يطلقون عليه باللغة العربية "الصمود".

إذا لم يكن العمى قد أصابنا، فإن ما نواجهه منذ سنين هو مجتمع أعلن منذ سنوات عن تمسكه باستراتيجية الصمود. ولكننا نحن الذين نسمح لرجال الأمن بالسيطرة على عالم مصطلحاتنا وعلى مضامينه لا زلنا نعيش فى عصر الحرب غير الصحيحة التى يعد الحسم فيها هو الهدف الأسمى، واستخدام القوة هو الوسيلة الوحيدة المعروفة لنا. لقد طرحت مسألة انعدام التناسبية بين الاستراتيجيات فى كتاب "الحرب والاستراتيجية" الذى ألفه يهوشباط هاركفي، الذى تناول فيه مشكلة الانتصار التكتيكى الذى يتسبب فى انسحاب ويتسبب أحياناً فى فشل استراتيجي. من بين سمات هذا الواقع الذى يتمثل فى الشعور بالنجاح التكتيكى وبالفشل الاستراتيجي، أن يشعر العسكريون بأنهم قد تعرضوا لخيانة. فى مثل هذا الموقف يتزايد الشعور المشترك بالإحباط، لدى العسكريين الذين لا يفهمون كيف لا يمكن ترجمة النجاح العسكرى إلى انتصار، ولدى الساسة الذين يتوقع بعضهم أن يكون الحل عسكرياً، ويتهمون الجيش بالتراخي. ويكاد يكون هذا بالتحديد هو وضع العلاقات بين القيادتين العسكرية والسياسية فى إسرائيل. ففى بداية الانتفاضة اتهم رئيس الوزراء شارون الجيش بالتراخي، بينما كان العسكريون يعتبرون وزارة الخارجية خائنة. وكان السبب فى ذلك أن الخارجية كانت تجرى حواراً مع الفلسطينيين بهدف احتواء العنف، بعلم من رئيس الوزراء وبدعم من جانبه. وهذه ليست ظاهرة جديدة، ولم تكن إسرائيل هى التى اخترعتها. فقد كتب عن ذلك منذ ثلاثين أو أربعين عاماً، ولكن هل قرأنا ما كُتب وفهمناه..؟

يمكننا أن ننظر إلى اغتيال رائد كرمى على أنه مثال على ما ذكرناه هنا. تم اغتيال رائد كرمى زعيم كتائب شهداء الأقصى بتاريخ ١٤ يناير ٢٠٠٢ . وجدير بنا أن نلتفت إلى أن عملية الاغتيال جرت بعد ١١ سبتمبر ٢٠٠١، فى الفترة التى لم يكن من الممكن فيها التعامل مع الإرهاب، وبعد خطاب وزير الخارجية الأمريكى الذى تحدث فيه عن حلم الدولتين - دولة فلسطين وإلى جانبها دولة إسرائيل - والذى اعتبره عرفات رسالة تعبر عن الأمل السياسي، مما جعله يدعو فى خطابه بتاريخ ١٦ ديسمبر ٢٠٠١ إلى وقف الانتفاضة، فخمدت الانتفاضة فجأة وتحقق الهدوء. كان رائد كرمى يريد مواصلة القيام بعمليات ضد إسرائيل، وتوجه إلى مروان البرغوثى رئيس التنظيم وأمين حركة فتح فى الضفة ليأخذ موافقته على ذلك. ورفض البرغوثى ذلك لأن عرفات قال إنه لن يجرى تنفيذ أى عمليات فى هذه المرحلة. واستسلم كرمى لهذه التوجيهات، وبعدها بثلاثة أيام اغتالته إسرائيل فى طولكرم. ولم يكن لهذه المعلومة التى عرفت بها المخابرات العسكرية الإسرائيلية وعرف بها جهاز الأمن العام الإسرائيلى (الشاباك) تأثير على قرار اغتياله، حيث جرت العملية قبل أيام قليلة من زيارة كان وزير الخارجية الأمريكى باول يخطط للقيام بها إلى المنطقة. واعتبرت حركة فتح أن هذا الاغتيال مؤامرة إسرائيلية فأسقطت كافة القيود التى ألزمت بها نفسها. وانضمت إلى حركة الجهاد الإسلامى الفلسطينية وإلى حركة حماس فى تنظيم عمليات داخل حدود الخط الأخضر، وسرعان ما حدث الاعتداء على فندق بارك عشية عيد الفصح فى مارس ٢٠٠٢ . كان هذا الحادث هو المثال الذى يشير إلى ثغرة تتمثل فى عدم وجود حوار بين القيادات. فالقيادة العسكرية التى تعتبر العمليات هى غاية المراد كانت تريد تنفيذ عملية الاغتيال بأى ثمن. أما القيادة السياسية فلم يكن لها هدف سياسى واضح، وكانت لا تدرك أن استخدام مصطلحات مثل الحسم ليس له أى فائدة، وبالتالى فقد كانت تسير أسيرة خلف الجيش فى عملياته. وبذلك أنسقنا إلى دوامة العنف.

وأخيراً فقد جرت العادة فى البحرية على أن يقولوا إن القبطان لو لم يكن يعرف إلى أين يريد الذهاب فلن يجد أى رياح فى العالم تساعده على الوصول إلى وجهته. ولا تزال هذه القاعدة صحيحة حتى الآن. وهى ليست قاصرة على البحرية. فهناك شعور بأننا فى مركب يسير فى البحر، وأن القبطان- وهو رئيس الوزراء- لا يعرف وجهته، أو قرر الاحتفاظ بوجهته سراً، وأن مساعد القبطان- وهو وزير الدفاع- لا يعرف ما هى التوجيهات التى يجب أن يعطيها للبحارة. فى ظل هذا الواقع تكون السيطرة لكبير البحارة، وهو رئيس الأركان. فهو الذى يعطى التعليمات للبحارة- وهما الجيش فى هذه الحالة- دون أن نعرف نحن أصحاب المركب إلى أين تبحر.

التغير فى العلاقة بين القيادتين فى ظل انتفاضة الأقصى

عوفر شيلح (٣)

لا شك أن السؤال الرئيسى المطروح للبحث الآن هو: ما الذى تغير فى العلاقة بين القيادتين العسكرية والسياسية منذ عام ٢٠٠٠ حتى الآن. وكيف أثرت العلاقة بين القيادتين على مواجهتنا للحرب التى تجرى باستخدام قوة محدودة..؟ (٤) للرد على هذا السؤال لابد من بحث المواقف المختلفة التى اتخذتها القيادات حتى فى الفترة السابقة على اندلاع الحرب، فى تلك المواجهة التى تجرى باستخدام قوة محدودة بين إسرائيل والفلسطينيين منذ سبتمبر ٢٠٠٠، والتى يطلق عليها اسم "انتفاضة الأقصى".

سبق اندلاع هذه الانتفاضة مواجهة أخرى جرت باستخدام قوة محدودة، وهى حرب لبنان، التى أثرت كثيراً على العلاقات بين القيادتين العسكرية والسياسية فى فترة الانتفاضة. منذ عام ١٩٨٥ وحتى الانسحاب من لبنان عام ٢٠٠٠ كانت المواجهة تجرى باستخدام مجموعة محدودة للغاية تقدر ببضع مئات من الجنود النظاميين الذين يخدمون فى المنطقة الشمالية وقادتهم بالإضافة إلى رئيس الأركان والقيادة السياسية. ولكن الجيش تعرض لمشكلات فى هذا الإطار المحدود، وسأذكر ثلاث منها. كانت المشكلة الأولى هى عدم وضوح درجات القيادة، والثانية التداخل فى القرارات بين القيادتين، والثالثة أسلوب الانسحاب من لبنان فى مايو ٢٠٠٠ .

بالنسبة للمشكلة الأولى وهى عدم وضوح درجات القيادة، فى مواجهة تجرى باستخدام قوة محدودة كهذه المواجهة التى كانت تجرى فى لبنان يشعر وزير الدفاع أن حكم الجمهور على أدائه كوزير للدفاع يأتى بناء على أداء أحدث جندى فى لبنان. وقد وصلت الأمور إلى حد أن وزير الدفاع يتسحاق موردخاى تدخل فى موقع برج حراسة- أثناء زيارة قام بها لجنوب لبنان بعد قصف تعرض له موقع عسكري- فأمر بنقله من أحد جانبى الطريق إلى الجانب الآخر. فى هذا الموضع تم طمس الحدود بين سلطات القيادات، فلا أهمية لرئيس الأركان ولا لقائد المنطقة العسكرية ولا للقادة الميدانيين، والمهم هو رأى وزير الدفاع فقط الذى يرى تغيير موقع برج الحراسة. وقد حدث نفس الشيء فى المراحل الأولى للانتفاضة، عندما كان إيهود باراك رئيساً للوزراء ووزيراً للدفاع. كان الرأى السائد فى مكتب رئيس الوزراء هو أن الجمهور محتاج إلى التأكد من سيطرة القيادة السياسية على مقاليد الأمور فى مثل هذه الحرب المحدودة. وقد قام مكتب رئيس الوزراء بعد عملية جرت فى رام الله بتسريب أنباء بشأن اتجاه نية إسرائيل إلى الرد عليها. وقد ورد فى الأنباء التى تم تسريبها أن باراك ورئيس الأركان قد اجتمعا وقررا قصف مقر القيادة الفلسطينية التى جرت عندها العملية فى رام الله. وقد أفادت الأنباء بأن باراك أمر بإطلاق صاروخين وعدم الاكتفاء بصاروخ واحد. وهذا دليل على أن رئيس الوزراء ووزير الدفاع فى دولة إسرائيل خبير فى المعدات العسكرية والأسلحة، ويعرف عدد الصواريخ المطلوب إطلاقها لتدمير مبنى.

على الجانب الآخر من الهرم القيادى تبلور مصطلح فى الجيش الإسرائيلي، يوصف بأنه "قائد الفصيلة الاستراتيجي". وقد استشرى هذا المصطلح خلال الانتفاضة الحالية. ويقصد به ذلك القائد الذى يمنع مرور وزير فلسطينى من الحاجز، أو القائد الذى أطلق النار على سيارة محمد دحلان عند حاجز إيريز، وبذلك منع اللقاء الذى كان مزمعاً بين دحلان وبين طرف إسرائيلي. وبذلك تنقلب الأوضاع فى هذه المواجهات التى تستخدم فيها قوة محدودة. فيتصرف وزير الدفاع كأنه قائد فصيلة ويتصرف قائد الفصيلة كأنه وزير الدفاع. وهذا الوضع ليس جديداً على إسرائيل، ولكنه يتفاقم فى هذه النوعية من المواجهات.

تتعلق المشكلة الثانية بالتداخل فى القرارات بين القيادتين العسكرية والسياسية، وقد حدث هذا طوال حرب لبنان، ولاسيما فى السنوات الأخيرة. فقد كان بنيامين نتنياهو يريد الانسحاب من لبنان. ورغم أنه ليس من الواضح إلى أى حد كان يريد ذلك، فلا يجب أن نتجاهل أنه طرح هذه الفكرة. ولكن الجيش كان السبب فى تراجع نتنياهو عن هذا. وكان خوف نتنياهو يرجع إلى عدم وجود اتفاق بين قادة الجيش فى هذا الشأن. فقد كان قائد المنطقة الشمالية عميرام لفين ورئيس أركانه شاى أفيطال يؤيدان الانسحاب، بينما كان رئيس المخابرات العسكرية فى ذلك الوقت موشيه يعلون يعارض ذلك بشدة. وليس فى استطاعة الحكومة الإسرائيلية أن تتخذ قراراً فيما يتعلق بالدفاع والأمن إذا لم يخبرها الجيش بما يجب عليها أن تفعله، باستثناء نوعية معينة من القرارات التى تتخذها دون تشاور مع الجيش، مثل قرار الانسحاب من لبنان وقرار فك الارتباط مع غزة. وعلى سبيل المثال ففى اجتماع عقد لدى وزير الدفاع موفاز قبيل فك الارتباط، لبحث ما إذا كانت هناك حاجة إلى هدم المنازل الموجودة فى المستعمرات التى كانت

قائمة فى قطاع غزة، قرر ضباط الجيش أنهم ليس لديهم موقف فى هذا الشأن. وقد كان الهدف من عقد هذه الجلسة بالكامل هو المحاولة اليائسة من جانب وزير الدفاع لاستيضاح موقف الجيش فى هذا الشأن، لأنه لو لم يعرف موقفهم فلن يتمكن من التصريح بموقفه حتى لو كان وزير الدفاع هو موفاز نفسه، الذى كان رئيساً للأركان ويعرف كيف يتخذ القرارات، والذى له مواقف مستقلة. ولكن فى هذه الحالة إذا كان موقف وزير الدفاع لا يستند إلى رأى الجيش وإلى المعلومات المتاحة له فلن يعرف كيف يتصرف.

أضف إلى هذا أنه لو كان الجيش هو الذى يحيط القيادة السياسية بالواقع علماً، ففى حالة عدم وجود رأى للجيش لن تعرف القيادة السياسية شيئاً عن الواقع. وعلى سبيل المثال، من الذى حكى لنا ما يحدث منذ سبتمبر ٢٠٠٠؟ ومن الذى أخبرنا أن عرفات هو الذى كان يحرك الأمور كلها، وأن هذه حرب تجرى على مراحل..؟ لقد أخبرنا بهذه الأمور اثنان، نائب رئيس الأركان الأسبق موشى يعلون ورئيس قطاع البحوث فى ذلك الوقت عاموس جلعاد. لقد كان هذان الاثنان هما اللذان حددا رؤيتنا للواقع من خلال ما وصفاه بأنه مقاومة لأسلوب الخطاب الحالي، رغم أن أسلوب الخطاب الجديد كان محك خلاف فى وزارة الدفاع. وعلى سبيل المثال، فإن يوفال ديسكين الرئيس الحالى لجهاز الأمن العام (الشاباك) – الذى كان نائباً لرئيس الجهاز فى ذلك الوقت – كان يعارض بشدة فى الرأى القائل بأن كل ما يحدث هو أمر مخطط له. فقد كان يعتقد أن هذه عمليات مرتجلة، مثل الانتفاضة، تحولت بمضى الوقت إلى حرب إرهابية. ولا يكاد يكون لدى القيادة السياسية أى علم بآراء أخرى خلاف الرأى الرسمي. وإذا كان لديها علم بهذه الآراء فإنها لم تكن تهتم بها.

كانت المشكلة الثالثة التى واجهت الجيش الإسرائيلى بعد حرب لبنان هى مشكلة الانسحاب من لبنان. ففى مايو ٢٠٠٠ لم يكتف رئيس الوزراء باراك بإجبار الجيش على الانسحاب من لبنان، ولكنه منع الجيش من تجديد جدار السلك الشائك الموجود على الحدود الدولية. وكان مبرره لذلك أن الانسحاب سيكون بموجب اتفاقية. وبذلك وصل الجيش إلى الأسبوع الأخير من شهر مايو ٢٠٠٠، وانسحب من لبنان بطريقة جعلت كبار الضباط يشعرون بالإذلال. صحيح أن رئيس الأركان موفاز وقائد المنطقة الشمالية جابى إشكنازى كانا يفخران فى المؤتمر الصحفى الذى عقد بهذه المناسبة بأن الانسحاب لم يشهد أى إصابة بين جنود الجيش الإسرائيلي، ولكنهما كانا يشعران بالمهانة والإذلال. كانا يشعران بأن الجيش قد انتصر فى المعارك فى لبنان ولكن القيادة السياسية خذلته. وقد وصلت هذه الأزمة إلى ذروتها فى ٢٣مايو ٢٠٠٠ . ففى الوقت الذى كانت المنطقة الأمنية فيه تنهار تماماً اجتمع رئيس الوزراء باراك مع موفاز وإشكنازى وسألهما عما إذا كان الجيش يستطيع البقاء هناك حتى شهر يوليو حتى يتم التوصل إلى اتفاقية. وتبادل القائدان العسكريان النظرات، وبدون أن ينطق أحدهما بكلمة توصلا إلى نتيجة مفادها أن القيادة السياسية لا تفهم ما الذى يجري.

ربما يكون رئيس الأركان موفاز قد استعد للانتفاضة فى السنة التى سبقتها، نتيجة للدرس المستفاد من هذا. وقد استعد لها رغم أنف القيادة السياسية ورغم استيائها. وقد كان من القصص التى تم نشرها فى هذا الشأن فى وقت سابق أن موفاز طلب ميزانية إضافية من أجل الاستعداد، وأن جادى إيزنكوت السكرتير العسكرى لرئيس الوزراء فى ذلك الوقت، أعطاه قصاصة ورق مكرمشة فى المطار على ممر الإقلاع مكتوب فيها بخط كبير كلمة "لا". ورغم ذلك فقد قرر موفاز توجيه ميزانيات من مصادره كرئيس للأركان وقام بالاستعداد للانتفاضة وحده. وجدير بنا أن نشير إلى أن رئيس الوزراء ووزير الدفاع إيهود باراك لم يعقد فى الشهور السابقة على سبتمبر ٢٠٠٠ ولو اجتماعاً واحداً مع رئيس الأركان لمناقشة المواجهة المنتظرة مع الفلسطينيين. وكان تفسير باراك الوحيد لهذا أنه لو عقد مثل هذا الاجتماع لتم تفسيره على أن إسرائيل تتأهب للحرب ولكان قد اتهم بتخريب المفاوضات، وهذا الأسلوب فى تفسير الأمور هو سمة مميزة لإيهود باراك.

فى الأيام الأولى للانتفاضة كانت القيادة السياسية غاضبة من فشل مفاوضات كامب ديفيد. وقد تبلورت فى ذلك الوقت وجهة نظر ترى أنه "لا يوجد لإسرائيل شريك فى المفاوضات" وأننا "عرضنا عليهم كل شيء فرفضوا".(٥) وكان باراك هو الذى قام بصياغة وجهة النظر المذكورة فى يوليو ٢٠٠٠ . فى نفس الوقت لم تستعد القيادة السياسية للمواجهة، بل وواصلت التفاوض مع الفلسطينيين وتقديم مقترحات جديدة لهم لم تكن مقبولة من جانب الجيش. وقد كانت هذه مرحلة نظر فيها الجيش إلى القيادة السياسية على أنها غير مسئولة على الإطلاق. وقد عبر عن ذلك يوم طوف سانيا قائد المنطقة الشمالية فى ذلك الوقت خلال الأيام الأولى للانتفاضة عندما قامت مجموعة من أعضاء الكنيست بزيارة المنطقة لترى ما يفعله الجيش هناك. فقال لهم: "لن يخبرنى أحد كيف أنتصر فى هذه الحرب".

لقد أبرزت انتفاضة الأقصى الخلل الذى شاب أداء وزير الدفاع. فلم يكن هناك أثر لمنصب وزير الدفاع فى ذلك الوقت. صحيح أننا شهدنا وزراء دفاع أقوياء مثل يتسحاق رابين، ولكن القاعدة هى أن وزراء الدفاع كانوا ضعفاء.

وهذا الضعف يظهر فى الصراعات التى تستخدم فيها قوة محدودة، والتى لا يكون الاتصال المباشر فيها قاصراً على رئيس الوزراء ورئيس الأركان فحسب، وإنما يكون أيضاً بين رئيس الوزراء وبين قائد سلاح الطيران أو بينه وبين رئيس المخابرات العسكرية أو بينه وبين رئيس قطاع البحوث فى المخابرات، أو قد يصل الأمر إلى حد الاتصال بينه وبين القادة الميدانيين.

لقد طلب شارون من كبار الضباط أثناء أول زيارة له إلى قيادة المنطقة الوسطى أن ينزلوا معه إلى الميدان. وقال لهم بخفة ظله المعروفة: "يبدو لى أنكم شديدى الانشغال، ولديكم أمور كثيرة تقومون بها، وأنا أريد الحديث إلى القادة الميدانيين". ثم انصرف إلى الحديث مع قادة الكتائب. وبغض النظر عما قاله شارون فى هذا اللقاء مع قادة الكتائب فما جرى هنا كان تجاوزاً للقادة. أما وزير الدفاع بنيامين بن اليعيزر فقد كان يتعرض للسخرية منه من جانب القيادات العليا ومن القيادات الميدانية على حد سواء. وقد أثر هذا على العلاقة بين رئيس الوزراء ورئيس الأركان. فقد عقدت جلسات تشاور لدى رئيس الوزراء كان رئيس الأركان يجلس فيها وظهره إلى وزير الدفاع. لماذا..؟ لأن منصب وزير الدفاع هو منصب ليس له وجود فعلي.

كان أوضح مثال على ذلك هو شاؤول موفاز الذى انتقل أثناء الانتفاضة- بفارق أربعة أشهر – من منصب رئيس الأركان إلى منصب وزير الدفاع. لقد اكتشف موفاز فجأة أن كل النقاط التى كان يعتقد أنها نقاط قوته كرئيس للأركان قد اختفت فجأة مع توليه منصب وزير الدفاع. فقد كان من وجهة نظره رئيساً لموشى يعلون الذى عمل معه نائباً لرئيس الأركان، ولكن يعلون لم يكن ينظر إليه على هذا النحو. وقد أدى هذا إلى عدد لا يستهان به من الخلافات بينهما. وأدى فى نهاية الأمر إلى عدم مد خدمة يعلون فى منصب رئيس الأركان. لقد وصل موفاز إلى منصب وزير الدفاع من منصب رئيس الأركان الذى كان فيه يعتقد أنه أقوى رجل فى دولة إسرائيل، ولاسيما فى وقت الحرب. وفجأة انقلبت الأوضاع. فقد ترقى إلى منصب أصبح فيه هو الرجل الضعيف، ولاسيما فى وجود شارون رئيساً للوزراء. أضف إلى هذا أن رئيس الوزراء هو الذى يعين وزير الدفاع الذى لابد أن يكون خادمه الأمين. ولذلك لم يكن مما يدعو للدهشة أن تعاون موفاز مع شارون فى فك الارتباط مع غزة.

إن وزير الدفاع مثله مثل الوزراء الآخرين يرتبط بأجهزة الجيش. وفى المشاورات التى تعقد لدى وزير الدفاع يظل الجيش هو الذى يحدد الموقف لأنه الذى تكون لديه المعلومات ولديه أساليب العمل المناسبة، ويحتفظ بهذه الأمور لنفسه. وإذا رغب الوزير فى الحصول على معلومات بديلة، ولاسيما فيما يتعلق بمواجهة بهذا التعقيد، فإنه يواجه مشكلة. فمتى يصدر قرار باغتيال أحد القادة..؟ وهل هو قرار عسكرى أم سياسي..؟ وكيف تتجلى انعكاسات هذا القرار..؟ يجرى اتخاذ هذه القرارات دون أن تعرف الحكومة شيئاً عنها، ومن قبيل المفارقة أن الحكومة تشعر بالارتياح لهذا الوضع. وفى حديث أجريته أنا ورافيف دراكون مع أحد الوزراء السابقين زعم فى هذا الصدد أن من الأفضل له ألا يعرف شيئاً. وكان سبب ذلك أنه يعتقد أن رأيه مهم، ولكن ليس لديه معلومات كافية. فلم تكن لديه معلومات على سبيل المثال عما يمكن أن يتسبب فيه اغتيال الشيخ ياسين. وإذا كانت لديه معلومات فقد وصلته من المخابرات العسكرية.

كيف تبدو جلسة تعقدها الحكومة لمناقشة شئون الدفاع..؟ يجتمع الوزراء ويحضر رئيس الأركان ونائبه وقائد المنطقة العسكرية المعنية بالاجتماع ورئيس المخابرات العسكرية ورئيس قطاع البحوث وقائد سلاح الطيران. ويتحدث كل منهم لمدة ربع ساعة. وبالمناسبة فلو كان هناك جانب آخر سيحضر هذه الجلسة مثل جهاز الشاباك فإن رئيس الجهاز يأتى بنفسه. وبعد سماع الكلمات المختلفة يكون الوزراء مترددين. فليس لديهم أى معلومات بديلة، وذلك أيضاً لأنهم ليس لديهم جهة تعرض عليهم البدائل، أو تتولى التعامل مع المعلومات المختلفة، مثل مجلس الأمن القومي. فما الذى يمكنهم عمله سوى الاستسلام وقبول ما يعرض عليهم..؟ لقد قال الوزير السابق إيلى سويسا الحقيقة عندما قال: "من الأفضل ألا أعرف".

لقد تحولت الاغتيالات الشخصية التى كانوا فى البداية يصفون من يتعرض لها بأنه قنبلة موقوتة، إلى بنية أساسية للإرهاب. إذ أنه فى مثل هذه المواجهات أيهما يكون أكثر خطورة، الانتحارى الذى يفجر نفسه، أم الشخص الجالس فى المكتب، الذى يقوم بإرساله ويمكنه إرسال عشرات آخرين مثله..؟ ومن الذى يقوم بتجريم هذا الرجل..؟ ومن الذى يقرر ما إذا كان هذا الرجل خطير حقاً..؟ إنها المؤسسة العسكرية وحدها. هكذا أصبحت الاغتيالات – حسبما أكد رئيس الأركان يعلون فى صيف عام ٢٠٠٣– أداة سياسية تستخدمها دولة إسرائيل. وبذلك أصبحت دولة إسرائيل أول دولة فى العالم تستخدم الاغتيالات كأداة سياسية.

وبنفس الطريقة فقد حدد الجيش الإسرائيلى من جديد من هو العدو، وهو تحديد يمثل مشكلة فى مثل هذه المواجهات. على سبيل المثال، هل الشرطى الفلسطينى عدو..؟ فى الماضى لم يكن الشرطى الفلسطينى يعتبر عدواً،

ولكن فى وقت من الأوقات قرر الجيش الإسرائيلى بعد هجوم تعرضت له نقطة تفتيش فى "عين عريق" أن الشرطى الفلسطينى عدو. ونتيجة لذلك أمر الجيش الإسرائيلى وحداته الخاصة بالهجوم على نقاط تفتيش كان بها جنود شرطة فلسطينيين لم يطلقوا الرصاص على قواتنا على الإطلاق بدون مناقشة مدى صحة هذا القرار. لقد تغير تحديد العدو فى لحظة، كما أصبحت المدة التى يستمر العدو عدواً خلالها فى هذه النوعية من المواجهات أقصر بكثير. فقد كان الشيخ ياسين شخصاً يحظر المساس به، ثم فجأة أصبح ذات يوم هدفاً للاغتيال. حتى ذلك اليوم كان الزعم السائد هو أن المساس به قد يؤدى إلى كارثة، وفى اليوم التالى أصبح اغتياله هدفاً لأنه أصبح الشيء الذى لابد من القيام به.

واليوم تتباكى إسرائيل، بل وأجهزتها الأمنية، على تفكيك الأجهزة الأمنية الفلسطينية. وقال لى اللواء موشى كابلينسكى نائب رئيس الأركان الحالى عند تركه لمنصب قائد المنطقة الوسطى إن هناك مشكلة الآن. لأنه لا يوجد طرف يمكن أن تعطيه أى مساحة من الأرض. حتى لو أردنا أن نعطى فليس هناك من يأخذ. فقد تفككت كافة الجهات المسئولة هنا. وسيتطلب إصلاح هذا الوضع شهوراً وربما سنوات. ولكنه نسى شيئاً واحداً أننا نحن الذين قمنا بتفكيك الأجهزة الفلسطينية، بغض النظر عما إذا كان هذا فى صالحنا أم لا. لقد اتخذ رئيس الأركان هذا القرار دون التشاور مع أحد، وربما يكون القرار قد اتخذ على مستوى قائد لواء. وبهذه المناسبة فإن قادة الألوية لم يميزوا أبداً بين المنظمات المختلفة وفى هذه الفترة كان قادة الألوية يتصرفون ميدانياً كما يحلو لهم. وبذلك كانوا من الناحية العملية يحددون الاستراتيجية باستخدام الوسائل التكتيكية، بخلاف ما كان يجب أن يحدث.

لقد نشأ الجيل الحالى من قادة الجيش الميدانيين فى لبنان وتعلم فيها. وهذا الجيل مذهل فى مدى احترافه ودافعه إلى القتال وإصراره وعزيمته. فقد جاء قادته إلى المناطق بهدف تحقيق النصر فى هذه المواجهة. وكان أول ما فعلوه أنهم أعلنوا أنهم سيدخلون إلى مخيمات اللاجئين. حتى ذلك الوقت كان هناك خوف حقيقى من دخول الجيش إلى مخيمات اللاجئين. وفى مواجهة جرت بين تشيكو تامير وهو القائد السابق للواء جولانى ورئيس العمليات الحالى للمنطقة الوسطى وبين قائد المنطقة العسكرية بحضور رئيس الأركان، قال تشيكو تامير: "إننى أشعر بالخجل لأننا لا ندخل إلى مخيمات اللاجئين". ونتيجة للضغوط الميدانية الواردة من أمثال هذا القائد وحدها دخل الجيش إلى مخيمات اللاجئين. ودخل جنود جولانى إلى مخيم طولكرم ودخل المظليون إلى مخيم بلاطة، بعد ذلك تردد أن أفيف كوخافى قال: "لقد تبين أن النمر فى مخيم بلاطة لم يكن سوى قطة". وكما سبق القول فقد كان الخوف هو الذى منع جنود المظلات من دخول مخيمات اللاجئين حتى ذلك الوقت. وبعد دخول بلاطة اتصل وزير الدفاع بكوخافى وهنأه على هذا النجاح.

لقد استمدت القيادة السياسية من قادة الألوية – الذين يتصرفون فى الشئون الاستراتيجية – الشعور بأننا قادرين على القيام بما كنا نخشاه فى المراحل الأولى. كان لذلك تأثير شديد على التجاهل المطلق، والمقصود إلى حد كبير للفرصة التى لاحت فى يناير ٢٠٠٢، التى يعتبرها كثيرون أكبر فرصة أضاعتها إسرائيل لتغيير ملامح هذه المواجهة وإنهائها مبكراً بما يوفر كثيراً من القتلى، وربما كان هذا سيوفر علينا المذبحة الكبيرة التى شهدتها أشهر فبراير- مارس ٢٠٠٢ . وليس فى هذا اتهام لإسرائيل بشيء. وبالطبع فإن الفلسطينيين أيضاً مسئولين، ولكننا هنا نركز على أسلوب اتخاذ القرار فى إسرائيل.

كانت نهاية كل هذا بالطبع هو خطة فك الارتباط مع غزة. فقد قال رئيس الأركان موشى يعلون إنه سمع عن خطة فك الارتباط للمرة الأولى فى مؤتمر هرتسليا، ولكنه علم بأن النية تتجه للانسحاب من غزة فى المرة الأولى من يوئيل ماركوس فى صحيفة هاآرتس. وهذا الزعم قريب جداً من الحقيقة، ويوضح أن تنفيذ خطة فك الارتباط جرى بينما كانت هناك قطيعة تامة ومقصودة بين القيادة السياسية والقيادة العسكرية. ففى مرحلة معينة منع موشى يعلون ضباط الجيش من المشاركة فى اجتماعات لدى مستشار رئيس الوزراء فايسجلاس بمبرر رسمي، وهو أن وزير الدفاع ورئيس الوزراء والحكومة يرأسون هيئة الأركان. أما مستشار وزير الدفاع ومستشار رئيس الأركان فليسو قادة لي، ولذلك لن يشارك ضباطى فى هذه اللقاءات.

بالطبع لم تكن هذه الخطة فى البداية خاصة بالجيش وإنما بالقيادة المدنية ولكن لا توجد جهة أخرى مؤثرة سوى الجيش. وقد أجرى الجيش مشاورات قبل تنفيذ الخطة بشأن الانسحاب أو فك الارتباط وعارض الجميع هذه الفكرة. ولكنها فرضت على الجيش الذى تخاذل فى مواجهتها.

بعد أن تقرر فك الارتباط تم تعيين جيورا آيلاند مستشار الأمن القومى مسئولاً عن بلورة ملامح الخطة. ولم يكن الحديث يدور عن خطة من جانب واحد وإنما كان يدور عن تعاون مع مصر وعن تبادل أراضى إلى أن كشف رئيس الوزراء ليوئيل ماركوس فجأة أنه تعهد بالانسحاب من غزة. والحق أن رئيس الوزراء كان ينوى إبلاغ المجموعة

البرلمانية لليكود بهذا الأمر أولاً، ولكن يوئيل ماركوس التقى به فى ذلك الصباح، قبل ساعتين من اجتماع المجموعة البرلمانية. وباعتباره صحفياً مخضرماً واعياً فقد أدرك ما يحدث على الفور، وسارع إلى نشر الخبر على الموقع الإليكترونى لصحيفة هاآرتس. وهذا هو موجز العلاقات بين القيادة العسكرية والسياسية فى المواجهة الحالية.

هوامش:

(*) هذا المؤتمر عُقد فى ذكرى البروفيسور عاموس بيرلموتر (فبراير ٢٠٠٦).

١- اللواء احتياط عمرام متسناع: رئيس مجلس محلى يروحام (المعين). كان عضواً فى الكنيست السادس عشر. وكان عضواً فى عدة لجان من بينها لجنة الخارجية والأمن ولجنة شئون مراقبة الدولة. خدم فى الجيش لمدة ثلاثين عاماً انتهت عام ١٩٩٣، أمضى أغلبها فى المدرعات. خدم فى ثلاثة مناصب برتبة لواء وهي: مساعد رئيس شعبة العمليات وقائد المنطقة الوسطى ورئيس فرع التخطيط. حاصل على وسام الجندى النموذجى (فى حرب يونيو١٩٦٧) وعلى نيشان رئيس الأركان (فى حرب أكتوبر١٩٧٣). تولى رئاسة بلدية حيفا فى الفترة من ١٩٩٣ إلى٢٠٠٢ . فى نوفمبر ٢٠٠٢ انتخب رئيساً لحزب العمل فى الانتخابات التمهيدية. وفى يناير ٢٠٠٣ كان مرشح الحزب لرئاسة الحكومة. وكان من مهندسى مبادرة جنيف. وهو حاصل على ليسانس فى الجغرافيا وعلى ماجستير فى العلوم السياسية من جامعة حيفا. كما درس فى مدرسة الحرب العليا فى بن سيلفانيا بالولايات المتحدة، واجتاز دورة للشخصيات العامة القيادية (CFIA) فى جامعة هارفارد.

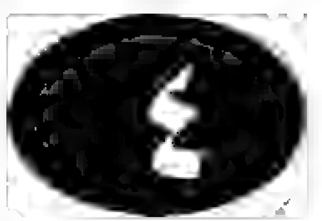
٢- اللواء احتياط عامى أيالون: الرئيس الأسبق لجهاز الأمن العام (الشاباك). أمضى خدمته العسكرية فى سلاح البحرية، وخدم فيه فى عدة مناصب. بدأ الخدمة مقاتلاً فى المجموعة ١٣ قوات خاصة بحرية، إلى أن أصبح قائداً للمجموعة، ثم قائداً للبحرية. حصل أثناء خدمته العسكرية على أعلى وسام فى الجيش الإسرائيلي، وهو وسام البطولة. حاصل على بكالوريوس الاقتصاد والعلوم السياسية من جامعة بار إيلان، وعلى درجة الماجستير فى الإدارة العامة من جامعة هارفارد. بعد أن أنهى خدمته فى الجيش عين رئيساً لجهاز الأمن العام (الشاباك) الذى كان يمر بأزمة شديدة فى أعقاب اغتيال رئيس الوزراء يتسحاق رابين. بعد أن أنهى عمله فى رئاسة الجهاز تولى رئاسة مجلس إدارة إحدى الشركات. وبما يتوازى مع ذلك إشترك مع البروفيسور سيرى نسيبة فى مبادرة الإحصاء القومي، وهى مبادرة إسرائيلية فلسطينية مشتركة. وفى أواخر عام ٢٠٠٠ انضم إلى حزب العمل. حصل على لقب رائد نزاهة الحكم عن عمله فى منصب رئيس الشاباك، ولاسيما بفضل ميثاق الشرف المهنى الذى أدخله للجهاز واعتماد قانون عمل جهاز الشاباك.

٣- عوفر شيلح: صحفى بصحيفة يديعوت أحرونوت المطبوعة وبموقعها الالكترونى ynet. صدر كتابه الأخير الذى ألفه بالاشتراك مع رافيف دروكر تحت عنوان "أداة مرتدة" فى عام ٢٠٠٥ . ويتناول الكتاب العلاقة بين القيادتين السياسية والعسكرية فى إسرائيل أثناء الانتفاضة الثانية. أما كتابه السابق الذى صدر تحت عنوان "صينية الفضة" فكان يتناول مفهوم جيش الشعب فى إسرائيل، بما فى ذلك العلاقات بين القيادتين العسكرية والسياسية.

٤- يستخدم الكاتب تعبير حرب تجرى بقوة محدودة تحاشياً لاستخدام تعبير قمع الانتفاضة. غير أن الحقيقة هى أنه لا توجد حرب فى المناطق، وإنما هناك احتلال إسرائيلى لها. وهناك مقاومة فلسطينية لهذا الاحتلال، وهى مقاومة سواء اتفقنا على الأساليب التى تستخدمها أم اختلفنا. وهناك محاولة إسرائيلية لقمع هذه المقاومة سواء عن طريق اغتيال القيادات العسكرية والسياسية أو عن طريق قتل المدنيين بالجملة أثناء هذه الاغتيالات، أو عن طريق هدم منازل الفلسطينيين الذين يخرج من بينهم مقاومون، أو عن طريق إعدام المقاومين بدون محاكمة من خلال عمليات الاغتيال، التى قد تجرى أحياناً باستخدام قنبلة تزن طناً، وتتسبب فى مقتل وإصابة عشرات المدنيين، وكل هذه الممارسات توصف فى القانون الدولى بأنها جرائم حرب.

٥- تبلورت هذه الآراء بناء على ما قام إيهود باراك بتسريبه عن المفاوضات، وقد رددت الدعاية الإسرائيلية ذلك كثيراً، بينما من الناحية العملية لم يعرض باراك على الفلسطينيين أى شيء. فلم يعرض انسحاباً من الأراضى المحتلة، ولم يعرض سيادة فلسطينية، ولم يعرض إقامة دولة فلسطينية ولو ذات حدود مؤقتة، وبعد كل ذلك طلب من عرفات إبلاغ مجلس الأمن بانتهاء النزاع الفلسطينى الإسرائيلى وبأنه لا يحق للفلسطينيين المطالبة بتنفيذ قرارات مجلس الأمن بعد ذلك. وكان هذا شرطه لاستئناف المفاوضات. لذلك كان من الطبيعى أن يرفض عرفات ذلك.

◆ دراسات ◆



الجامعة العبرية بالقدس
نظرة جديدة لحرب عيد الغفران
ندوة بمناسبة مرور يوبيل على حرب أكتوبر ١٩٧٣
الجلسة الثانية: النظرية والمفاجأة

بقلم: اللواء احتياط تسفى زامير (١)

فى الفترة القصيرة المخصصة لى لن أتمكن من الرد بالتفصيل على السؤال الموجه لى من مقرر الجلسة، وهو: هل كان من الممكن منع حدوث مفاجأة فى حرب أكتوبر..؟ ورغم هذا فسيظهر ردى على ذلك من خلال حديثى المختصر. من الناحية العملية، ردت لجنة أجرانات (٢) على هذا السؤال من خلال المادة التى نشرتها على الجمهور، وسوف استعرض ما قالته فى هذا الشأن خلال حديثي.

تتكون المخابرات بشكل مبدئى من جهازين. جهاز يتولى جمع المعلومات، وتقتصر مهمته على جمع المعلومات عن المجالات التى يطلب منه جمع معلومات المتعلقة بها، وإرسالها إلى الجهة المسئولة عن تقييم المعلومات وفحصها واستخلاص النتائج منها، وهى الجهة المسئولة عن تقدير الموقف (ولم تكن هناك سوى جهة واحدة مسئولة عن تقدير الموقف عشية حرب أكتوبر). وأنا أمثل الجهاز المسئول عن جمع المعلومات، وهو الموساد الذى كان مسئولاً عن هذا الجانب بالكامل.

وسيكون كل ما سأعرضه عليكم هنا مأخوذاً بالكامل من مادة نشرتها لجنة أجرانات. وليس لدى أى مادة أخرى يمكن أن أقول إننى أخذتها معى عندما تركت العمل فى الموساد. ولن أسقط فى مصيدة الكشف عن أشياء من الأفضل لها أن تظل سراً.

سوف أبدأ حديثى بالحديث عن ثلاثة تصريحات. فى جلسة هيئة الأركان العامة التى انعقدت فى أول أكتوبر ١٩٧٣ (وهذا الكلام مرة أخرى مأخوذ مما نشرته لجنة أجرانات) قال رئيس المخابرات العسكرية: "أبلغتنا عدة مصادر أن هذه المناورة ليست مناورة، وأن الحرب وشيكة. غير أننا لا نعتقد أن هذا صحيح على الإطلاق رغم أن المصادر موثوق بها".

وفى الخامس من أكتوبر، قبل الحرب بيوم، اجتمع بعض وزراء الحكومة للتشاور. ونقلت لجنة أجرانات مما دار فى الاجتماع ما يلي: "يقول وزير الدفاع إن الفترة الماضية شهدت ورود أنباء عديدة ووجود أدلة ميدانية تفيد بدفع تعزيزات للجبهتين المصرية والسورية. وخلال الليلة الماضية، أو خلال الأربعة وعشرين ساعة الماضية، وردت معلومات أخرى أدت إلى حد معين إلى تغيير التقييم السلبى لهذه المعلومات، ولا أقول إنها أصبحت إيجابية، ولكنها أصبحت إيجابية بالقدر الكافى لاستدعائكم هنا" (والخطاب موجه للوزراء المشاركين فى الجلسة).

فى تلك الجلسة قال رئيس المخابرات العسكرية: "لا زلنا نعتقد أن هناك احتمال كبير لأن يكون تحرك المصريين والسوريين ناتجاً عن خوفهم منا، وهناك احتمال أقل لأن تكون نيتهم الحقيقية تتجه إلى القيام بهجوم محدود".

يظهر من هذا الكلام أن الأمر لم يعد مجرد مناورة، وإنما هجوم مصرى سورى (مع العلم بأنى لم أشارك فى هذه الجلسة).

أعتقد أن لجنة أجرانات قامت بالتحقيق الجذرى فيما يتعلق بدور أجهزة المخابرات، ولا توجد أى مادة تتعلق بهذا الدور

لم تعرض على اللجنة. وقد شهد آخرون غيرى من رجال الموساد أمام اللجنة، وأعتقد أنها قد اطلعت على كافة الحقائق.

وسأنقل لكم هنا جزءاً مما ورد فى تقرير اللجنة ، فى المجلد الأول ص-١٤٠: "فى الأيام التى سبقت اندلاع الحرب فى أكتوبر ١٩٧٣ كان لدى المخابرات العسكرية معلومات غزيرة تحذر من ذلك. ونعتقد أن هذه المعلومات كان لابد أن تؤدى إلى تقدير موقف حذر، يحذر من أن احتمالات اندلاع الحرب قد زادت بشدة".

وورد فى التقرير فى موضع لاحق ما يلي: "تود أن نؤكد فى هذا الموضع أن وحدة جمع المعلومات فى المخابرات العسكرية والجهات الأخرى التى سبق أن أشرنا إليها والمسئولة عن جمع المعلومات فى الدولة، قد قامت بعملها فى جمع المعلومات على الوجه الأكمل، بما يبرر السمعة الطيبة التى تتمتع بها أجهزة المخابرات لدينا".

وقد أضاف موردخاى جازيت فى كلمته تحليلاً جديداً لنظرية عمل المخابرات - ولابد أن أقول إننى أسمع هذا التحليل اليوم لأول مرة - فقد قال جازيت إن النظرية لم تكن نظريتنا نحن، وإنما كانت نظرية مصرية، أو لنقل نظرية تضليل مصرية.

ذكر موردخاى جازيت مصدراً واحداً محدداً. ومن الصعوبة بمكان بالنسبة لى أن أتحدث عن المصادر. ولكننى أود أن أقول فقط إن المعلومات التى كانت لدينا بشأن الشروط المصرية لشن الحرب تبين صحتها من الناحية الفعلية. فلم يكن الجنرالات المصريين على استعداد للحرب دون الوفاء بعدة شروط عرضوها على الرئيس السادات. وكانت الشروط الأساسية فيها هي: أولاً: وجود صواريخ أرض- جو لاستخدامها فى الدفاع الفعال ضد القوات الجوية الإسرائيلية. وثانياً: وجود جسور تسمح بنقل القوات المطلوبة إلى الضفة الشرقية للقناة خلال الوقت الذى يحددوه. ويمكن التحقق من صحة هذا من خلال ما ينشروه اليوم، ومن خلال ما يكتبه الجنرالات المصريين الذين كانوا يخدمون فى الجيش فى ذلك الوقت. فقد كانوا يخافون بشدة من رد سلاح الطيران الإسرائيلي. وكانوا يتذكرون جيداً الصدمة التى تركتها لديهم هجمات سلاح الطيران الإسرائيلى على مصر، وكان شرط السادات وجنرالاته لبدء الحرب هو وجود وسيلة للدفاع ضد الطيران عند شاطئ القناة. وقد تم تدبير الوسيلة الدفاعية المطلوبة التى حصدت الكثير من دمائنا. غير أننا كنا نعلم قبل ذلك أن توفرها شرط لبدء الهجوم المصري. وكنا نعلم أيضاً متى وصلت الصواريخ إلى مصر بكميات مرضية بالنسبة لهم. كان لدى المصريين نظرية تقول: سنهاجم بجيشين فى منطقة القناة. وكان الشرط المطلوب للقيام بذلك هو توفير دفاع جوى ضد الطيران وجسور لعبور القناة. وكانوا يقولون إنه عندما تصبح هذه الأشياء لديهم، سيقوم جيشان من المشاة بعبور القناة. كنا نعلم أن الهدف من جيوش المشاة - وفقاً للنظرية السوفيتية - هو عبور القناة واحتلال مواقع دفاعية. وكنا نعلم أن كل جيش من الجيشين لديه لواء دبابات، وأن لديهم صواريخ الهدف منها هو احتواء الهجوم المضاد. وكنا نعلم أنه بعد استكمال هذه الجيوش لمهمتها، سيتم اتخاذ القرار بشأن إمكانية عبور ألوية المدرعات من غرب القناة إلى شرقها. كنا نعلم كل هذا من مصادر مختلفة تابعة للموساد. ويبدو أننا كنا نعرف ذلك من عناصر أخرى تقوم بجمع المعلومات.

وردت هذه المعلومات إلينا فى وقت مناسب. وأنا مضطر لإبلاغكم بغضبى الشديد مما أقرؤه ومما أسمعه، حيث تعرض الجهاز الذى كنت أترأسه لافتراءات غير مسئولة وللعديد من القصص المختلقة. وأقر وأعترف لكم بأننى غير قادر على الدفاع عن هذا الجهاز، لأننى حتى لو كانت لدى مادة تفيد فى ذلك ما كنت لأنشرها.

للأسف الشديد فإن التعامل مع معلوماتنا بكافة تفاصيلها كان غير مرض. ويرجع السبب فى ذلك إلى تقديرات المخابرات العسكرية.

قبل أن أقرأ لكم فقرة أخرى مقتبسة أود أن أؤكد أننى عندما أتحدث عن أعمال المخابرات أقصد ما يتعلق منها بجمع المعلومات فقط، وهو القطاع الذى أمثله. ولابد لنا من التمييز بين جمع المعلومات وتقدير الموقف، فهذان شيئان مختلفان تماماً.

بعد حرب أكتوبر قال يسرائيل طل - نائب رئيس الأركان فى حينه - ما يلى (نقلاً عن كتاب "الأسطورة فى مواجهة الواقع" الذى نشره إيلى زعيرا): "لقد تلقينا قبل حرب عيد الغفران إنذاراً كاملاً سواء فيما يتعلق بنوايا الطرف الآخر أو فيما يتعلق بالتهديدات المحتملة، للمرة الأولى فى تاريخنا. وكنا نعرف نوايا الطرف الآخر قبل وقت كاف من وقوع الحرب، وكانت معلوماتنا عن هذه النوايا متواصلة، وليست قاصرة على تحذير أو اثنين. كانت التحذيرات متواصلة بدأت فى بداية الربيع، فى شهر مارس تقريباً، واستمرت حتى الصباح الذى بدأ فيه الهجوم. كنا نتلقى طوال الوقت معلومات عن النوايا وعن خطط الهجوم. وبالتالى فلم يكن الإخفاق الذى تعرضنا له فى الحرب إخفاق مخابرات. لقد أخبرتنا المخابرات بكل شيء. وأفترض أن نائب رئيس الأركان كان يقصد بحديثه الأخبار وليس المعلومات، وإلا فإن هذا الأمر يثير أسئلة أخرى ليس هذا محلها.

لقد كان ما حدث لدينا هو تزايد نفوذ الجيش ومكانته بصفة عامة، وتزايد نفوذ ومكانة وزير الدفاع بصفة خاصة بين الجمهور وداخل الحكومة بعد حرب ١٩٦٧، وسوف أتناول هذا الأمر من خلال التحليل وليس نقلاً عن أحد. ويمكننى أن أقول عن يقين إنى لا أعرف أى قرار سواء فى المجال العسكرى والأمنى أو فى المجال السياسى تم اتخاذه بدون موافقة

موشى ديان عليه.

كانت نتيجة ذلك إذن أن تقدير المخابرات للموقف لم يعد قاصراً على رأى المخابرات العسكرية. فقد اعتادت الحكومة أن تبدأ جلساتها بالاستماع إلى آراء أجهزة المخابرات، التى أعترف أنها كانت تضم بعض أفضل الشخصيات. وبالطبع فإن القضايا المطروحة على الحكومة كانت تدفع المخابرات العسكرية إلى مزيد من الاندفاع نحو التقديرات السياسية، التى من المفترض فى الدول الطبيعية أن تكون من اختصاص وزارة الخارجية. وبالتالى فقد نشأ وضع كانت السيطرة الظاهرية فى المجال السياسى والعسكرى فيه لوزير الدفاع ووزارته ولتقديرات أجهزة المخابرات. وأعتقد أن هذا الأمر جاء على حساب جهود المخابرات فى المجال العسكري، التى تتمثل فى توفير المعلومات للقوات المقاتلة. ولم يبدأ هذا الأمر فى فترة رئاسة إيلى زعيرا للمخابرات العسكرية، وإنما فى وقت سابق.

بالنسبة لأغلب وزراء الحكومة، فإنهم لم يجادلوا على الإطلاق عند عرض تقديرات المخابرات عليهم، وفضلاً عن هذا فلم يكن لدى أى منهم الأدوات المناسبة التى تعينه على التحقق من صحة هذه التقديرات.

شارك الراحل حاييم برليف فى جلسة للحكومة تحدثت عنها لجنة أجرانات، وطرح فى هذه الجلسة السؤال التالي: "أخبرونى منذ متى تعرفون هذا..؟" وكان السبب أن برليف لم يكن فى الصورة ولم يكن يعرف من أين أتت هذه المعلومات.

حدثت مباحثات عديدة بينى وبين رئيسة الوزراء جولدا ميئير فيما يتعلق بالجلسات التى كانت تعقدها مع قيادات الجيش. فقد كنت أرى أن من الخطأ ألا يشارك الموساد فى هذه الجلسات، نظراً لأن الموساد كان عنصر جمع المعلومات الوحيد الذى لا يخضع فى التسلسل القيادى للجيش ولوزير الدفاع. ولم أقصد أن أكون مشاركاً بشكل شخصي، لأنى كنت أبقى خارج إسرائيل لفترات طويلة. وصدقونى إذا قلت لكم إن جولدا قالت لى بالنص ما يلي: "اسمع يا تسفيكا. أنا لا أعرف أساساً عن أى شيء يتحدثون. وما يحدث هو أن موشى يتصل بى تليفونياً ويقول "جولدا أريد الحضور للحديث معك". فماذا تريدنى أن أقول له..؟"

لقد كان وزير الدفاع بنفسه يقوم بعرض تقدير المخابرات للموقف، وفى حضور رئيس الأركان ورئيس المخابرات العسكرية، وكان ذلك يمثل أساساً للتوصيات السياسية أو العسكرية. وقد رفض أى محاولة من الموساد للمشاركة فى هذه الجلسات.

عندما كنت رئيساً للموساد اعتدت أن يوزع مكتبى مادة كانت تذهب لأربعة. هؤلاء الأربعة هم رئيس المخابرات العسكرية ورئيس الأركان ووزير الدفاع ورئيس الوزراء. وقد كان هذا بالطبع بالإضافة إلى التوزيع المعتاد لهذه المادة حيث أن النظام قائم على أن أى معلومات ترد إلينا يتم إرسالها لقطاع البحوث. ولكن بعد حديث مع رئيس المخابرات العسكرية الأسبق أهارون ياريف توقفت عن إرسال هذه المادة إلى وزير الدفاع وإلى رئيس الأركان بناءً على طلبه. كان ياريف يعتقد أن المادة المعلوماتية تتخذ لدى من يطالعها قيمة أكبر من قيمتها الحقيقية، وقد كنت متفقاً معه فى هذا. وبناءً على ذلك فقد كان من المحبذ أن يقوم المسئولون عن البحوث بتقييم هذه المعلومات أولاً من خلال مقارنتها بمصادر أخرى.

اتفقنا إذن على أن أكتفى بإرسال هذه المادة المعلوماتية إليه كرئيس للمخابرات العسكرية وإلى رئيسة الوزراء. ولكن بعد يوم واحد من هذا حدثنى وزير الدفاع موشى ديان وقال لي: " قل لي. لقد علمت من جولدا أنها تلقت مادة معينة، فلماذا لم ترسلها لى أنا أيضاً..؟" فأخبرته بما طلبه منى رئيس المخابرات العسكرية. فقال لى ديان بأسلوبه المعروف ما يعنى أن المخابرات أصابته بالملل وما إلى ذلك، وطلب منى إرسال المادة فأرسلتها إليه. وقد التقيت بديان بعد ذلك عدة مرات. وفى أغلب المرات التى انتقدت فيها استهانة قطاع البحوث فى المخابرات العسكرية بالمادة كان وزير الدفاع لا يتفق معي، وكان يقول إنه موافق على تقديرات المخابرات العسكرية. وخلاصة القول أن جولدا كانت تخبر وزير الدفاع بكل ما يرد إليها من معلومات أياً كان مصدرها، حتى التى تتلقاها مني. وبالمناسبة، أود أن أوضح شيئاً بالنسبة لحكاية الملك حسين. قد يعتقد البعض نتيجة لما يقرأ فى الصحف أن الملك حسين كان عميلاً للمخابرات الإسرائيلية. وهذا مخالف للحقيقة. لقد أكد الملك حسين فى لقاءاته مع رئيسة الوزراء ووزير الدفاع فى اللقاءات التى سبقت أعوام ١٩٦٨-١٩٦٩، أن عدم حدوث تحرك سياسى سوف يؤدى فى النهاية إلى مواجهة عسكرية. وكان الدافع لخوفه من الحرب هو الحرص على المصالح الأردنية. ولكنه لم يكن يعرف متى ستقع الحرب. وإنما كان يعرف ما نعرفه جميعاً، ولم يكشف لنا عن أى معلومات جديدة. ولكن جولدا أخبرت موشى ديان حتى بهذه الحكاية.

كان من يتلقى المادة المعلوماتية التى نرسلها يطالعها وينبهر بما فيها، وكان يعطيها أحياناً أهمية تفوق أهميتها الحقيقية. ولكن المادة القادمة من البحوث كانت دائماً تأتى بعدها لتضع الأمور فى نصابها.

وأخيراً يبدو لى أن الوضع اليوم قد اختلف وان أسلوب عمل المخابرات قد اختلف. صحيح أنه لم يتم بعد تعيين مستشار لرئيس الوزراء لشئون المخابرات، ولم يتم بعد تنفيذ كافة توصيات لجنة أجرانات. ولكن آلية العمل فى الجهاز تضمن اتخاذ القرارات المتعلقة بالحرب والسلام وكذلك القرارات الهامة الأخرى على النحو السليم. ولم يعد فى استطاعة مجلس الوزراء

المصغر للشئون الأمنية أن يلقى باللائمة على أجهزة المخابرات لأن المادة المعلوماتية أصبحت ترد إليه من عدة عناصر، منها وحدة البحوث الصغيرة الموجودة فى الموساد ومنها وزارة الخارجية. وأعتقد أن هناك تغييراً قد حدث، وأتمنى أن يكون كل شيء أصبح منظماً ومنسقاً وسليماً.

النظرية والمفاجأة
بقلم: اللواء إيلى زعيرا (٢)

نظراً لأنى سمعت من كثيرين أنى أنا الذى اخترعت نظرية العمل، فأود أن أخبركم كيف عرفت أن هناك نظرية.

تسلمت العمل فى المخابرات العسكرية فى أكتوبر عام ١٩٧٢ بعد عامين قضيتهما فى الولايات المتحدة. فى ذلك الوقت جاءنى كثيرون من المطلعين على الأسرار الدفينة وقالوا لي: "اسمع، إن لدينا سر دفين. لدينا مصدر يعمل معنا منذ نحو ثلاث أو أربع سنوات ويأتينا بمعلومات شديدة الأهمية. ورغم أنها معلومات سياسية فى الأساس عما يحدث فى القيادة المصرية، إلا أن أهم ما أتانا به هذا المصدر هو ما نطلق عليه (نظرية السادات)". وأريد أن أؤكد على قولهم إن هذه نظرية السادات. وسألتهم: "وما هى هذه النظرية..؟" وكان ردهم أن هذه النظرية تشتمل على بندين فحسب.

يقول البند الأول من النظرية: إذا لم تنسحب إسرائيل من سيناء فإننا سوف نحاربها ونستعيد سيناء.

ويقول البند الثاني: لدينا شرطان مسبقان حتى نحارب. الشرط الأول، لابد أن نحصل من الاتحاد السوفيتى على طائرات مقاتلة تكون قادرة على الطيران على ارتفاع منخفض والوصول إلى مطارات إسرائيل وقصفها حتى يمكن تحييد القوات الجوية الإسرائيلية. والشرط الثاني، لابد أن نحصل من الاتحاد السوفيتى على صواريخ سكاد حتى نتمكن من ردع إسرائيل عن قصف العمق المصري.

أضاف رؤساء قطاع البحوث فى المخابرات العسكرية أن لدينا تأكيدات من مصادر متعددة شديدة السرية بشأن الاتصالات بين المصريين والروس. وعرضوا على مثالين. الأول جرى فى عام ١٩٧٠ . وسوف أقرأ لكم من المصدر: "أكد الرئيس السادات مرة أخرى أنه يريد من الاتحاد السوفيتى مقاتلات قاذفة، حيث لا يسمح مدى مقاتلاتنا بالوصول إلى عمق إسرائيل، التى تقصف عمق مصر بطائرات الفانتوم". أما المثال الثاني، فكان قبل الحرب بنحو سنة وشهر، حيث سافر أنور السادات إلى الاتحاد السوفيتى للقاء بريجنيف. وقال بعدها: "فى محادثاتنا المتتالية مع بريجنيف أكدت له أننا نريد أن يكون لدينا سلاح ردع يجعل العدو يتردد فى مهاجمة العمق المصري. وقد كان ولا زال من الواضح أننا بدون سلاح رادع لن نتمكن مطلقاً من القيام بعمل عسكري".

عندما أخبرنى رجال المخابرات بهذه المعلومة المثيرة للاهتمام سألتهم: كيف يتم توزيع هذه المعلومات..؟ فقالوا إنها ترسل إلى جولدا ميئير أولاً ونحن نعلم أنها تعطيها بعد ذلك لمستشارها يسرائيل جاليلي، وأنها ترسل إلى موشيه ديان ومنه إلى المخابرات العسكرية. سألت: وماذا عن رئيس الأركان..؟ قالوا لي: نحن لا نرسلها إليه. فقلت لهم: أرسلوا له نسخة اعتباراً من الغد. وبالفعل بدأ رئيس الأركان يتلقى نسخة هو الآخر. والحق أن ديان على الأقل كان يقرأ هذه المعلومات باهتمام شديد، إلى حد أنه كان يتصل بى فى الصباح قبل أن أراه ويسألني: ما رأيك فى هذا البند..؟ وما رأيك فى هذه المعلومة..؟ وكنت أقول له إننى لم أتلق هذه المعلومات بعد. وهناك أهمية شديدة لمعرفة رأى ديان فى هذه المعلومات. وأود هنا أن أؤكد اتفاقى مع تسفيكا ومع غيره ممن تحدثوا هنا فى أن ديان كان شخصية رئيسية، وربما كان أهم شخصية فى مجال الأمن الإسرائيلي. وبالطبع فإنكم تعرفون أن الساسة لا يقولون الحقيقة دائماً. ولكن فى بعض الأحيان نسمعها منهم من خلال اعترافاتهم. وقد أدلى موشى ديان فى ٢٢ نوفمبر ١٩٧٦ باعتراف بشرط ألا يتم نشره، وبالفعل لم يتم نشره إلى أن وافته المنية. وبعد أن مات توجه البعض إلى ابنته ياعيل وسألوها: "هل توافقين على نشر هذا الاعتراف..؟" فقالت: "نظراً لأهميته الشديدة فإننى أوافق". وكما هو الحال مع أشياء أخرى كثيرة يتم نشرها، فإن الناس لا تلتفت حتى لمضامين الكتب. ورغم ذلك أود أن أقرأ عليكم اعتراف موشى ديان بشأن النظرية. وهل هناك شيء أفضل من الاعتراف عندما يأتى من شخص يعرف أنه لن ينشر..؟ سوف أقرأ عليكم بعض فقرات الاعتراف فحسب، لأن الاعتراف طويل جداً.

يقول ديان للشخص الذى كان يسجل حديثه: "اسمع، فى حرب عيد الغفران ارتكبت أنا ورئيس الحكومة ووزير الدفاع والحكومة كلها وهيئة الأركان ورئيس الأركان والمخابرات العسكرية عدة أخطاء. وبشكل إجمالى يمكن أن أقول إننا تقبلنا ما جرى العرف على وصفه بأنه نظرية العمل".

كانت النظرية ترى أن مصر وسوريا لن تبدءا الحرب – وأنا أؤكد على هذا الكلام إلى أقصى الحدود– إذا لم يتم

الوفاء بشروط معينة يمكن أن تحدث توازناً مع تفوقنا العسكري. حتى أكتوبر ١٩٧٣ لم يكن تم الوفاء بهذه الشروط. ولذلك كان تقديرنا أن احتمال اندلاع الحرب فى هذا الموعد محدود". وعندما يقول ديان تقديرنا فإنه يقصد الحكومة والجيش. ويواصل قائلاً: "أود أن أؤكد لك أن هذه النظرية لم تكن اختراعاً اخترعه عبقري مجنون فى المخابرات العسكرية أو حتى رئيس المخابرات العسكرية أو وزير الدفاع. لقد تبلورت هذه النظرية بناءً على مادة معلوماتية مؤكدة للغاية، كنا نعتقد أنها أفضل ما يمكن الحصول عليه من معلومات".

ويقول ديان فى موضع لاحق: "ما أريد أن أقوله إذن هو إننا طالما كنا نقبل هذه النظرية فلم يكن هناك بد من أن نقول إن احتمال اندلاع الحرب فى أكتوبر ١٩٧٣ أو فى أى موعد آخر هو احتمال محدود طالما لم يتم الوفاء بالشروط التى تحدثت عنها".

وأضاف ديان قائلاً: "لقد كان فى استطاعتي أن أثبت أننى كثيراً ما حذرت رئيس الأركان قبل الحرب وطالبته بالاستعداد للحرب، ولكن لن يكون هذا الأمر منصفاً". وهنا أود أن أذكركم بأن موشى ديان قد دافع عن نفسه أمام لجنة أجرانات بالدفاع الذى قال فى اعترافه إنه لن يكون منصفاً. لماذا..؟ لأنه قال: "لأننى من الناحية المبدئية قبلت افتراض المخابرات العسكرية بأن احتمال اندلاع الحرب محدود طالما لم يتم الوفاء بالشروط".

سأواصل تلاوة الاعتراف لكم وسيكون مسلياً فى الفقرة التالية: "هنا أقول إننى أخطأت ولكننى قمت بواجبي. فقد تلقيت المادة التى كانت لدى المخابرات العسكرية وقرأتها، ووافقت على تقديرهم. ورغم أنهم هم المسئولون عن الخطأ، إلا أننى كنت أتفق معهم فى الرأي، لذلك يمكن أن تصفنى بأننى غبي، ولكننى قمت بواجبي".

ثم يقول: "إلى جانب هذا أود أن أقول شيئاً عن الحرب. فى أى شيء أخطأ الجيش..؟ لقد أخطأ فى التخطيط للعمليات فى حالة اندلاع الحرب، وذلك لأن التخطيط لابد أن يكون موجوداً بغض النظر عن احتمالات الحرب".

يقول ديان فى موضع لاحق من اعترافه: "إن الشيء الذى قد لا تفهمه، والذى لم يفهمه الجمهور ولم تفهمه لجنة أجرانات أيضاً هو أن ما وصفوه بأنه تقصير مخابراتى وركزوا عليه لم يكن له وجود على الإطلاق، فقد كان هناك خطأ ولم يكن هناك تقصير. لقد راجعت اللجنة العمليات العسكرية التى جرت فى الأيام الأولى للحرب، ولكنها لم تلتفت إلى السؤال الأكثر أهمية وهو: هل كان التخطيط للعمليات من الجودة بحيث يلبى احتياجاتنا..؟" انتهت الفقرة هنا.

لمن قال ديان هذا الكلام..؟

سأقول لكم لمن قال ديان هذا. فى عام ١٩٧٦ حاول ديان إصدار صحيفة ظلت تصدر لمدة ثلاثة شهور. وكان من بين العاملين بالصحيفة شاب فى نحو العشرين، كان يساعده فى إصدار الصحيفة. وقد أصبح هذا الشاب صحفياً الآن، غير أنه لم يكن كذلك فى ذلك الوقت. وقد جلس الاثنان وتحدثا، ويبدو أن الشاب نجح فى كسب ثقة ديان، الذى تحدث معه، وسجل هو حديثه كلمة بكلمة. وقد قرأت لكم نحو الربع من مساحة أسئلة تحتل صفحتين، بينما يمتد الاعتراف على أكثر من عشرين صفحة. ومن اللافت للنظر أن كثيراً مما قلته لكم قد نشر فى الصحف، ولكن دون أن يلتفت إليه أحد.

ما الذى يحدث هنا..؟ إن ديان يشهد على نفسه وعلى شركائه فى السر الدفين داخل الحكومة، الذين تلقوا ما وصفه تسفيكا بأنه مادة معلوماتية. فلم يقم المقدم يونا بندمان رئيس فرع مصر فى المخابرات العسكرية أو أى شخص آخر بتفسير هذه المادة بأى طريقة. فقد تلقوا المادة المعلوماتية الخام، وقرأوا الوثائق التى كانت أساساً عبارة عن مادة سياسية وليس عسكرية، وكانت لديهم كافة الأدوات المطلوبة والخبرة والتأهيل الكافى لتقييم هذه المادة السياسية باعتبارهم من الساسة المخضرمين. وكانوا أكثر تأهيلاً من العسكريين فيما يتعلق بتحليل الموضوعات السياسية.

وبذلك فإن هذه النظرية كانت موجودة فى دولة إسرائيل قبل أن أتولى منصب رئيس المخابرات العسكرية بثلاث سنوات. ولكنى قبلتها وآمنت بها وأتحمل كافة المسئولية عن ذلك. وكما صدقها ديان وجولدا فقد صدقتها أنا الآخر. فقد كنت أعتقد أن هذا المصدر موثوق به، وأن ما ورد فى الوثائق التى قدمها لنا حقيقي.

ولكن لا يمكن للمرء أن يتجادل مع الحقائق. لقد صدقت النظرية وآمنت بها، وارتكبت خطأ فادحاً بأن أعطيت لها وزناً أكثر مما تستحق، وأكثر من المعلومات التى وردت إلينا عن الوضع الميداني. وسوف أتوسع فى الحديث عن ذلك فى موضع لاحق.

لقد أزعجنى هذا الأمر بشدة بعد الحرب. فكيف كانت هناك هذه النظرية وكيف آمنا بها من ناحية، بينما من ناحية أخرى عندما اندلعت الحرب لم تكن لدى مصر الطائرات ولا الصواريخ التى كانت تريدها كشرط للحرب. صحيح أنهم كانوا قد حصلوا على هذه المعدات ولكنها لم تكن قد دخلت الخدمة لأن إعداد أطقم مصرية لتشغيلها كان يتطلب أربعة أشهر أخرى من التدريب على أقل تقدير.

لقد ظللت أبحث هذا الموضوع لسنين طويلة. وفى عام ١٩٨٠ صدر حكم بالإعدام على الفريق الشاذلى الذى كان رئيساً لأركان الجيش المصرى فى حرب أكتوبر. ولماذا..؟ إن الحكم بالإعدام على رئيس أركان ليس أمراً هيناً. لقد كان السبب شديد

الوضوح. فقد نشر دون تصريح كتاباً عن الفترة التى سبقت الحرب ووصف فيه ما حدث فى تلك الفترة وما حدث فى الحرب نفسها.

لقد هرب الشاذلى إلى البرتغال أولاً، وبعدها ذهب إلى الجزائر. ويبدو أنه حصل على عفو فى النهاية. ولكن هذه ليست النقطة التى أريد الحديث عنها. عندما يتم الحكم على رئيس أركان بالإعدام لأنه ألف كتاباً، فلابد أن تكون الأمور التى وردت فى هذا الكتاب صحيحة. قرأت الكتاب باهتمام شديد. وقارنت بين المعلومات الواردة فيه وبين المعلومات التى جاءت من "المصدر" والتى صدقتها. لقد وردت من هذا المصدر الاستثنائى معلومة تفيد بأن الحرب توشك أن تندلع فى ديسمبر ١٩٧٢ . ولم تقع الحرب. ثم وردت معلومة من هذا المصدر الموثوق به، والذى صدقته تفيد بأن الحرب سوف تقع فى أبريل ١٩٧٣ . ولم تقع الحرب.

قرأت كتاب الشاذلى وكتاباً آخر نشره الفريق الجمسي، الذى كان رئيس العمليات فى فترة الحرب. وأدركت من الكتابين شيئين، الأول أنه حتى أبريل ١٩٧٣ لم يتحدث أحد عن الحرب. وأقصد لم يتحدث أحد بجدية، فقد كانت هناك أحاديث، ولكن لم يكن هناك تاريخ محدد، وكانت هذه الأحاديث مجرد طموح.

كانت أول مرة تتلقى هيئة الأركان العامة المصرية أمراً ببحث إمكانية الحرب فى تاريخ محدد فى أبريل ١٩٧٣ . فقد كتب الفريق الجمسى أنه لم يبدأ الاستعداد سوى فى أبريل ١٩٧٣ . فبدأ فى عرض تواريخ ممكنة للحرب. وهنا قال له السادات: "لن نبدأ الحرب دون تنسيق مع السوريين. شكلوا لجنة للتنسيق". تم تشكيل اللجنة واجتمعت للمرة الأولى فى الإسكندرية بشكل سرى فى الفترة ٢١-٢٣ أغسطس ١٩٧٣، قبل اندلاع الحرب بشهر ونصف. وهذا يعنى أنه حتى قبل اندلاع الحرب بشهر ونصف لم يكن هناك من حدد أى تاريخ للحرب. وقد حددت اللجنة تاريخين، أحدهما فى آخر سبتمبر والثانى فى السادس من أكتوبر.

ولأسباب كثيرة لن أخوض فيها الآن اتفقت اللجنة على السادس من أكتوبر. لابد إذن أن أذكر أننا تلقينا من أفضل مصادرنا معلومة بأن الحرب توشك أن تنشب فى ديسمبر ١٩٧٢، ثم فى أبريل ١٩٧٣ . ولم تحدث أى حروب. وهذا ما جعلنا نقول لأنفسنا أن النظرية صحيحة، فمن ناحية هناك مصادر عديدة ومنها أفضل مصادرنا تحكى لنا عن تواريخ محددة للحرب، ومن ناحية أخرى يتضح لنا أمران، أولاً، أن الحرب لم تقع، وثانياً، أن الشروط التى تحدثت عنها النظرية لم تكتمل بعد. ورغم ذلك اندلعت الحرب فى أكتوبر ١٩٧٣ بعد شهر ونصف فقط من اتفاق المصريين والسوريين على تاريخ الحرب.

قبل اندلاع الحرب بعام كانت لدينا خطة الحرب المصرية بكافة تفاصيلها، ولكن بدون تاريخ. وأثناء الحرب أمسكت بيدى الكتيب الذى أعدته المخابرات العسكرية فى ٤٠ صفحة، وتبين لى أن عبور القناة تم حسب الخطة بنسبة ٩٩٪. كانت الخطة تتحدث عن مرحلتين. المرحلة الأولى مرحلة عبور القناة. والمرحلة الثانية مرحلة تطوير الهجوم إلى الممرات. وقد حكى الشاذلى فى كتابه أنهم لم يدخلوا على الخطة سوى تعديل واحد صغير، وهو إلغاء المرحلة الثانية. فقد قرروا عدم تجاوز المسافة التى تحميهم فيها مظلة الصواريخ. وكان هذا قراراً ذكياً للغاية.

هنا سأحاول المقارنة بين ما كنا نعرفه وما لم تكن نعرفه. كنا نعرف خطة الحرب المصرية منذ عام ١٩٧٢ . ووصلت الخطة إلى رئيس الأركان ووزير الدفاع وقائد المنطقة الجنوبية ورئيس عمليات الجيش. حيث أرسلناها إليهم فى كتيب غير عادى ثبت أثناء الحرب أنه كان شديد الدقة.

بفضل الصور الجوية والتصنت رصدنا مكان كل دبابة وكل مدفع تقريباً على الجبهة المصرية. وكانت معلوماتنا عن انتشار الجيش المصرى على امتداد الجبهة شديدة الدقة. وكان رجالنا يجلسون أمام الصور الجوية ويقومون برصد كل دبابة وكل مدفع يظهر فيها. وبمعنى آخر لم يكن لدينا أى نقص فى المعلومات.

فى الجبهة السورية لم تكن المعلومات بهذا القدر. ولكن فى أبريل ١٩٧٣ وردت لنا معلومات أكدت أن الجهد الأساسى الذى سيبذله الجيش السورى لاستعادة هضبة الجولان سوف يجرى فى القطاع الجنوبى من الجبهة. وبالفعل فقد تصرف الجيش السورى أثناء الحرب على النحو المذكور.

فى أبريل ١٩٧٣عقد اجتماع لدى يتسحاق حوفى قائد الجبهة الشمالية فى ذلك الحين حضره رئيس الأركان، وقال ضابط المخابرات بالمنطقة الشمالية فى هذا الاجتماع ما يلى (وسوف أقرأ من ملحق تقرير لجنة أجرانات): "حتى شهر أبريل ١٩٧٣ كنا نعتقد أن الجهد السورى الأساسى سيكون فى منطقة القنيطرة، أو أنه ستكون هناك جهود فى منطقة القنيطرة وفى منطقة رفيد على حد سواء، وذلك استناداً إلى تقديراتنا وحدها. ولكن بعد ورود معلومات محددة طرحت إمكانية أن تتركز الجهود السورية فى منطقة القطاع الجنوبى فى رفيد". ومعنى هذا أن ضابط مخابرات القيادة الشمالية قال فى أبريل ١٩٧٣ إننا كنا نعتقد كذا وكذا حسب التقديرات. أما الآن فإن لدينا معلومات تفيد بأن الجهد الأساسى سيكون فى القطاع الجنوبى من الهضبة.

فى تلك الجلسة التى انعقدت فى ٢٦أبريل ١٩٧٣ قال رئيس الأركان ما يلي: "قبل أن نقوم بتعبئة الاحتياط أو بأى خطوة

أخرى لابد أن يكون فوق الهضبة مائة دبابة. فإذا حان وقت الحرب وكانت لدينا مائة دبابة فوق الهضبة، كان الله فى عون السوريين. كان رئيس الأركان يعتقد حسبما أشار موردخاى جازيت أن القوات النظامية وحدها ستكفى لاحتواء الهجوم السورى إلى حين استدعاء قوات الاحتياط، وهناك دعم لهذا الكلام من مصادر أخرى. وأعتقد أن حوفى أيضاً كان يعتقد هذا، ولكننى هنا أنقل ما قاله رئيس الأركان.

ما الذى لم نكن نعرفه..؟ وأنا مسئول عن هذا الكلام. لم نكن نعرف أن السادات قد تخلى عن نظريته. وأعتقد أنه تخلى عنها فى أبريل ١٩٧٣ أو قبل ذلك. لم نكن نعرف أن السادات قد حدد هدف الحرب بأنه العبور فقط، ولذلك لم يتجاوز المساحة التى تكفل لقواته حماية مظلة الصواريخ. لم نكن نعلم أن المناورة المصرية كانت تهدف للتغطية على الحرب الوشيكة. ولم نكن نعرف تاريخ الحرب. ومن وجهة نظرى كان أخطر ما فى الأمور أننا لم نكن نعرف أننا لا نعرف. إذ أن أحد أسوأ الأشياء التى يمكن أن تواجه رئيس المخابرات العسكرية أن يكون لا يعرف ويظن أنه يعرف، ولا يعرف إلى أى حد ليس لديه معلومات. وبسبب هذا المصدر الذى كنا نثق به بشدة – وعندما أقول نثق أقصد جولدا وديان ورئيس الأركان وأنا – كنا نعتقد أننا سوف نعرف لو غير السادات رأيه. ويمكن أن أقول الكثير فى هذا الشأن، ولكن هناك موضوع آخر أريد أن أتحدث فيه، وهو المفاجأة، وسوف أتحدث عنه باختصار.

أعتقد أن الكلام الذى سأقوله شديد الأهمية. ورغم أن لجنة أجرانات قد أخفته عن الجمهور بشكل منهجى إلا أنه لابد من معرفة الحقيقة فى هذا الشأن. ففى الثالث من أكتوبر، قبل الحرب بثلاثة أيام، تحدث آرييه شاليف رئيس وحدة البحوث فى المخابرات العسكرية أمام مجموعة من الوزراء الذين كانوا يعرفون سر "المصدر"، والذين كانوا يتلقون المعلومات الخاصة، وقال لهم ثلاثة أشياء سأقولها لكم باختصار. كان أول شيء قاله إن الجيش المصرى والجيش السورى أصبحا جاهزين ومتأهبين للهجوم والدفاع، وبناء على النظرية العسكرية السوفيتية فإن هذا هو الوضع الذى ينطلقون منه لشن الهجوم. وكان الشيء الثانى أنه يعتقد أن مصر تقوم بمناورة، والشيء الثالث أنه يعتقد أن احتمالات اندلاع الحرب قليلة.

وفقاً لما قاله آرييه شاليف فإن المصريين والسوريين كانوا متأهبين وجاهزين على مستوى الانتشار الميدانى للقيام بالهجوم فى أى لحظة. ولكنه يعتقد أن احتمالات الهجوم قليلة. ولم يناقشه أحد فى رأيه. وقبل الجميع هذا الرأي. لماذا..؟ لأن الجميع كانوا شركاء فى معرفة سر "النظرية". وكانوا يعرفون أن الشروط لم تتحقق بعد.

لم يتوجه أحد بسؤال لآرييه عن سبب اعتقاده أن احتمال اندلاع الحرب قليل. وقد كان كل هذا صحيح حتى الخامس من أكتوبر قبل يوم من الحرب. هنا حدث التحول الكبير فى الليلة التى بين الخامس والسادس من أكتوبر. فقد تلقيت خلال الليل اتصالات هاتفية أبلغتنى باختصار شديد بوجود حركة غير عادية لدى الروس فى سوريا، حيث بدأوا فى ترحيل نسائهم وأطفالهم من هناك.

فى غضون ذلك سمعنا أن هناك طائرات قادمة من أوديسا إلى سوريا عن طريق رومانيا. كانت هذه تحركات غير عادية. وفى الصباح استدعيت قيادات وحدة البحوث فى المخابرات العسكرية وسألتهم عن تفسير ذلك، فقالوا إنهم لا يعرفون وفسروا الأمر على أوجه متعددة. ولكنهم لم يكونوا يعرفون. والنتيجة أننا لم يكن لدينا أى تفسير لهذه الظاهرة.

فى الساعة التاسعة عقدت جلسة لدى ديان. وسألنى ديان عن سبب مغادرة الروس لسوريا. فقلت له إننى ليس لدى تفسير مؤكد ولكن هناك ترجيح مقبول وهو أن الروس إذا كانوا يقومون بترحيل أسرهم فهذا يعنى أنهم يعتقدون أن هناك حرب وشيكة. وإذا كانوا يعتقدون ذلك فمعنى هذا شيء من اثنين، إما أنهم يعتقدون أننا سوف نبدأ هذه الحرب أو أنهم يعتقدون أن العرب هم الذى سيبدأونها. ولو كانوا يعتقدون أننا نحن الذين سنبدأ لهرولوا إلى الأمريكيين منذ مدة طويلة، ولهرول الأمريكيون إلينا.

فكر ديان فى هذا الكلام (وهو مسجل فى محضر الجلسة) وقال: "قد تكون المناورة التى تجرى مجرد غطاء للحرب. وبذلك تكون احتمالات الحرب مرتفعة الآن. وأعتقد أن هناك احتمال كبير لأن يكون هناك تخطيط لشن هجوم مصرى سورى مفاجئ وأن هذه المناورة قد أتت للتمويه. وسوف أبعث برسالة إلى العرب". وقال إنها رسالة تحذير. "تقول الرسالة إننا لن نهاجمكم. ونحن نعلم أنكم تخططون لهجوم مفاجئ. واعلموا أنكم لو قمتم بهجومكم المفاجئ فلن يكون مفاجئاً". وبعد أن قال لنا هذا بدأت مناقشة مثيرة للاهتمام بينه وبين رئيس الأركان حول كيفية تعبئة الاحتياط لو اندلعت حرب يوم السبت فى عيد الغفران. وقال دادو رئيس الأركان: "كيف سنقوم بتعبئة الاحتياط. الإذاعة لا تعمل". وسأله ديان: "وماذا تقترح..؟" فرد عليه بقوله: "أقترح تشغيل الإذاعة العسكرية وإذاعة تلاوة للمزامير فيها". فقال ديان: "ولكن لابد أن تطلب من الجميع الاستماع إليها. وعندها سيتساءل الجميع، ولماذا تذيعون تلاوة المزامير، وسيثير هذا الأمر الفزع".

لن أخوض هنا فى مسألة إذاعة تلاوة المزامير أو غيرها، ولكنى أؤكد أن هناك نقاش جاد حول الحرب التى ستقع يوم السبت وحول كيفية تعبئة الاحتياط قد جرى يوم الجمعة قبل الظهيرة. واللافت للنظر بشدة أن ديان طلب من دادو عدم تحريك القوات إلا إذا بدأت الحرب بالفعل. وهذا يعنى حسبما قال موردخاى جازيت أن الفكرة التى كانت سائدة هى أننا فى

يوم الجمعة لا نقوم بتعبئة الاحتياط! ولا بتحريك القوات طالما لم تبدأ الحرب. وقد كانت هذه فكرة ديان.

بعد ذلك بساعتين عقدت جلسة للحكومة. وشارك فى هذه الجلسة أربعة أو خمسة من رؤساء الأركان السابقين. كان الخامس من وجهة نظرى هو يسرائيل جاليلى الذى كان رئيس أركان منظمة الهاجاناه، وهو لا يقل فى نظرى عن أى رئيس أركان. وبدأ نقاش عرضت فيه كافة المعلومات المتاحة. وشرحت كافة المعلومات التى تعزز رأيى وأكدت أن جيوش مصر وسوريا أصبحت جاهزة ومستعدة للهجوم. ولكننى لا زلت أقول إنه حسب النظرية لا يزال احتمال الهجوم فى رأيى احتمال منخفض.

ولكن ديان الذى كان يعتقد أن هناك هجوم مفاجئ وشيك طلب تصديقاً من رئيسة الوزراء على إرسال رسالة تحذير إلى مصر عن طريق الولايات المتحدة. وفى وقت لاحق بحثت الحكومة كيفية التصرف إذا وقعت حرب فى عيد الغفران. وقال يسرائيل جاليلى إن الأمر يتطلب قراراً حكومياً. واتخذت الحكومة قراراً بأنه فى حالة اندلاع حرب فى عيد الغفران فإن هناك تفويض لجولدا وديان لبدء عمليات حربية. فتخيلوا انه فى يوم الجمعة السابق على الحرب، كان هناك خوف محدد من وقوع حرب. وقال ديان إن هناك احتمال لهجوم مفاجئ، وقلت أنا إنهم قد يهاجمون فى أى لحظة. وكان قرار الحكومة رداً على ذلك أنه فى حالة اندلاع الحرب هناك تفويض لجولدا وديان بالتصرف.

قال ديان فى تلك الجلسة التى عقدتها الحكومة (وسأقرأ لكم من محضر الجلسة) ما يلي: "بالنسبة لاستعدادات الطرف الآخر وتسليحه، فإن لديهم القدرة على بدء الهجوم خلال بضع ساعات. فهم بجوار القناة وعند هضبة الجولان ويمكن أن يصدر إنذار مبكر. ولكن إلى أن يصلنا هذا الإنذار سيكون الهجوم قد بدأ".

معنى هذا أن الحكومة قد اجتمعت بمشاركة وزير الدفاع. وأن وزير الدفاع قال إنهم من الممكن أن يشنوا هجوماً مفاجئاً، وأن احتمال الهجوم كبير، وسوف أرسل لهم تحذيراً. وأن الحرب قد تبدأ غداً. فتعالوا نقرر أنكم تعطونى أنا وجولدا تفويضاً بالحرب. ولكن أحداً من المشاركين لم يقترح تعبئة قوات الاحتياط.

أعتقد أننى عرضت صورة واضحة من عدة جوانب. فقد أوضحت أولاً مصدر النظرية، وثانياً قلت إننى كنت أصدق هذه النظرية حتى آخر لحظة. وثالثاً توقف ديان عن تصديق هذه النظرية اعتباراً من يوم الجمعة. وكان واثقاً أن هناك احتمال لحدوث هجوم مفاجئ. وقام فى نفس اليوم ببحث إمكانية استدعاء الاحتياط فى عيد الغفران. وقررت الحكومة إعطاء تفويض بالحرب فى عيد الغفران لديان وجولدا. والخلاصة، أين حدث أكبر خطأ فى رأيي. لم يكن الخطأ فى إيمانى بالنظرية، ولكن كان فى عدم الالتفات إلى ما يحدث ميدانياً بالقدر الكافي، والالتفات بدلاً من ذلك لتقدير الموقف فيما يتعلق بالنوايا حتى لو كانت المعلومات عن هذه النوايا واردة من مصدر يعتبر موثوقاً به للغاية.

ماذا يمكن أن نتعلم من حرب أكتوبر فيما يتعلق بالإنذار الاستراتيجي..؟ ما الذى نتعلمه من إستراتيجية القرن الماضى فيما يتعلق بالمفاجأة الاستراتيجية..؟

يبدو أن هناك حروب كثيرة قد بدأت فجأة خلال القرن الماضي، ولم تفشل المفاجأة فى أى مرة. وتشهد تجربة الجيش الإسرائيلى فى المرتين اللتين بدأ فيهما الحرب فجأة فى حرب سيناء ١٩٥٦ وفى حرب ١٩٦٧ على أن تحقيق عنصر المفاجأة فى الحرب ليس أمراً صعباً.

من هنا فلن يكون عملياً الاعتماد على الإنذار الإستراتيجي. أضف إلى هذا أنه لا توجد سابقة تحقق فيها النجاح نتيجة للاعتماد على الإنذار الاستراتيجي. وسيكون من الخطورة بمكان بناء نظرية الأمن على إنذار استراتيجى بشأن النية الحربية.

إن الحل العملى ليس فى البحث عن وسيلة للحيلولة دون حدوث مفاجأة عن طريق ضمان وجود إنذار مبكر قبل الحرب ببضعة أيام، يسمح باستدعاء الاحتياط ودفعه للجبهة. والحل العملى هو أن يعتمد الدفاع عن الدولة أثناء مراحل الحرب الأولى على الجيش النظامى وحده، دون تغيير فى حجمه. ولتحقيق ذلك لابد من إحداث تغيير جذرى فى تكوين وتجهيز الجيش النظامي. حيث تتيح لنا المعدات العسكرية الحديثة تجهيز جيش نظامى يكون فى استطاعته احتواء هجوم مفاجئ، ولاسيما طالما ظلت إسرائيل تواجه خطر الحرب فى الجبهة الشرقية وحدها.

الهوامش:

١- اللواء احتياط تسفى زامير: الرئيس الأسبق لجهاز المخابرات الإسرائيلى (الموساد).

٢- اللجنة التى تولت التحقيق فيما عرف فى إسرائيل باسم التقصير، وهو الاسم الذى أطلقه الإسرائيليون على الهزيمة التى لحقت بهم فى حرب أكتوبر، ويكاد يكون مماثلاً لاسم النكسة الذى أطلقه المصريون على الهزيمة فى حرب يونيو١٩٦٧ .

٣- اللواء إيلى زعيرا: رئيس المخابرات العسكرية الأسبق فى إسرائيل.

نص خطاب رئيس الحكومة الإسرائيلية "إيهود أولمرت" فى الذكرى السنوية لوفاة "دافيد بن جوريون"

المصدر: صحيفة هاآرتس ٢٠٠٦/١١/٢٧

سيادة رئيس الدولة، سيدتى رئيسة الكنيست، السيدة داليا إيتسيك، أعضاء حكومة إسرائيل، أعضاء الكنيست، مقاتلو إسرائيل على مر الأجيال، قادة دولة إسرائيل، عائلة بن جوريون... الجمهور المحترم،

قبل ثلاث سنوات ألقيت هنا كلمة بصفتى القائم بأعمال رئيس الحكومة آنذاك، آريئيل شارون، واقتبست من خطاب دافيد بن جوريون، الذى ألقاه عام ١٩٤٩ خلال نقاش بالكنيست حول اتفاقات وقف إطلاق النار، وجاء فيه: "...عندما واجهنا مسألة أرض إسرائيل الكاملة دون الدولة اليهودية، أو دولة يهودية دون الأرض الكاملة، اخترنا دولة يهودية وتخلينا عن فكرة الأرض الكاملة".

كان هذا الاختيار التاريخى لـ بن جوريون فى نهاية حرب الاستقلال (حرب ١٩٤٨) مؤلماً، لكنه شجاع.. يمزق القلب، لكنه واعي.. فقد ظلت أجزاء غالية من الوطن، مهد تاريخنا، وراء الحدود، غير أنه تم ضمان أغلبية يهودية فى دولة إسرائيل.

لقد مر الوقت، وتمخض عن العداء والإرهاب العربى حروب أخرى. وقبل أربعين عاماً واجهت إسرائيل مرة أخرى خياراً صعباً: أناس كثيرون وأخيار لوّحوا بلواء أرض إسرائيل الكاملة. وفى ذلك الوقت، قرر بن جوريون، كسياسى متقاعد، أنه ينبغى على إسرائيل التنازل عن معظم الأراضى التى احتلتها فى حرب الأيام الستة (حرب ١٩٦٧) مقابل سلام حقيقي. ومنذ ذلك الحين، تدفقت مياه كثيرة، وظهرت حقائق على أرض الواقع، وتم التوقيع على اتفاقيات، وتغيرت الساحتين الدولية والإقليمية تماماً.

لم ينته الصراع الدموى مع الفلسطينيين عند هذه النقطة، وظلت وجهة نظر بن جوريون سارية، وكانت توجه - مع إدخال بعض التعديلات الضرورية - موقف حكومات إسرائيل، حتى فى سياستنا السلمية الآن.

لقد مد بن جوريون يد السلام للشعوب العربية، عند خروج دولة إسرائيل إلى النور.. صحيح أن اليد عادت خالية آنذاك، إلا أنها لازالت ممدودة.. إننى أمد يد السلام لجيراننا الفلسطينيين، على أمل ألا تعود خالية.

يجب على كل حكومة فى إسرائيل أن تسعى للسلام، ذلك ما قاله بن جوريون، وهو ما أتضامن معه فيه من أعماق قلبي: كنت سأعتبر ذلك إثماً كبيراً، ليس فى حق جيلنا وإنما فى حق الأجيال القادمة، لو لم نبذل من جانبنا كل ما فى وسعنا من أجل التوصل لتفاهم متبادل مع جيراننا العرب، ولكان من حق الأجيال القادمة أن تتهم حكومة إسرائيل بأنها أضاعت فرصة السلام...".

لم تكن هذه أيام سهلة بالنسبة لدولة إسرائيل ولشعب إسرائيل. ومن الطبيعى أن نأتى فى هذا اليوم إلى هذا المكان الذى يرقد فيه أبو أمتنا المتجددة، من أجل أن نستمد الوحى منه.

لو كنت أستطيع اليوم أن أطلب نصيحة بن جوريون، أعتقد أنه كان سيطلب منى أن أقول ما كنت أود قوله اليوم لجيراننا الفلسطينيين.

أنتم أيها الشعب الفلسطيني، فى الجنوب والشرق، فى قطاع غزة، فى يهودا والسامرة (الضفة الغربية)، تقفون الآن أمام منعطف تاريخي... الإرهاب، العنف، القتل والهجوم المستمر على مواطنى دولة إسرائيل، قد يؤدون إلى تقريبنا من موجة جديدة ومؤلمة من العنف الفظيع.. التعصب الأعمى من جانب تنظيماتكم الإرهابية: حماس، الجهاد، كتائب شهداء الأقصى وتنظيمات أخرى، لم يقربكم من تحقيق الهدف الذى أقتنع بأن الكثيرين منكم يتطلعون إلى تحقيقه، وهو إقامة دولة فلسطينية تضمن لكم المستقبل والازدهار، وتعيش فى حسن جوار إلى جانب دولة إسرائيل.

واليوم، ونحن على شفا اتخاذ قرارات قد تقودنا إلى

مواجهة مؤلمة ومستمرة، أتوجه إليكم من هنا، بجوار مرقد دافيد بن جوريون، وأعرض عليكم السير فى طريق آخر.. طريق يعرض فرصة لمستقبل مختلف، لكم ولنا.

لقد بدأنا ذلك أول أمس.. بدأنا هذا الطريق، وأتمنى أن يقودنا إلى إحراز تقدم نحو الهدف الذى ننشده جميعاً - السلام والهدوء والثقة المتبادلة. إننا على استعداد للسير فى هذا الطريق، بل ونرغب فى ذلك ونود مواصلة السير فيه، حتى نصل إلى الحل المنشود.

لو تشكلت لديكم حكومة جديدة تكون ملتزمة بتطبيق مبادئ اللجنة الرباعية، حكومة تطبق بنود خريطة الطريق وتفرج عن جلعاد شاليط، سأقترح على أبو مازن اللقاء الفورى بهدف إجراء حوار حقيقي، مفتوح، صادق وجاد بيننا وبينكم.

فى إطار هذا الحوار، وبموجب خريطة الطريق، يمكنكم إقامة دولة فلسطينية مستقلة، دائمة ذات امتداد إقليمى فى يهودا والسامرة (الضفة الغربية).. دولة تكون ذات سيادة كاملة وحدود واضحة.

فى إطار ذلك، سيتم ترسيم حدود دولة إسرائيل، بموجب ما ذكره الرئيس بوش فى خطابه الموجه لرئيس الحكومة آريئيل شارون، والذى أرسله يوم الرابع عشر من أبريل ٢٠٠٤ .

إننى أدرك مدى اهتمام مجتمعكم الفلسطينى بقضية السجناء، وأعلن أنه مع الإفراج عن جلعاد شاليط سليماً معافى، وعودته إلى عائلته، فإن حكومة إسرائيل ستكون على استعداد للإفراج عن سجناء فلسطينيين كثيرين، حتى من حُكم عليهم بالسجن لفترات طويلة.. وذلك من أجل زيادة الثقة بيننا، وحتى نثبت أننا نمد أيدينا فعلا بالسلام الحقيقي.

لقد قلت ذلك قبل اختطاف جلعاد شاليط، ولم أغير رأيي. إننى أدرك أن الكثير من الأسر الفلسطينية تنتظر اللحظة التى سيعود فيها أبناؤها إلى ديارهم.. بالإمكان أن يكون ذلك اليوم قريب للغاية.

إننى واثق من أن الكثيرين منكم قد تعبوا من الثمن البشع الذى تدفعونه بسبب التعصب العنيف من جانب التنظيمات الإرهابية التى تبسط نفوذها على شوارعكم.

إننى واثق من أن الكثيرين منكم يأملون فى فتح صفحة جديدة فى التاريخ الدموى للعلاقات بيننا. إن وقف الإرهاب والعنف سوف يتيح لنا أن نعرض عليكم سلسلة طويلة من الخطوات التى سيتم تنفيذها بالتنسيق المتبادل، من أجل التخفيف على الجمهور الفلسطيني، ومن أجل تحسين مستوى معيشته، الذى تضرر بسبب حاجتنا لإتباع وسائل دفاعية فى مواجهة الإرهاب القادم من جهتكم.

سوف نقلل عدد كبير من الحواجز، وسوف نزيد من حرية الحركة فى المناطق (الفلسطينية)، وسنخفف القيود المفروضة على حركة الأشخاص والبضائع فى الاتجاهين، وسنعمل على تحسين ظروف تشغيل المعابر الحدودية المؤدية لقطاع غزة، وسوف نفرج عن أموالكم المجمدة لدينا، حتى نخفف من وطأة الأزمة الإنسانية التى تثقل كاهل الكثيرين منكم.

يمكننا مساعدتكم فى وضع خطة للإصلاح الاقتصادى فى قطاع غزة وبعض أنحاء يهودا والسامرة (الضفة الغربية). يمكننا مساعدتكم فى إقامة مناطق صناعية بالتعاون مع المجتمع الدولى توفر فرص عمل ودخل، وتحقق العيش بكرامة، دون الاستمرار فى الارتباط بالبنى التحتية داخل حدود إسرائيل. وسوف نستعين من أجل تحقيق هذا الهدف بالدول العربية المجاورة التى تسعى لحل الصراع بيننا بطرق سلمية، ومن بينها: الأردن، مصر، السعودية وباقى دول الخليج، وذلك من أجل دعم المفاوضات المباشرة بيننا والاستفادة من خبراتهم فى هذه المفاوضات.

إن الأصوات التى سمعناها من تلك الدول التى تنادى بضرورة الاعتراف بدولة إسرائيل وإقامة علاقات طبيعية معها، على سبيل المثال، ما ورد فى أجزاء من المبادرة السعودية، تعتبر إيجابية، ونعتزم بذل جهود كبيرة من أجل توطيد العلاقات مع هذه الدول وتقوية مساندتها للمفاوضات الثنائية المباشرة بيننا وبين الفلسطينيين.

إننى أتابع بتقدير شديد المحاولات الجادة من جانب تلك الدول من أجل وقف العنف فى المنطقة، وأحترم رغبتها الصادقة فى خلق مناخ جديد بيننا وبينهم، بهدف المساعدة فى حل الصراع. ولعل الظروف الدولية التى نشأت، الآن فى هذا التوقيت تحديداً، تتيح لكم ولنا أيضاً اتخاذ خطوة جريئة تتعلق بحلول وسط مؤلمة، والتخلى عن الأحلام التى كانت تغذى أساطيرنا القومية لسنوات طويلة، وبداية فصل جديد مليء بالأمل فى حياة جيدة لنا جميعاً.

نحن دولة إسرائيل نوافق على إخلاء أراض كثيرة والبلدات التى أقمناها عليها. وهذا أمر صعب للغاية علينا يمزق قلوبنا، لكننا سننجزه مقابل سلام حقيقي.

يجب عليكم الالتزام بوقف العنف والإرهاب والرغبة فى المساس بمواطنى دولة إسرائيل فى الجنوب، والوسط والشمال، والاعتراف بحقنا فى العيش بسلام وأمن بجواركم، والتخلى عن المطالب الخاصة بتطبيق حق العودة. وهذا هدف سليم وهدف طبيعي.

لو أبديتم الإصرار والعزيمة على فعل ذلك، ستجدوننا على أهبة الاستعداد. إن دولة إسرائيل هى دولة قوية.. لا تسمحوا للخلافات فى الرأى والخصومات السياسية والجو الكئيب الذى نشيعه أحياناً أن يضللكم.

سوف نتولى هذا النضال العنيف، حتى لو طال وحصد أرواح ضحايا كثيرين.. حتى لو كان يتعلق بتنازلات بشأن الحياة والمستوى المعيشي، فقد أثبتت دولة إسرائيل قوتها فى السابق، وهى على استعداد لإثباتها اليوم أيضاً.

لا تضعونا أمام محك آخر يسبب لكم، ولآلاف

الضحايا، الدمار، ويقودنا إلى أزمة وحالة من اليأس. لا يمكننا تغيير الماضي، ولا يمكننا إعادة ضحايا الصراع من الطرفين.. لن تجدى الخطابات، كما أن تبادل الاتهامات هو مجرد لعبة كلامية بلا غاية ولا أمل. إننا لن نسوى الحسابات التاريخية ولن نمحو الواقع الذى ترسخ.

كل ما يمكننا فعله اليوم هو الحيلولة دون وقوع مآسى جديدة، وأن نورث الجيل الشاب أفق واضح وأمل فى حياة أخرى.. دعونا نستبدل العداء وشحذ أنصال السيوف بالاعتراف والاحترام المتبادلين وبالحوار المباشر.

من هنا، من أقصى مكان فى هذا الجرف الذى يطل على الطبيعة القديمة لوادى تسيون (صهيون) - المكان الذى اختار بن جوريون وزوجته بولا أن يرقدا فيه للأبد - تعلو بصوت حازم وواضح دعوة دولة إسرائيل للسلام.. لعلها تجد صدى ورداً إيجابياً.

ليكن ذكرى دافيد وبولا بن جوريون مباركاً.

تعليق على خطاب أولمرت: أفق سياسى واضح

افتتاحية هاآرتس ٢٨/١١/٢٠٠٦

بعد فترة من الظلمة وافتقاد السبيل فى أعقاب الحرب فى لبنان، أبدى رئيس الحكومة، "إيهود أولمرت"، أمس خطاً سياسياً واضحاً وصافياً. ففى خطاب ألقاه فى "ساديه بوكير"، فى الذكرى الرسمية لـ "دافيد بن جوريون"، عاد "أولمرت" إلى الموقف الذى عرضه مع تشكيل حكومته، والذى مفاده أن الانسحاب من الشق الأكبر من المناطق (الفلسطينية)، وإخلاء معظم المستعمرات وإقامة دولة فلسطينية مستقلة أمور حيوية لوجود دولة إسرائيل على المدى الطويل، أو هي، كما قال فى الماضي، "طوق النجاة للصهيونية".

فى حديثه للشعب الفلسطيني، عرض "أولمرت" إجراء مفاوضات حول إقامة دولة فلسطينية ذات تواصل جغرافى فى الضفة الغربية، تتحدد حدودها طبقاً لـ "خطاب بوش" إلى "أريئيل شارون" فى شهر أبريل عام ٢٠٠٤ . صحيح أن الخطاب الرئاسى الأمريكى صيغ بلغة غامضة، ولكن طبقاً للتفسير الإسرائيلي، فإنه يعترف بضم الكتل الاستيطانية الكبرى لإسرائيل، ويرسم الحدود تقريباً طبقاً لمخطط الجدار الفاصل.. كما وعد "أولمرت" بـ "إخلاء مناطق عديدة وتجمعات سكنية أقمنا فيها"، وبإطلاق سراح أسرى حكم عليهم بفترات سجن طويلة وباتخاذ سلسلة من الخطوات التى تبنى الثقة مثل فتح معابر، إزالة حواجز والإفراج عن أموال. وتحدث "أولمرت" عن دور الدول العربية فى مواكبة المفاوضات، وأثنى على "أجزاء إيجابية" فى مبادرة السلام السعودية.

عرض "أولمرت" على الفلسطينيين مجموعة من الشروط لبدء المفاوضات: تشكيل حكومة جديدة فى السلطة، تكون ملتزمة بمبادئ الرباعية، وعلى رأسها الاعتراف بإسرائيل، وتطبيق "خريطة الطريق"، التى تدعو إلى نزع سلاح المنظمات الإرهابية، وإطلاق سراح الجندى "جلعاد شاليط".. وفقط عندما يتم تلبية هذه الشروط، "سأعرض على أبى مازن الالتقاء على الفور بهدف إجراء حوار".

الواقع أن "خطاب ساديه بوكير" يضع مجدداً تسوية النزاع مع الفلسطينيين على رأس جدول الأعمال القومى لإسرائيل. يستحق "أولمرت" كل الإشادة على قراره إطلاق مبادرة سياسية، استكمالاً لوقف إطلاق النار الذى تم الإعلان عنه نهاية الأسبوع فى قطاع غزة. الاتجاه الذى رسمه هو تعبير عن أمنيات أغلبية كبيرة بين أوساط الشعبين - هكذا يتضح من استطلاعات رأى وبحوث عديدة.

أظهر "أولمرت" أمس، أن إدخال "أفيجدور ليبرمان" إلى حكومته لم يسدل الستار على استئناف المسيرة السياسية. وسيخفف استعداده لأخذ زمام المبادرة أيضاً الضغوط على إسرائيل كى تقبل بمبادرة سياسية مفروضة من الخارج. هذا هو الوقت لدعوة الفلسطينيين ولمؤيديهم فى العالم العربى للاستجابة للتحدى الذى وضعه أمامهم رئيس الحكومة، والقدوم إلى طاولة التفاوض. صحيح أن عروض "أولمرت" ما تزال بعيدة عن المطالب الفلسطينية، وصحيح أيضاً أن "أولمرت" حافظ على غموض مقصود فى مسألة القدس وفى قضايا أخرى من قضايا التسوية الدائمة. لكن هذه هى طبيعة المساومة الدبلوماسية، التى تبدأ من مواقف بعيدة وتحاول التوفيق بينها.

إن البديل الذى وصفه رئيس الحكومة، من تجدد للعنف الذى سيوقع العديد من الضحايا، سيضر فقط بالطرفين وسيبعدهما مرة أخرى عن فرصة العيش بشكل طبيعي. ومن ثم، سيكون من الخسارة الكبيرة أن تضيع الفرصة الجديدة للتسوية، التى نشأت مع وقف إطلاق النار وخطاب "ساديه بوكير".

شهادات

شفرة رابين

بقلم: إيلان نيجف - ترجمة وإعداد: مدحت الغرباوي - يديعوت أحرونوت ٣/١١/٢٠٠٦

ثلاثة أعيرة نارية فى الرابع من نوفمبر ١٩٩٥، كلفت رئيس الوزراء "إسحاق رابين" حياته، وغيّرت وجهة أمة بأسرها. ورغم ذلك، فقد كان لها تأثير إيجابى، حيث إنها خلدت رابين فى الوعى الجمعى كزعيم صاحب ميراث حافل يكاد يصل إلى مرتبة المقدسات القومية.

ولكن المؤرخ يوسى جولدشتاين، الذى سينشر الشهر القادم كتاب جديد يتناول السيرة الذاتية لرابين (١) بشكل موسع، لديه رأى آخر. ويحدد البروفيسور جولدشتاين فى كتابه أن "صورة رابين قد تعرضت للتحريف خلال الأعوام الأحد عشر التى تلت مقتله، حيث يتم تصويره كالشمس المضيئة للشعوب، الرجل الذى جعل من إسرائيل دولة أخرى، الرجل الذى أدخل قيماً جديدة فى الثقافة السياسية، والذى لديه تراث ينبغى السير على ضوئه. ولكن بالنسبة لىّ، هذه ليست الحقيقة. فلا يوجد ميراث حافل لرابين، وكل ما فى الأمر أنه أسهم بنصيبه بشكل لا يزيد عن أى من رؤساء الحكومات السابقين الذين سقطوا فى دائرة النسيان. وربما تكون النهاية المأساوية لرابين هى التى أكسبته الصورة التى أصبح عليها الآن. المجتمع الإسرائيلي، الغارق فى أحاسيس الذنب تجاه زعيمه الذى قتل على أيدى شخص مقيت من أفراده، لم يستطع فعل شيء سوى أن يجعل صورته كاملة دون أى عيوب".

يعترف جولدشتاين - الذى يبلغ من العمر ٥٩ عاما والخبير فى التاريخ الصهيونى والذى كتب السيرة الذاتية لكل من آحاد هعام (٢) وأوسيشكين (٣) وليفى أشكول - أن فكرة كتابه هذا جاءت من منطلق تقديره الكامل لرئيس الوزراء الراحل. وخلافاً لكثير من كتاب السيرة الآخرين، الذين تأثرت كتاباتهم وأبحاثهم بحبهم لرابين الزعيم، جاء كتاب جولدشتاين مختلفا نوعاً ما.

يتناول جولدشتاين فى كتابه الجوانب الشخصية لرئيس الوزراء الراحل، ويقول: "اكتشفت أن رابين كان طفولياً، ضيق الصدر. ولم يقتصر ضيق صدره على كراهية الأغبياء والحمقى، بل كان لا يحب أيضاً الآراء التى لا تتفق مع رأيه. وخلافا للانطباع المأخوذ عن شمعون بيريس بإعتباره مخادعا بينما رابين هو السياسى الذى يُغلّب المصلحة العامة على أى اعتبارات شخصية، يتضح أن رابين كان مخادعا كبيرا. لقد أحببت رابين جدا، ومازلت أحبه، ولكن لدى مآخذ عليه فى كل المجالات، سواء فيما يتعلق بشخصيته أو أدائه لمهام منصبه".

◆◆ فى ظل روزا:

"من وقت لآخر، كانت روزا تخرج فى رحلات علاجية فى أماكن مختلفة بإسرائيل، بما فى ذلك المنتجعات، ولكن بلا فائدة. السيدة الصغيرة ابنة الثامنة والأربعين استسلمت لمرض السرطان. قبل وفاتها، قال نحميا (نحميا روبيتشف هو والد إسحاق رابين) لإسحاق - الذى استدعى على عجل إلى مستشفى "هداسا" فى تل أبيب - أن والدته تعانى من آلام قاسية، ولذا فالموت سيريحها من العذاب. ولكن لم يكن فى ذلك ما يواسى رابين".

(موت روزا رابين، من كتاب "رابين- سيرة ذاتية")

اختار البروفيسور جولدشتاين أن يبدأ قصة حياة رابين بـ"روزا الحمراء" - والدة إسحاق رابين، التى سُميت بهذا الاسم نظرا لإيمانها الراسخ بالاشتراكية السوفيتية - وذلك لأنها كانت على ما يبدو أكثر الشخصيات التى تركت أثراً فى حياة رابين.. فقد كانت "روزا الحمراء" امرأة متناقضة، مهندسة فى تخصصها، ونشأت فى بيت حسيدي، إلا أنها تحولت

إلى معادية للدين، وهاجرت إلى أرض إسرائيل (فلسطين) عام ١٩١٩ . وبعد فترة وجيزة، انضمت إلى منظمة "الهاجاناه"، والتقت هناك بنحميا روبيتشف (رابين) ووقعت فى حبه. يقول جولدشتاين: "كلاهما كانا غريب الأطوار. كما أنهما لم يكونا فى سن الشباب عند زواجهما، فهى كانت فى الواحدة والثلاثين من عمرها، بينما كان هو فى الخامسة والثلاثين".

طفلهما الأول، رابين، وُلد فى القدس فى الأول من مارس عام ١٩٢٢، وبعد ذلك بثلاث سنوات، وُلدت الطفلة راحيل فى تل أبيب. كان نحميا يعمل فى شركة الكهرباء، وقد كان رجلا هادئا وانطوائيا. أما الزوجة روزا، فقد كانت تعمل مديرة للحسابات، ولكنها كرست جُل وقتها للنشاطات السياسية. وحتى مرض القلب الذى كانت تعانى منه والنوبات الحادة التى كانت تفزع طفليها، لم يمنعاها من مواصلة نشاطاتها، حتى إنها كانت تتغيب عن المنزل لأيام وساعات طويلة. وقد اضطر إسحاق وراحيل لرعاية أنفسهما منذ سن صغيرة. وقد قالت راحيل رابين ذات مرة أنها وأخيها كثيرا ما كانا يطلبان الطعام من الجيران، لا للحاجة، بل لعدم وجود من يُجهِّز لهما الطعام، كما قالت إنهما كانا يختاران بأنفسهما المدرسة التي يتعلمان فيها.

بالإضافة إلى مرض القلب، أصيبت روزا رابين بسرطان الأمعاء الغليظة. رأى إسحاق وراحيل أمهما وهى تذبل أمام أعينهما. كان إسحاق فى الخامسة عشرة من عمره عندما توفيت والدته. كان شابا منطويا، حارس مرمى ممتاز وتلميذ متفوق فى مدرسة "كادوري" الزراعية. يقول جولدشتاين: "كان موت والدته كارثة قاسية جدا على رابين. لقد كانت بالنسبة له رمزا للقوة والصمود. ورغم أنها كانت تغيب كثيرا عن البيت، فقد كانت تمثل بالنسبة له كل معانى الاستقرار، وقد ورث رابين منها الجانب الاجتماعى (يقصد حبها للنشاط الاجتماعي).. بعد وفاة الزوجة، حاول نحميا ملأ الفراغ الذى تركته فى البيت، فكان يغسل ويعد الطعام لطفليه كل يوم، ولكنه كان كثيرا ما يخرج للعب الشطرنج مع أصدقائه، تاركا طفليه وحدهما فى البيت".

لاحظ جولدشتاين فى كتابه أن رابين كان يعانى من مشكلة فى القراءة، وكان يتلعثم. يقول جولدشتاين: "لم أقرأ عن ذلك فى أى مكان، ولكن كان واضحا لى أن رابين كان يعانى من مشكلة فى القراءة. فى سنواته الدراسية الأولى، يكاد يكون رابين لم يتعلم شيئا. لم يكن يستطع القراءة، وكان فتى غريب الأطوار. ولكنه استطاع بعد ذلك التغلب على هذه المشكلة وبدأ يقرأ الكتب بنهم. وبعد ذلك، ناضل رابين من أجل تعلم اللغة الإنجليزية، التى أخذ دروسا خصوصية فيها لسنوات طويلة، ولكنه رغم كل ذلك كان يجد صعوبة فيها. خلال السنة الأولى لتوليه منصب سفير إسرائيل فى الولايات المتحدة، كان يرفض المقابلات الصحفية، حتى لا يبدو متلعثما. ورغم ذلك، فإن الحديث يدور عن إنسان شديد الذكاء ومثقف إلى أبعد درجة وتلميذ موهوب".

أما ليئا، التى تعرف عليها بعد ذلك ببضع سنوات، فيأتى وصفها فى الكتاب على أنها كانت: "فتاة فارعة الطول، تلميذة متفوقة جدا، لديها الكثير من المعجبين، تنتمى إلى أسرة ثرية وتتحدث الإنجليزية برصانة". وفى صيف ١٩٤٨، بعد زواج شقيقته بثلاثة أيام فقط، تزوج رابين من ليئا. وكان العريس يريد إقامة حفل زفاف متواضع، غير أن العروس ووالديها حسموا الأمر لصالح احتفال صاخب، ولم يكن أمامه سوى الموافقة.

يقول جولدشتاين فى كتابه أن كل المراحل المؤثرة فى حياة رابين جاءت صدفة، أى بسبب الظروف وليس من خلال التخطيط: فعندما وضع رابين خططاً عملية لدراسة هندسة المياه فى جامعة باركلى بكاليفورنيا - وذلك فى إطار المنحة التى حصل عليها من حكومة الانتداب - جاءت الحرب العالمية الثانية، فقرر البقاء والانضمام إلى البالماح. وبذلك انجذب رابين إلى العمل الأمنى الذى أفنى فيه عمره، بداية بالبالماح، مروراً بالجيش الإسرائيلى وانتهاءً برئاسة الحكومة.

يقول جولدشتاين: "كل المناصب العامة التى تولاها، لم تكن مخصصة له من البداية. سمات رابين الشخصية كانت مختلفة كلية عن السمات المطلوبة فى شخص بمنصبه: فقد كان انطوائيا، منعزلا، متواضعا ودمث الخلق. فقد مرت اثنى عشر عاما منذ أن وُعد رابين بمنصب رئيس الأركان العامة، وحتى حصوله على هذا المنصب فى عام ١٩٦٤ . وبعد حرب عيد الغفران (أكتوبر ١٩٧٣) انتخب رابين رئيسا للوزراء (الائتلاف السابع عشر عام ١٩٧٤)، ليس من خلال السعى للمنصب، ولكن يمكن القول بأن المنصب هو الذى سعى إليه، وذلك لأنه كان الوحيد من بين قادة حزبه (المعراخ آنذاك) الذى لم يُلطخ جبينه بعار الحرب".

قصة تعاطى رئيس الوزراء مع الأحداث التى سبقت حرب الأيام الستة (يونيو ١٩٦٧)، كما جاء ذكرها بالتفصيل فى هذا الكتاب، تكشف عن وجه واحد فى شخصية رابين الإنسان، الذى اشتهر بوصفه الرابح الأكبر من هذه الحرب. ففى تلك الفترة، كان التوتر يسيطر على علاقة إسرائيل بسوريا، وهو

التوتر الذى استمر طوال شهرى أبريل ومايو من عام ١٩٦٧ . وفى الفترة نفسها، حشدت مصر قوات كبيرة على الحدود مع إسرائيل. وقد طالب ليفى أشكول، رئيس الوزراء ووزير الدفاع آنذاك، بالحفاظ على ضبط النفس، غير أن ضباط هيئة الأركان العامة طالبوا بشن حرب وقائية ضد مصر. فوقف رئيس الأركان رابين على الحياد، ولم ينجر وراء موقف رفاقه فى قيادة الأركان. يقول جولدشتاين: "توقعت هيئة الأركان أن تسفر الحرب عن كوارث كبيرة، وقد تم التجهيز بالفعل لحفر ١٤ مقبرة جماعية فى ميدان "ملاخى يسرائيل" تسع لأربعة عشر ألف جثة. إلا أن رابين توقع ألا يزيد عدد القتلى الإسرائيليين عن ألف جندي، الأمر الذى جعل الضغط عليه يزيد. وقد بدت عليه علامات الإرهاق الجسمانى والنفسي، وبالفعل انهار".

حرر كبير الأطباء العسكريين آنذاك شهادة رسمية تقول إن رئيس الأركان، الذى كان يدخن بشراهة، يعانى من "تسمم النيكوتين"، ولكن كان واضحا أن الأمور أكثر تعقيدا من ذلك. يقول جولدشتاين: "استدعى رابين نائبه، عزرا فايتسمان، وقال له أنه ورط إسرائيل بسبب سلسلة من الأخطاء ارتكبها. وقال رابين مخاطبا فايتسمان: أعتقد أن المخطئ يجب أن يرحل، وأنا مخطئ. وسأله بعد ذلك ما إذا يوافق على تولى رئاسة الأركان. بعد هذه الحادثة، حُقن رابين بحقنة مهدئة وغط فى النوم. ومرت ٣٦ ساعة إلى أن استعاد عافيته تماما وعاد إلى ممارسة عمله كالمعتاد...

"كان هذا الانهيار القصير إشارة إلى الصعوبة التى كان رابين يجدها فى مواجهة الضغوط. فكان يحتاج دائما إلى وسائل خارجية، مثل التدخين بشراهة، الإسراف فى احتساء القهوة. بل وشرب الكحوليات فى مرحلة متقدمة من حياته - كل ذلك لكى يهدأ. لقد كان يفضل الويسكى والمشروبات التى تحتوى على نسبة عالية من الكحول، والتى كانت تجعله أكثر هدوءاً وتحرراً".

◆ هل تصف رابين بأنه كان إنسان منكسر..؟

- "إنه لم يكن منكسرا، ولكن كانت لديه نقاط ضعف حاول إخفاءها بطرق متعددة. لقد كان يدخن ويحتسى الكثير من القهوة والكحوليات من أجل التغلب على عدم الثقة والخجل. على أية حال، ورغم أن هذا النوع من الانهيار لم يتكرر بعد ذلك، إلا أنه كان كافيا لبث الرعب فى نفس رابين".

◆◆ أسطورة الليرات العشر:

"ما من شك أن رابين كان على علم بأن زوجته ليئا كانت تنتهك القانون، ولكنه لم يحاول منعها، ربما لأنه كان يعتقد أن الحساب البنكى لم يتضخم بشكل كبير بعد رحيلهما عن واشنطن، ويُحتمل أيضاً أنه تأثر بنظرة ليئا المستخفة بهذه الفعلة، والتى وصفتها فى مذكراتها بأنها مثل "قطع الطريق بينما الإشارة صفراء، على أمل أن أتمكن من المرور قبل أن تتغير الإشارة"... (من وقائع قضية حساب الدولارات البنكي).

فى فبراير ١٩٦٨، ترك رابين رئاسة الأركان ليتولى منصب سفير إسرائيل فى الولايات المتحدة. وكانت الطائفة اليهودية هناك تحب "رئيس الأركان المنتصر"، كما كانت الإدارة الأمريكية تشعر بالود تجاه السفير الذى نادى بتقديم تنازلات إقليمية رغم السياسة الصقرية التى كانت تنتهجها حكومته. كانت الحفلات التى أقامها رابين وزوجته هناك معروفة بفخامتها وكثرة المدعوين لها، كما أصبح رابين من المحاضرين المرغوبين. يقول جولدشتاين: "كان لدى رابين وكيل يتولى تنظيم المحاضرات له فى كل أنحاء الولايات المتحدة. وخلال سنواته الخمس فى واشنطن، ربح رابين مبالغ طائلة دخلت فى حسابه الخاص، رغم أنه كان يحصل على راتب من الخارجية الإسرائيلية مقابل عمله كسفير فى الولايات المتحدة، كما كان يحصل على معاش عن فترة خدمته فى الجيش.. لقد صنع ثروة من هذه المحاضرات".

يقول جولدشتاين أن الرأى السائد بأن رابين لم يكن يفهم فى المال والحسابات، وأن زوجته ليئا هى التى كانت تعتنى دائما بأن تضع فى جيبه عشر ليرات، ليس إلا نوعا من السذاجة. فحسب رأى جولدشتاين، كان رابين يقف على أدق التفاصيل المتعلقة بشئونه المالية، وكان محبا لمتع الحياة وعرف كيف يدبر هو وزوجته النفقات اللازمة للحياة الباذخة التى اعتاداها فى واشنطن. وفى ذلك يقول جولدشتاين: "طوال حياته، كانت ليئا هى المحرك الرئيسي، وكانت شريكة فى كل شيء. شخص مثل رابين، كان بحاجة إلى زوجة مثل ليئا. فرابين كان شديد الانطوائية، وكان بحاجة إلى نموذج مثل ليئا".

◆ كيف تصف توزيع الأدوار بينهما..؟

- "إنها مسألة معقدة. للوهلة الأولى، يبدو رابين كشخصية تابعة، وأنه كان يترك القيادة لزوجته، ولكنه كان القائد الفعلي، وليس أحد آخر. ظل رابين على نفس الخجل والتواضع اللذين كان عليهما، بينما ليئا كانت تقوم بالأعمال السوداء لحسابه".

فى مارس ١٩٧٣، وبعد العمل لخمس سنوات كسفير فى الولايات المتحدة، عاد رابين إلى إسرائيل. وبعد ذلك بعام، عُين وزيرا للعمل فى حكومة جولدا مائير. وبعد فترة وجيزة، استقالت جولدا، فقرر رابين

المنافسة على رئاسة حزب العمل (المعراخ آنذاك). كان المرشح المنافس هو شمعون بيريس، الذى أصبح فيما بعد الخصم السياسى الأكثر ضراوة. يقول جولدشتاين: "على نحو يشبه السجائر والكحوليات التى ساعدته فى التغلب على طابعه الانطوائي، كانت عداوته لشمعون بيريس عاملا مساعدا إلى حد كبير على تحريره من قيود طباعه".

يقول جولدشتاين فى كتابه أن رابين كان على قناعة أثناء الحملة الانتخابية بأن بيريس وأنصاره هم الذين سربوا للصحافة نبأ المحاضرات التى تربّح منها مبالغ طائلة. وكان الرقم الذى ذكرته الصحافة ٩٠ ألف دولار. رابين من جانبه لم ينف، ولكنه ادعى عدم معرفته بخطورة هذه الأفعال من الناحية العامة، كما ادعى أن السفراء السابقين كانوا يفعلون الشيء نفسه.

يضيف جولدشتاين: "فى يونيو ١٩٧٤، تولى رابين رئاسة الحكومة، وكانت الفترة الأولى من ولايته ناجحة جدا بالنسبة له، ولكن اتضح بعد ذلك أن رابين ليس هو الشخص المناسب لمنصب رئيس الوزراء. وكانت قضية الفساد التى اتهم بها أفراهام عوفر، وزير الإسكان والصديق الشخصى لرابين، هى أبلغ دليل على عدم صلاحيته لهذا المنصب، حيث أعلن رابين على الملأ أنه متأكد من براءة عوفر. كانت التحقيقات على وشك الانتهاء، ولكن عندما جاءت شهادة جديدة، قام رابين بإبلاغ عوفر بأنه على وشك الخضوع للتحقيق ثانية. وغداة اليوم التالي، قام عوفر بالانتحار. لقد نسى رابين ببساطة أنه رئيس الحكومة، واعتقد أنه مازال فى البالماح، حيث الصداقة التى تسمو على كل ما عداها. لقد كان ينبغى عليه أن ينأى بنفسه عن عوفر من الناحية العامة، وأن يترك للمحاكم القيام بعملها".

اضطر رابين للاستقالة من رئاسة الحكومة بعد الكشف عن قضية حساباته البنكية هو وزوجته فى واشنطن، وهى القضية التى فجرها الصحفى دان مرجليت. كانت إسرائيل تعانى فى تلك الفترة من أزمة فى العملة الأجنبية، ولذا سنت قانونا يحظر الاحتفاظ بأموال فى الخارج. وكان رابين وزوجته قد فتحا حسابات بنكية أثناء إقامتهما فى واشنطن، ولكنهما لم يغلقا هذه الحسابات بعد مغادرتهما للولايات المتحدة، وكانت ليئا تسحب بالتدريج العشرين ألف دولار الذين تبقوا فى حسابها هناك. وفى النهاية، مثلت ليئا وحدها أمام القضاء وتم إلزامها بدفع غرامة، بينما أعلن إسحاق رابين استقالته من رئاسة الحكومة.

لكن البروفيسور جولدشتاين يقول فى كتابه أنه إذا ألقينا نظرة تاريخية، سنعرف أن الكشف عن قضية الحسابات البنكية جاء فى صالح رابين وليس العكس، فيقول: "كانت هذه القضية بمثابة هدية من السماء لرابين. فقد ظهر بمظهر الفارس الذى يتحمل المسئولية ويقف إلى جانب زوجته. وقد خرج رابين من هذه القضية رابحا. صحيح أنه كان إنسان يتحمل المسئولية، ولكنه كان يعرف أيضاً أن الانتخابات باتت وشيكة، وأن الفشل مؤكد فى ظل التضخم الكبير الذى يعانى منه الاقتصاد والأزمات الائتلافية. كانت لديه استطلاعات رأى أجريت قبل الانتخابات بثلاثة أشهر، وكان يعلم جيدا أنه سيخسر، وعندئذ جاءت قضية الدولارات...

"إننى لا أقول أن رابين هو الذى تعمد تسريب نبأ الحسابات البنكية، ولكنى أقول أنه خرج من هذه القضية بطريقة أنيقة. لقد فضّل الاستقالة لكى يُنسب الفشل فى الانتخابات بعد ذلك إلى شمعون بيريس، لا إليه هو.. وبالفعل، فقد سُجّل الانقلاب الدراماتيكى فى ١٧ مايو ١٩٧٧، الذى صعد الليكود من خلاله إلى السلطة، باسم شمعون بيريس. كم كانت سعادة رابين بهذه الخسارة المريرة التى مُنِى بها غريمه اللدود.. إن هزيمة ١٩٧٧ كان يجب أن تسجل باسم إسحاق رابين وليس أى أحد آخر".

◆◆ غريم لا يكل:

لم يتقبل رابين بسهولة خروجه من الساحة السياسية بعد فترة ولاية قصيرة كرئيس للوزراء، كما لم يتقبل فى الأساس الأنباء التى تحدثت عن قيام مناحم بيجين بقطف ثمار السلام مع مصر، والتى كان رابين قد زرعها بنفسه. كما يقول الكتاب أن عداوة رابين لبيريس أخذت أبعادا جديدة، عندما أصبح رابين عضوا بالكنيست فى صفوف المعارضة، حيث كان من الواضح له أن بيريس هو المسئول عن الجزء الأكبر من معاناته.

وفى تلك الفترة، ألّف رابين، بالاشتراك مع الصحفى دوف جولدشتاين، كتاب "سجل الخدمة"، والذى قدم بيريس كشخصية لا تكل من التآمر. يقول البروفيسور جولدشتاين فى تعليقه على هذا الكتاب: "لم يكن هذا كتاب سيرة ذاتية، وإنما كان محاكمة ميدانية لبيريس. وقد نجح بيريس فى جعل هذا الكتاب حربة مرتدة إلى نحر رابين، حيث أظهر بيريس بمظهر الضحية، بينما رابين هو الشخص الحاقد والمنتقم. فى نهاية الأمر، تسبب هذا الكتاب فى خسائر فادحة لإسحاق رابين، لأن بيريس - على العكس من رابين - كان يجيد فن المناورات السياسية".

◆ ما تفسيرك لهذه العداوة بين رابين وبيريس..؟

- "تحول رابين وبيريس إلى غريمين منذ عقد

الخمسينيات، عندما كان بيريس يشغل منصب نائب وزير الدفاع، بينما كان رابين لواءً في هيئة الأركان العامة. وقد تطورت العداوة الشخصية بينهما عندما كان رابين يريد تولى منصب رئيس الأركان العامة. وخلافا لذلك، كان كلاهما مختلفين في الطباع وفي وجهات النظر، إذ إن بيريس كان مناوراً ولكن بشكل نظيف، بينما كان رابين - المعروف بسلوكه المباشر بشكل عام - قد ضاق ذرعاً بأساليب بيريس".

◆ هل تعتقد أن بيريس هو الذى خرج منتصرا فى نهاية المعركة..؟

بيريس ينتصر دائما. كان دائما يعرف كيف يظهر بمظهر السياسى الذى لا يميل مطلقا إلى استخدام القوة والعنف، سياسى نقى تماما لا علاقة له بألاعيب السياسة القذرة، وكان هذا أكثر ما يغضب رابين".

فى يونيو ١٩٩٢، وبعد خمسة عشر عاما من استقالته، انتخب رابين ثانية لرئاسة الحكومة. وكانت علاقته بشمعون بيريس قد شهدت آنذاك تحولات كثيرة، جعلت رابين يقوم بتعيين خصمه اللدود فى منصب وزير الخارجية. يقول جولدشتاين: "تولى رابين رئاسة الحكومة للمرة الثانية وهو فى سن السبعين، رجل عجوز، أكثر حكمة وحذرا من ذى قبل. لكنه لم يكف عن كراهيته ومقته لبيريس، أما بيريس فى المقابل، فقد رضى للمرة الأولى بأن يكون رابين رقم واحد. وكانت هذه الخطوة بداية للإنعطافة التى شهدتها علاقة الاثنين ببعضهما بعضاً. فعندما شعر رابين بذلك، زادت ثقته فى بيريس ومنحه الصلاحيات الكاملة فى مسألة أوسلو".

خلال العامين الأخيرين من حياته، كان رابين يضع فى الحسبان احتمالات تعرضه للاغتيال، وذلك بعد توقيعه فى واشنطن على اتفاق المبادئ مع منظمة التحرير الفلسطينية فى سبتمبر ١٩٩٣، ومصافحته ياسر عرفات. ويشير الكتاب إلى أن رابين شارك عرفات، قبل بضعة أشهر من اغتياله، فى مخاوفه هذه، وقال له إن هناك "دعوات فى إسرائيل تطالب بقتلى"، ونداءات من قبيل "خائن" و"قاتل"، فضلاً عن الفتوى التى أهدرت دمه، ونوبات الاحتجاج التى نظمها المتظاهرون أمام منزله - كل ذلك جعله يستشعر الخطر.

يقول جولدشتاين: "لم يكن رابين قلقا على نفسه أو على حياته، بل كان أكثر ما يقلقه هو أنه إذا قتل، فإن الاتفاقات مع الفلسطينيين، التى كانت مصدر الفخر بالنسبة له، قد تذهب سُدى، بينما سيخرج القاتل وأعوانه رابحين".

١- تعود أهمية كتاب البروفيسور يوسى جولدشتاين، "رابين- سيرة ذاتية"، والصادر عن دار نشر شوكين، إلى كونه أول كتاب إسرائيلى يتناول السيرة الذاتية لإسحاق رابين. إذ إن الكتابين السابقين جاءا على أيدى صحفيين أجانب: الكتاب الأول هو "رابين إسرائيل" الذى كتبه الصحفى روبرت سلايتر فى عام ١٩٧٧، وتم تحديثه عام ١٩٩٣ تحت عنوان "رابين - مقاتل السلام". أما الثانى فهو كتاب "جندى السلام" الذى نشره الصحفى دان كروتسمان عام ١٩٩٨ .

فتش جولدشتاين فى آلاف الوثائق التابعة لأرشيف الجيش الإسرائيلي، ووزارة الدفاع، والكنيست، وأرشيف الدولة وأرشيف الخارجية الأمريكية. كما أطلع على المقابلات التى أجراها مركز تراث رابين مع ٦٤ شخصية من مقربيه فى السنوات التى تلت اغتياله، ومن بينها مقابلة مع شقيقته راحيل. كما أنه جمع حوالى ٧٠ حديثا أجراها رابين طوال حياته، وقرأ كذلك مئات الأحاديث مع الساسة والعسكريين والأشخاص الذين كانت لهم علاقة برابين فى مراحل مختلفة من حياته. وقد فضل جولدشتاين ألا يقابل سوى عدد قليل من الأشخاص وأن يطرح عليهم أسئلة محددة، ومن بين هؤلاء روحاما حرمون، رئيسة مكتب رابين طوال حياته.

الشخص الوحيد من أسرة رابين الذى التقى به جولدشتاين، كانت شقيقته راحيل رابين. يقول جولدشتاين: "لا أعرف ما إذا كانت أسرة رابين ستحب هذا الكتاب أم لا، ولكنى أجريت بضعة مكالمات هاتفية مع شقيقته راحيل التى كانت تبدو امرأة حكيمة مثل أخيها، وأتمنى أن تستطيع بحكمتها الوقوف على الحقيقة التى بين طيات الكتاب".

٢- آحاد هعام: هو اسم الشهرة لآشر جينزبرج، وهو من أهم الكتاب والمفكرين فى الأدب العبرى الحديث. ولد عام ١٨٥٦ فى قرية صغيرة بأوكرانيا، وتوفى عام ١٩٢٧ فى تل أبيب. ومن أبرز مؤلفاته كتاب "فى مفترق الطرق" الذى يحتوى على كل كتاباته تقريبا.

٣- مناحم أوسيشكين (١٨٦٣-١٩٤١): زعيم صهيونى روسي، ترأس الصندوق القومى اليهودي، وأسس عام ١٨٧١ فى جامعة موسكو جماعة صهيونية للهجرة إلى أرض إسرائيل.

◆ افتتاحيات الصحف ◆



لماذا نقاطع قطر..؟

هاآرتس ٢٠٠٦/١٠/٣٠

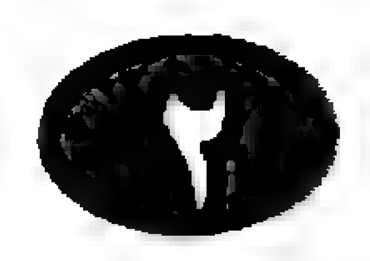
اتخذت وزيرة الخارجية "تسيبى ليفني" قراراً غريباً، حينما ألغت مشاركتها فى المؤتمر السادس للأمم المتحدة حول الديموقراطيات الحديثة والمتجددة، الذى يعقد هذا العام فى إمارة قطر. سبب الإلغاء: مشاركة برلمانيين من حماس.

من الصعب أن نفهم الاعتبارات التى حكمت قرار الوزيرة، خصوصاً أنها سمحت لممثل رفيع المستوى من الوزارة بالمشاركة فى المؤتمر. فهل لا يمثل حضور ممثل وزارة الخارجية الإسرائيلية إلى جانب برلمانيين من حماس اعترافاً بحماس، فيما مشاركة الوزيرة ذاتها معناها بالضرورة اعتراف بها..؟ أم أن هناك اتجاهاً عاماً لأن تفرض إسرائيل مقاطعة على قطر علماً بأنها الدولة العربية الوحيدة المستعدة لإقامة علاقات ودية بحق معنا..؟ أم أن مقاطعة المؤتمر تأتى من كونه يستضيف ممثلين من إيران، وسوريا ولبنان.. إن القيادة السياسية خانها الصواب فى هذا القرار.

لم يُطلب من "ليفني" التحدث مع ممثلى حماس أو مصافحتهم. فى المقابل، مورست على قطر مجموعة من الضغوط وتعرضت للسباب فى الأيام الأخيرة، عندما عُرف أن دعوة وجهت إلى "ليفني". قرر وزير الخارجية اللبنانية عدم حضور المؤتمر، وأعلن ممثلون آخرون أنهم سيتغيبون، لكن وزير خارجية قطر، "حمد بن جاسم آل ثان"، لم يتراجع، كما لم يتراجع عن مقابلة ممثلين إسرائيليين فى نيويورك وفى أماكن أخرى. ومثلما لم يتوان فى التوسط فى النزاع مع الفلسطينيين، رغم الفرص الضئيلة فى أن تثمر جهوده، فقد أراد وزير الخارجية القطري، بدعوته إسرائيل - بموافقة زعيم قطر - أن يعرض عليها مرحلة جديدة من الشرعية التى كان من شأنها أن تضع دولاً عربية وإسلامية أخرى مشاركة فى المؤتمر أمام اختبار.

يبدو أنَّ "ليفني" قررت، كما هو واضح، أن جراة زعماء قطر لا تستحق احتراماً إسرائيلياً. والنتيجة المترتبة ليست فقط خسارة دبلوماسية لإسرائيل، وإنما أيضاً مكسب كامل لحماس، التى أصبح ممثلوها الآن - الذين يعانون مثل إسرائيل من قلة الدعوات إلى الدول العربية - يدركون أن فى أيديهم حق فيتو على كل لفتة عربية تجاه إسرائيل. إذ يكفى أن يشارك ممثل حماس فى مؤتمر لكى يتسبب فى انتقاص نصيب إسرائيل. أعتقد أن زعماء حماس لم يكن يتوقعون مثل هذا الإنجاز الدبلوماسي.. إن الحجة المتزمتة التى تسوقها "ليفني"، والقائلة بأن إسرائيل لن تذهب إلى أماكن تدعى إليها منظمات إرهابية، لا يمكن قبولها فى هذه الحالة. إذ يذهب إلى قطر ممثلو دول صديقة لإسرائيل، كما أن هذا المؤتمر يقام تحت رعاية الأمم المتحدة، التى تعد إسرائيل عضواً فيها، والتى تلتزم بالتوصيفات التى تحدد من هى المنظمة الإرهابية.. وهذه هى ذات الدول (يقصد الدول الصديقة لإسرائيل) التى تواصل معظمها مقاطعة حماس لنفس الأسباب التى بسببها بالضبط تقاطعها إسرائيل.

كان من الأفضل لو أن "ليفني" كرست مزيداً من الوقت لإمعان النظر قبل اتخاذها مثل هذا القرار.



ليبرمان: "يجب الفصل بين اليهود والعرب على غرار التجربة القبرصية"

يديعوت أحرونوت ٢٠٠٦/١١/٥

للمرة الأولى منذ تعيينه كوزير، أجرى "أفيجدور ليبرمان" رئيس حزب "يسرائيل بيتينو" (إسرائيل بيتنا) مقابلة مع الصحافة الأجنبية، أشار فيها إلى أن الفصل التام بين اليهود والعرب - بما فى ذلك عرب إسرائيل - هو السبيل الوحيد لإحراز السلام. وفى المقابلة الصحفية التى نشرت صباح اليوم فى صحيفة "صنداى تليجراف" البريطانية، دعا ليبرمان إلى محاكاة النموذج القبرصى والفصل بين أصحاب القوميات المختلفة.

وأشار الوزير الجديد إلى أن وجود أقلية عربية فى دولة إسرائيل يمثل "مشكلة"، وأنه يجب الفصل بين القوميتين، قائلاً: "لقد أقمنا إسرائيل كدولة يهودية، وإننى أسعى للحفاظ على طابع الدولة كدولة يهودية وصهيونية".

وتطرق ليبرمان إلى المستعمرات بقوله إنه لا يعتزم تأييد إخلاء مستعمرات. وعلى حد قوله، فإن هدفه هو الحفاظ على المستعمرات حتى يحين الوقت المناسب من أجل الحصول على مقابل: نقل السكان العرب إلى أراضى السلطة الفلسطينية: "سيمثل الأقليات مشكلة فى كل أنحاء العالم للأبد. وأعتقد أن الفصل بين الشعبين هو أفضل حل، وقبرص هى أفضل نموذج لذلك. قبل عام ١٩٧٤، كان اليونانيون يعيشون إلى جانب الأتراك، وقد أدى هذا إلى احتكاكات وإراقة دماء وإرهاب. وبعد عام ١٩٧٤ تقرر أن يكون جزءاً من الجزيرة للأتراك والجزء الآخر يوناني. وحالياً، يوجد هناك استقرار وأمن".

وعندما أشار الصحفى الأجنبى الذى أجرى الحوار مع ليبرمان إلى أن هذا التغيير تطلب طرد آلاف البشر من منازلهم بالقوة، أجابه الوزير: "هذا صحيح، ولكن النتيجة النهائية كانت تحسن الأوضاع".

وتناول الوزير ليبرمان الخطر الإيرانى بحكم منصبه الجديد كوزير للشئون الاستراتيجية وقال: "يعلن الرئيس الإيراني، فى كل أسبوع، عن نيته للقضاء علينا. إيران هى مركز محور الشر. فهى تشكل خطراً على العالم كله، وإسرائيل ببساطة تقع فى موقع سيء، حيث إننا على خط المواجهة فى حرب الحضارات التى يوشك العالم الحر على مواجهتها ضد الإسلام المتطرف".

فى عام ١٩٧٤ قامت تركيا بغزو قبرص، وإقصاء حاكم اليونان الضعيف. ولم يتوقف الأتراك عند هذا الحد، إنما سيطروا على ثلث الجزيرة الشمالي، مع إجبار ١٨ ألف قبرصى يونانى على الهرب من ديارهم. وفى عام ١٩٨٣ أعلن القبرصيون الأتراك عن إقامة دولة منفصلة، وأطلقوا عليها اسم جمهورية شمال قبرص التركية.

حتى الآن، لازالت تركيا هى الدولة الوحيدة التى اعترفت بهذه الدولة. ومنذ عامين، أجرى استفتاء شعبى فى جزيرة قبرص حول مسألة توحيد شقى الجزيرة، وبينما صوَّت سكان الشمال التركى بالتأييد، فإن الجنوب القبرصى تحديداً هو الذى رفض. ومن بين أسباب ذلك هو الخوف من توافد الجماهير الفقيرة التركية من الشمال الفقير على الجنوب المزدهر. وبعد فترة قصيرة من ذلك، حصلت قبرص اليونانية على عضوية الاتحاد الأوروبي. ومنذ ذلك الحين، أصبحت مسألة قبرص عائقاً كبيراً جداً فى طريق تركيا للانضمام إلى الاتحاد. ومؤخراً هددت قبرص باستخدام حق الفيتو ضد انضمام تركيا للاتحاد إذا استمر الأتراك فى رفض فتح موانئهم البحرية والجوية للسفن والطائرات القبرصية.

◆ الطيبي: "إنه مهاجر غازي"

أعربت وزيرة التعليم، يولى تامير، عن احتجاجها على تصريحات ليبرمان، بقولها: "يجب على الدولة الديموقراطية بوجه عام، واليهودية بوجه خاص، أن توفر مكاناً للأقليات التى تعيش فيها، ويتعين عليها أن تبذل كل الجهد الممكن لإدماجهم فيها من منطلق مبادئ الشراكة والمساواة".

وقد علق أحمد الطيبي، عضو الكنيست عن كتلة "رَعَم - تَعال" (القائمة العربية الموحدة والحركة العربية للتغيير)، على تصريحات وزير الشئون الاستراتيجية قائلاً: "إن تصريحات ليبرمان هى دعوة للتطهير العرقي. فتصريحاته تثبت أن المعنى الفعلى لمصطلح دولة يهودية يحمل معانى تجمع بين التمييز المنهجى وطرد المواطنين العرب. لقد كنا هنا قبل المهاجر ليبرمان، ونحن ملح الأرض، أما هو فليس إلا مهاجر غازي".

كما تطرق رئيس كتلة الاتحاد القومي- المفدال، عضو الكنيست أورى آريئيل، إلى تصريحات ليبرمان، قائلاً: "إن

التصريحات الخاصة بالتهديد الذى يمثله عرب إسرائيل على الوجود المادى للدولة، حقيقية وصادقة. والآن، وبعد أن انضم إلى الحكومة، بقى أمامنا الانتظار لرؤية ماذا سينفذ من خططه للتعاطى مع هذا التهديد".

ومن جانبه، طالب دوف حنين، عضو الكنيست عن حزب حداش (الجبهة الديموقراطية للسلام والمساواة)، رئيس الوزراء، إيهود أولمرت، بإقالة الوزير ليبرمان فوراً بسبب تصريحاته. وعلى حد قول حنين فإن: "الدعوة لفصل العرب عن إسرائيل هى عنصرية سافرة، والقول بأن الأقليات يشكلون مشكلة فى كل مكان فى العالم يندرج تحت بند التصريحات المعادية للسامية التى كانت توجه دائماً ضد اليهود".



الامتناع عن دفع النفقة الزوجية

هاآرتس ٥/١١/٢٠٠٦

يقدر الدين المتراكم على رجال إسرائيليين، كنفقة (زوجية) لم يتم دفعها، بنحو ٢٠ مليار شيكل. الممتنعون عن دفع النفقة مدينون بمبلغ نحو ٢,٥ مليار شيكل أخرى إلى التأمين الوطني، وهى الهيئة التى آلت على نفسها دفع رسوم إعالة الأسر التى هجرها المدينون، بشكل جزئى ومخفض، كى تمكنها من العيش فى الحد الأدنى.

يتعلق الأمر بنفقة لم تعد موضع خلاف، كتلك التى قررتها المحاكم، فيما يرفض الآباء دفعها. لو أن الدولة قامت بتحصيل هذه الأموال، لكان باستطاعتها تقليص آماد الفقر لدى أكثر من ثلث الأسر ذات العائل الواحد فى الدولة، والتى توصف بأنها فقيرة. لكن جهاز التحصيل لا يعمل، ومن ثم يتحول العبء إلى النساء اللاتى تتعامل مع الابتزازات والتهديدات والعنف والإضرار بالأطفال. هناك ١٠٠ ألف ملف من هذا النوع مفتوح فى هيئة تنفيذ الأحكام، وفى كل عام يتم فتح عشرة آلاف ملف جديد. من الواضح أنه ليس هناك شيء أسهل من التهرب من دفع النفقة.

هذا الأسبوع روت إحدى الأمهات قصتها الشخصية لـ"هاآرتس". الحديث يتعلق بأم لأربعة أبناء من القدس استنفدت جميع السبل المتاحة أمامها فى القانون من أجل تحصيل ما تستحقه هى وأطفالها من زوجها السابق. سبق وحصلت الأم على أمر توقيف ضد أبى أبنائها، لكنه هرب عندما استدعت الشرطة. ترفض الشرطة تنفيذ توقيفات من هذا النوع فى الأعياد وأيام السبت، وعندما حاولت الحجز على مدخراته، لم تتعاون شركات التأمين معها. أيضاً فشلت محاولتها لسحب رخصة قيادة زوجها السابق من أجل ممارسة ضغط عليه.. هذه القصة، كما أسلفنا، هى واحدة من آلاف القصص.

قبل عامين، تم تشكيل طاقم خاص لبلورة مشروع قانون يعالج موضوع تحصيل النفقة، فاقترح إقامة مركز قطرى للتحصيل ومنحه صلاحيات واسعة، مثل منع الخصم الضريبى وإعادة ضرائب إلى من هم مدينون بنفقة، وإلغاء جوازات السفر، وحظر الاشتغال بتصريح حكومي، وتقييد الحسابات البنكية، وسحب بطاقات الائتمان...الخ. واستندت الاقتراحات إلى نماذج من الولايات المتحدة واستراليا، حيث سلطات الدولة مسئولة عن تحديد المدينين والعثور عليهم، إذ لا يُتوقع من المرأة أن تمشى ومعها أمر توقيف فى يدها، أو أن تستدعى الشرطة عندما تعثر على المدين.. ولكن ما حدث أنه تم حفظ تقرير تلك اللجنة وتم تشكيل لجنة أخرى. جديرٌ بالذكر أن صاحب مبادرة اللجنة الجديدة هو وزير العدل "حاييم رامون"، الذى أراد توحيد عملية تحصيل النفقة المقررة من قِبل المحاكم وتيسيرها.

من المهم أن نذكر أنه ليس كل الرجال بالفعل قادرين على دفع النفقة المقررة عليهم، ورغم ذلك فإن قضاة مدنيين وشرعيين لا يأخذون فى الاعتبار وضعهم الاقتصادي. وفى المقابل، يدعى رجال كثيرون أنهم بلا عمل من أجل أن تعفيهم المحكمة من عبء الإعالة.

إن تكلفة مركز التحصيل، التى تضع نساء آمال على إقامته، ليست أكثر من ١٥ مليون شيكل، وهو مبلغ ضئيل مقارنة بحجم الدين المتراكم.. نأمل ألا ترفض الحكومة الإصلاح المرجو فى مجال تحصيل النفقة، وألا تنسى آلاف الأسر التى تعانى من الدين المتضخم.

٤

تغيير اتجاه فى مواجهة الأسد

هاآرتس ٢٠٠٦/١١/٧

سيجتمع رئيس الحكومة، "إيهود أولمرت"، يوم الاثنين القادم، مع الرئيس الأمريكي، "جورج بوش"، فى البيت البيض فى "واشنطن". سيكون اللقاء فرصة جيدة لأن يعلن "أولمرت"، أنه يدعو الرئيس السوري، "بشار الأسد" إلى الشروع فوراً فى محادثات سلام مع إسرائيل.

منذ تم وقف إطلاق النار فى لبنان، قبل حوالى ثلاثة أشهر، و"الأسد" يكرر الإعلان عن رغبته فى استئناف محادثات السلام مع إسرائيل، بهدف إعادة هضبة الجولان إلى سوريا. ورافقت عروضه تهديدات من "دمشق"، بأن الجولان سيتحرر بالعنف إذا لم يتم التوصل إلى تسوية.. ومن جانبه رفض "أولمرت" كل مناشدات "الأسد" رفضاً باتاً وقدم لذلك جملة من المبررات: أن الجولان ينبغى أن يبقى فى حوزة إسرائيل، وأنه لا يؤمن بأن سوريا ستطرد من أراضيها قيادات الإرهاب الفلسطينى أو ستكف عن تسليح "حزب الله"، حتى وإن حصلت على الجولان، وأن إجراء محادثات مع "الأسد" سيستنهض ضغطاً دولياً على إسرائيل كى تتفاوض أيضاً مع حماس، وأنه إذا فشلت المفاوضات – ومن المنطقى أن نفترض أن ذلك سيحدث – فإن خطر الحرب سيزداد.

"أولمرت" ليس الوحيد الذى يتبنى هذا الموقف.. فقد أظهر استطلاع "هاآرتس ديالوج" الذى نشر يوم الجمعة الماضي، أن قلة ضئيلة فقط من الجمهور (١٦٪) تؤيد إجراء محادثات مع السوريين. كذلك الإدارة الأمريكية، التى أبدت فى الماضى اهتماماً بالغاً بتحقيق تسوية إسرائيلية سورية، تقاطع اليوم "الأسد".. أضف إلى ذلك أيضاً فرضية يضعها جيش الدفاع الإسرائيلي، تعزز المبررات السابقة، تقول بأن سوريا ستبدأ حرباً مع إسرائيل فى الصيف القادم.

من ثم، وفى ظل وضع كهذا، فإن الواجب القومى للقيادة السياسية يتمثل فى استنفاد السبل الدبلوماسية لمنع الحرب، التى لن تربح إسرائيل منها شيئاً، بل قد تكلف الجانبين قتلى ودماراً هما فى غنى عنه، وفى نهايتها ستتجدد المفاوضات حول "إزالة سبب الحرب" وإعادة الجولان إلى السوريين.

يعبر "أولمرت" منذ صعوده إلى الحكم عن نفور من إجراء مفاوضات مع السوريين والفلسطينيين. لكن رغم تفسيراته، القائلة بأنه "لا يوجد شريك" على الجانب الفلسطينى ولا توجد سلطة مسئولة فى الحالة السورية، وأن النظام فى "دمشق" ليس ودوداً مع إسرائيل، بل ومقرب من ألد أعدائها (يقصد إيران) – رغم ذلك، فلا ريب فى أنه يهيمن على سوريا وينفذ بحرص اتفاق الفصل بين القوات فى الجولان. وعلى الرغم من التحالف الاستراتيجى له (يقصد الأسد) مع إيران، فإنه لا يشاطر "محمود أحمدى نجاد" دعواته بإبادة إسرائيل، وإنما يدعو إلى تفاوض وإلى تسوية.

إن رفض عروض السلام السورية، بدون إجراء حتى فحص ونقاش معمقين حولها، رفضاً باتاً، هو عدم مسئولية ودعوة إلى الحرب القادمة. إن ثمن التسوية مع السوريين، أى الانسحاب من الجولان، معروف وصعب على الإسرائيليين أن يهضموه، لكن "أولمرت" لم يفعل حتى الحد الأدنى الحيوى من الفحص الدبلوماسى وعرض المطالب المشروعة لإسرائيل من سوريا، من تسويات تتعلق بالمياه والأمن والتطبيع، مثلما فعل خمسة رؤساء حكومات سابقين أجروا مفاوضات مع "الأسد" الأب.

إن الزيارة الوشيكة لرئيس الحكومة إلى الولايات المتحدة هى فرصة جيدة لتغيير موقفه ولأخذ زمام المبادرة فى هذا الشأن، بتنسيق مسبق، بالطبع، مع الإدارة الأمريكية.

٥

مم يخاف الحاخامات..؟

هاآرتس ١٢/١١/٢٠٠٦

ثمة مغزى واحد واضح من إلغاء المؤتمر الدولى للحاخامات، الذى كان يعتزم، الأسبوع الماضي، مناقشة مشكلة المحرومات من الطلاق والوسائل الشرعية لحل المشكلة، الا وهو أن هذه المحنة الإنسانية القاسية، والتى تعانى منها نساء متدينات كثيرات، لا تعنى المؤسسة "الحريدية" (الأرثوذكسية) فى شيء، على الأقل طالما أن موقفها يتحدد من خلال توجيهات "مفتى العصر"، الحاخام "يوسف شالوم إلياشيف"، الذى ألغى المؤتمر.

لقد كان هذا المؤتمر على وشك الانعقاد فى ظل ظروف مثالية بالنسبة للمؤسسة الدينية: فالدعوة إلى عقده جاءت من الحاخام الأكبر، "شلومو عمار"، وكل المشاركين فيه كانوا حاخامات وقضاة شرعيين أرثوذكسيين، وحُظرت، بناء على طلب الحاخام "إلياشيف"، مشاركة نساء ومنظمات نسائية فيه. وإذا كانت المؤسسة الدينية عاجزة حتى فى مثل هذه الظروف عن الالتئام وبحث الموضوع، فإنه من الواضح إذاً أنه لا ينبغى البحث عن الخلاص فى إطارها. ومن ثم، فإن قرار منظمات المحرومات من الطلاق بعقد مؤتمر بديل هو إذاً خطوة فى الاتجاه الصحيح، خاصة أن هناك دراسات تشير بوضوح إلى أن ثمة حلولاً شرعية (يقصد حلولاً من الشريعة اليهودية) واضحة لمحنة المحرومات من الطلاق.

ويبدو أن هذه الحلول تخيف الحاخامات الذين عملوا على إلغاء المؤتمر. فهم يفضلون التشدد فى هذه المسألة خوفاً من أن تؤدى الضغوط على الزوج إلى اعتبار الطلاق "مصطنعاً"، بدلاً من التشدد فى الاهتمام بالكرامة المتهنة للنساء وبضرورة حل محنتهن على وجه السرعة.

لهذه القضية خلاصتان: الأولى على الصعيد التنظيمي، فإذا كان زعماء الحاخامية الكبرى - فى هذه الحالة الحاخام "شلومو عمار" - عاجزين عن التصدى لضغوط خارجية، وعن بلورة سياسة مستقلة، فإن كل هذه الهيئة تصبح زائدة (يقصد أنها تصبح عالة على الدولة)، إذ يستطيع المواطنون الإسرائيليون المتدينون الحصول على الخدمات الدينية التى يحتاجونها من السلطات المحلية، وسيكون من الممكن التجادل حول مواقف الشريعة مع بلاط الحاخام "إلياشيف" مباشرة. الخلاصة الثانية، أكثر جوهرية: فكثيراً ما يشكو الجمهور الدينى من "المساس بالشكل اليهودى للدولة"، والذى تمثل فى نظره، ضمن أمور أخرى، فى النسب المتزايدة للزواج المدنى، وفى عدم الاحتياج إلى خدمات الحاخامية بشكل عام.

حقاً، هذا القطاع من الجمهور الذى ليس لديه استعداد من ناحية المبدأ لأن تنظم مؤسسة دينية، حتى وإن كانت معتدلة وليبرالية، شئونه الشخصية للغاية، مثل الزواج والطلاق - هذا القطاع آخذ فى التزايد. ولكن إذا كانت المؤسسة الدينية ترغب فى إقناع ذلك القطاع العريض من الجمهور، على الأقل الذى ليس له مثل هذا الموقف المبدئي، فإنه يتحتم عليها أن توفر حلولاً للمحن الإنسانية التى تتجلى فى مشاكل الأحوال الشخصية، وعلى رأسها مشكلة النساء العالقات (اللاتى هجرهن الزوج بدون طلاق) والمحرومات من الطلاق. وإذا لم تفعل ذلك، فإن مصير انفراد المؤسسة الأرثوذكسية بهذه المجالات يكون قد قضى عليه بالزوال من العالم.

من المتوقع إذاً أن يبدو "انتصار" الحاخام "إلياشيف" فى إلغاء مؤتمر المحرومات من الطلاق على أنه انتصار باهظ الثمن، فهو سيُقرِّب فقط نهاية الهيمنة الأرثوذكسية على مجالات الأحوال الشخصية. ومن الممكن منذ اليوم التحدث عن وضع فيه فصل فعلى بين الدين والدولة، بعد أن أصبح بإمكان الناس إيجاد حلول، فى معظم الحالات، "تلتف على الحاخامية". وما من شك أن خنوع الحاخام الأكبر "عمار" لإملاءات الحاخام "إلياشيف" سيُعجِّل بتحويل هذه العملية إلى وضع قانونى شرعي.

٦

إسرائيل فى عقد الانهيار الاجتماعي

هاتسوفيه ١٥/١١/٢٠٠٦

نشر بالأمس مركز "أدفا" للمساواة والعدالة الاجتماعية فى إسرائيل نتائجه، عقب تحليل الموازنة العامة لإسرائيل، وقد أوضحت النتائج أن "هذا هو العقد الضائع للمجتمع الإسرائيلي".

"لو جمعنا كل الاستقطاعات، يمكننا أن نقر الآن بأن العقد الحالى يبدو كأنه عقد الانهيار الاجتماعي"، هذا هو ما ورد فى التقرير السنوى الصادر عن مركز أدفا الذى عرض بالأمس التحليل السنوى لمشروع الموازنة العامة لإسرائيل لعام ٢٠٠٧ . يقدم مركز أدفا للبحوث، الذى ينشط فى مجال المساواة والعدالة الاجتماعية فى إسرائيل، للسنة العاشرة على التوالي، تقريره، الذى تدل نتائجه على انخفاض شديد فى الأموال المرصودة لمعالجة المشكلات الاجتماعية، ذلك ما نشرته صحيفة "يديعوت أحرونوت" كعادتها سنوياً، وقد أجرى مركز أدفا هذا العام مؤتمراً خاصاً لعرض نتائج هذا التقرير.

الادعاء الرئيسى الذى طُرح خلال المؤتمر مفاده أن العقد الأول من القرن الحادى والعشرين سيُسجّل فى التاريخ على أنه "العقد الضائع للمجتمع الإسرائيلي". وهذا الاعتقاد يستند إلى حقيقة أن ميزانية ٢٠٠٧، مع التوقعات الخاصة بميزانية ٢٠٠٨، تقوم على استقطاعات فى الخدمات الاجتماعية، وذلك فضلا عن الاستقطاعات التى حدثت فى السنوات ما بين ٢٠٠١ و٢٠٠٤ . فعلى سبيل المثال، وصل معدل إنفاق الفرد عام ٢٠٠١ إلى ١٣٣٠١ شيكل، بينما فى عام ٢٠٠٧ بلغ ١١٦٧٩ شيكلاً - وهو ما يمثل انخفاضاً بنسبة ١٢٪.

وقد حصل رئيس المؤتمر الذى عُرضت فيه نتائج التقرير، عضو الكنيست حاييم أورون، على هذا التقرير اليوم. وبالإضافة إلى أورون، كان هناك عدد قليل من أعضاء الكنيست يشاركون فى هذا النقاش المهم، من بينهم يوسى بيلين (حزب ميريتس)، دوف حنين (حزب حداش - الجبهة الديموقراطية للسلام والمساواة) وستاس ميسجنيكوف (يسرائيل بيتينو). وقد غاب عن النقاش أعضاء كنيست آخرون يُفترض أنهم ينتمون إلى الأجندة الاجتماعية.

وعقب الأحداث الدموية التى وقعت الصيف الماضي، تطرق التقرير لحرب لبنان الثانية وتداعياتها على الوضع الاقتصادى. وقد صرح الوزير عَمير بيرتس مؤخراً أنه رغم أنه يطالب بزيادة ميزانية الدفاع بسبب الحرب، إلا أن هذا لا يعنى المساس التلقائى بالميزانية الاجتماعية. ويعتقد مركز أدفا أن أمنية وزير الدفاع لا تمت بصلة للواقع، حيث تقدر وزارة المالية تكلفة الحرب بـ١٣-١٤ مليار شيكل، وقد قررت الحكومة أنه سيتم توفير هذا المبلغ عام ٢٠٠٧ عن طريق زيادة الميزانية المرصودة للإنفاق وكذلك عن طريق الاستقطاعات من ميزانية الخدمات الاجتماعية".



لو أن السنة هى ١٩٣٨

هاآرتس ١٩/١١/٢٠٠٦

"السنة هى ١٩٣٨، إيران هى ألمانيا، وهاهى على وشك أن تسلح نفسها بسلاح نووي" هكذا قال "بنيامين نتنياهو".. هذا الكلام، الذى أذيع فى كل أرجاء العالم، بدا وكأنه بداية حالة من عدم ضبط النفس (المقصودة) استدعى فيها رئيس حكومة سابق كى يقول ما لا يرغب أن يقوله رئيس حكومة حالى بنفسه. ولكن هل هذا حقاً ما حدث الأسبوع الماضي..؟ أم أن "نتنياهو" جهَّز خطاباً ثاقباً يعيده إلى الوعي، ويُظهر، من خلاله، أنه يدرك خطورة القنبلة الإيرانية أكثر من رئيس الحكومة الذى يشغل المنصب..؟

من حق الجمهور أن يحصل على إجابات للأسئلة التالية: ما الذى تفعله الحكومة الإسرائيلية باستثناء الثرثرة حول التهديد الإيراني..؟ ومَنْ الذى يعالج الموضوع بالفعل..؟ ما الذى حدث لمنتدى رؤساء الحكومات الذى كان من المقرر أن ينعقد بشكل دائم وأن يتشاور بشأن كيفية مواجهة التهديد الآخذ فى التبلور على الأرض..؟ وهل يتحدث كل من "نتنياهو"، "إيهود باراك" و"إيهود أولمرت" بوجه عام مع بعضهم بعضا، أم أن لقاءً واحداً كان كافياً لخلق التأثير الإعلامي، وكل واحد الآن يستخدم الموضوع لأغراضه السياسية وحسب..؟.

من الصعب أن ننظر بجدية للتهديد الإيراني، ونحن نرى رئيس الحكومة يضع أمر معالجة الموضوع، الذى يصفه بأنه الأهم للغاية على جدول الأعمال الأمني، فى يد الشريك الجديد والصغير فى الحكومة "أفيجدور ليبرمان". ما الذى يفعله "ليبرمان" بالضبط فى وزارة التهديد الاستراتيجي..؟ ما هى صلاحياته..؟ ولماذا طلب "أولمرت" من مسئولين كبار فى إدارة "بوش" الاجتماع مع "ليبرمان"..؟ أليس هذا موضوعاً ينبغى على رئيس الحكومة فقط أن يتحدث بشأنه مع الرئيس الأمريكي..؟!.

الأسبوع الماضى أدلى كل من "إفرايم سينيه"، "أولمرت" و"نتنياهو" بتصريحات ذات لهجة جديدة، واتسمت بنغمة استهدفت إثارة المخاوف والشكوك، حول موضوع كان يُناقش فى الماضى فى الغرف المغلقة. ذهل الجمهور حينما قرأ تلك التصريحات، فتوقيتها لم ينبع على ما يبدو من تفكير مرتب، وإنما من مجرد تصادف مناسبات ألقيت فيها خطب مؤثرة. الشعور السائد لدى الجمهور هو أنه لا يوجد سياسة فى أى مجال، وإنما ردود أفعال فقط.

إن الجمهور لا يرغب فى الإطلاع على تفاصيل سياسة الحكومة الإسرائيلية فى مواجهة إيران، ولا بالتأكيد على المبادرات العسكرية، إن كانت هناك مبادرات عسكرية، ولكن فى الوقت نفسه من حقه أن يعرف إن كانت هناك سياسة فى هذا الشأن أم لا، وما هو تقسيم الأدوار..؟ ليس من الجدير أن نترك هذا التوضيح (يقصد توضيح هذه الأمور) للجنة تحقيق فى اليوم التالى (يقصد بعد أن تحدث إخفاقات مثل تلك التى حدثت فى حرب لبنان الأخيرة). ينبغى على من يطلق تصريحات مخيفة أن يأخذ فى الاعتبار العواقب التى قد تنجم عنها. فربما تجعل هذه التصريحات من إيران مشكلة يهودية بدلاً من كونها مشكلة عالمية، وربما تجعل من التهديدات الإسرائيلية مصدر قلق متزايداً، خاصة فى ظل التصريحات البلاغية المضادة الصادرة عن "طهران".

نأمل، بغض النظر عن استطلاعات الرأي، أن تكون هناك بقايا من المسئولية والفطنة، لأن اختيار "ليبرمان" وزيراً مسئولاً عن إيران هو علامة على التنصل من هذه المسئولية.



الاهتمام وليس التدخل

هاآرتس ٢٠٠٦/١١/٢٣

يضع اغتيال وزير الصناعة اللبناني، "بيير الجميل"، منظومة القوى السياسية الهشة فى لبنان أمام اختبار صعب. ليس فقط لكون الأمر يتعلق باغتيال سياسى - فقد كان هناك العديد من مثل هذه الاغتيالات فى تاريخ هذه الدولة - ولكن التخوف هو من إمكانية أن تقرب أية عملية اغتيال جديدة لبنان من تجدد حرب أهلية ستخرج عن نطاق السيطرة.

لقد وقع الاغتيال فى الوقت الذى كانت فيه حكومة "فؤاد السنيورة" فى وضع من شأنه أن تفقد فيه قدرتها على فرض سلطتها، وبذا يحدث فراغ سياسى - على غرار ذلك القائم فى السلطة الفلسطينية وفى العراق.. ولكن لبنان لم تصل بعد إلى مثل هذه المرحلة. فلديها مؤسسات حكم وقوى سياسية مؤثرة، تعترف بقيمة الديموقراطية وتريد مواصلة التمسك بها من أجل إحداث تغييرات. وهى أيضاً نموذج فريد من نوعه فى الشرق الأوسط، تمنح فيه الدولة، بمبادرة منها، حقوقاً متساوية لأبناء جميع الطوائف والأديان. وبذا، تستطيع أن تكون نموذجاً يحتذى.

أيضاً دلت ردود أفعال الشخصيات العامة والمواطنين فى الشارع على اغتيال "الجميل"، ليس فقط على تخوف من حدوث حرب أهلية، وإنما أيضاً تطلع إلى تحاشيها بأى ثمن. لذا من الممكن أن نفترض، أنه رغم عمليات الاغتيال فى الدولة، فإن الخمس عشرة سنة التى مرت منذ نهاية الحرب الأهلية فى لبنان قد أرست أسساً راسخة من التقدير للعملية الديموقراطية والاستعداد للتعاون الوطيد بين الطوائف والحركات السياسية. والدليل على ذلك، أن جميع التيارات فى لبنان ليست مستعدة بعد لقبول مبدأ عمليات الاغتيال كوسيلة مشروعة لتحقيق إنجازات سياسية.

لكن لبنان على ما يبدو لا يستطيع أن يصمد وحده كالسد المنيع، ويحتاج إلى مساعدة دولية فعالة. وقد أوضح رئيس الحكومة "فؤاد السنيورة" أول أمس ما هو نوع المساعدة المطلوبة: تشكيل محكمة دولية على وجه السرعة، تحاكم المشتبه بهم فى اغتيال رفيق الحريرى وضحايا اغتيالات أخرى. يؤمن "السنيورة" بأن التلكؤ فى تشكيل هذه المحكمة قد شجع قتلة "الجميل" على الظن بأن كل شىء ممكن.

ومن ثم، لا يجدر بالمجتمع الدولى أن يظل غير مبالياً تجاه هذا المطلب. وكذلك إسرائيل لا يجب أن تتظاهر باللامبالاة إزاء هذه التطورات فى لبنان، وبخاصة عندما يكون من شأن هذه التطورات أن تحدث تغييراً سياسياً فى الدولة الجارة وأن تشعل مرة أخرى بؤرة حرب. وإن كان من اللائق إقامة جدار فاصل عال ومحكم بين الاهتمام الحذر تجاه ما يحدث فى لبنان وبين التدخل فى شئونه.

هذه لحظة قابلة للانفجار، ينبغى فيها على إسرائيل أن تساعد لبنان على تهدئة أعصابها. ومن شأن وقف الطلعات الجوية الاستفزازية فى سماء لبنان، والإعلان عن الاستعداد للتفاوض حول الانسحاب من مزارع شبعا، وحتى الإعلان عن الاستعداد للتفاوض مع "بشار الأسد"، أن يكون إسهاماً حقيقياً لتقليل إمكانية تأجج الموقف فى لبنان.

◆ ترجمات عبرية ◆

١

تداعيات توسيع الائتلاف الحكومي

بيرتس سيستمر فى التأهب

هاتسوفيه ٢٠٠٦/١٠/٣٠
بقلم: موطى زيفت

لم يفاجئ قرار اللجنة المركزية لحزب "العمل" أمس أحداً. فقد أدرك الحزب والقائم على رأسه أن الخروج الآن من الحكومة هو بمثابة ضربة قاصمة لصورة الحزب التى هى أساساً سيئة للغاية، علماً بأنه أيضاً، على الجهة المقابلة، لا يضمن الجلوس المشترك لحزب "العمل" مع "أفيجدور ليبرمان"، حول طاولة واحدة، طول العمر للحكومة.

يكفى أن نذكر الـ"خلل" الذى كان فى بداية طريق الحكومة، برئيسها "أولمرت"، وزعيم حزب العمل "بيرتس"، خاصة حول مسائل الكرامة، حتى نقدر بأن جلوس "ليبرمان" مع "بيرتس" حول نفس طاولة الحكومة سيزيد من فرص تقصير أيام الحكومة. وربما ما يؤكد ذلك أنه ليس عبثاً أن "بيرتس" قد أوضح فى خطابه أمس أن "ليبرمان" لن يكون له موطئ قدم فى وزارة الدفاع.

فى حزب العمل، من المحبذ، من وجهة نظر جماهيره، الانسحاب على خلفية مشاكل اجتماعية، وسيكون هناك من سيجدون الفرصة للضغط من أجل ذلك. لقد انتصر "عمير بيرتس" أمس فى معركة، لكن المعركة بداخل حزب العمل ما تزال أمامه. ففى الأيام القادمة ستبدأ المناقشات المكثفة حول ميزانية ٢٠٠٧، ولا تنوى "شيلى يحيموفيتش" ولا "أفيشاى برفرمان"، عضوا حزب العمل فى لجنة المالية بالكنيست، جعل حياة الائتلاف الحكومى سهلة، على الرغم من أن حزبهما قرر البقاء شريكاً فيه. كما أن "أوفير بينيس" أشار فى خطابه أمس إلى أنه ينضم إلى المتنافسين على زعامة حزب العمل.

على أية حال، لقد أزاح قرار الأمس صداعاً من رأس "أولمرت"، الذى استطاع توسيع ائتلافه ليبلغ ٧٨ مقعداً.. لكن ما يجب أن يعيه "عمير بيرتس" هو أنه إذا نام أثناء الحراسة داخل حزبه، فإنه قد يجد نفسه فى الخارج.

ليبرمان يتحول إلى غير ذى صلة

هاتسوفيه ٢٠٠٦/١١/٧
بقلم: نيتسان كيدار

قال وزير البنى التحتية، "بنيامين بن اليعيزر" من حزب العمل أمس أن الوزير "أفيجدور ليبرمان" شخصية غير ذات صلة. إذا ما فكرنا جيداً فى هذا الكلام سنرى أن الوعى بأنه محق جداً فى هذا التحفظ يتسلل شيئاً شيئاً (يقصد يتسلل حتى يصبح قناعة)، فليبرمان يتحول إلى غير ذى صلة. قال "بن اليعيزر" هذا الكلام إلى زملائه فى الحزب، خلال جلسة الكتلة التى عقدت أمس بعد الظهر، وأضاف: "أتوسل إليكم الا تبذلوا جهداً وطاقة فى الانشغال بهذا الإنسان غير المهم وعديم التأثير".

ومن جانبه، إذا كان "ليبرمان" يعتقد أن هذه هى الوسيلة لكى يتصدر العناوين (فى الصحف ووسائل الإعلام)، فهو مؤكد مخطئ.. فالكلام الذى قاله لصحيفة بريطانية هذا الأسبوع والذى مفاده وجوب الفصل التام بين العرب - بما فى ذلك عرب إسرائيل - واليهود، حتى يتحقق سلام هنا، يضعه فى وضع

إشكالي، حيث لا أحد يصدقه فى اليمين، لكونه انضم إلى حكومة "أولمرت" بدلاً من أن يحاربها من الخارج، ولا هناك فى اليسار من يؤيد موقفه على كل الأحوال، وحتى رئيس الحكومة سبق وتنصل من كلامه.. لذا، يحول "ليبرمان" نفسه بهذا الكلام إلى غير ذى صلة، لأنه يبدو كممثل لليمين، الذى لا يرغب فى أن يكون ممثلاً له، فى حكومة لا مكان فيها له ولآرائه. كما أن المنصب الذى حصل عليه يبدو مفتعلاً بعض الشيء، خاصة فى ضوء حقيقة أن الأمر يتعلق بمنصب ليست له صلاحيات حقيقية.

لقد أثار "ليبرمان" عليه الأغلبية الصامتة، لمجرد أنه يرى من المهم بالنسبة له أن يقول شيئاً فى الإعلام العالمي، رغم علمه علم اليقين بأنه ليس ثمة فرصة لأن يتبنى أحد فى هذه الحكومة، وكما يبدو أيضاً فى الحكومات القادمة، شيئاً من موقفه.

ولكن، كما هو معروف، فإن صنع عناوين (فى الصحف ووسائل الإعلام) لا يكلف مالاً. ولكن بهذا، فإن الوزير الوحيد الذى يمثل بصورة ما اليمين فى الحكومة، وضع نفسه موضع سخرية، وأظهر إلى أى مدى يمكن أن يكون موقفه واهماً.

إن الموقف الذى يعرضه "ليبرمان" تجاه الجمهور العربى جيد فقط من أجل الكلام وليس من أجل تنفيذه على الأرض. لقد كان دخول "ليبرمان" إلى هذه الحكومة خطئاً. الآن هو يفعل كل شيء من أجل أن يسمعه أحد من داخل هذه الحكومة، التى ستفعل كل ما يعارضه هو فى نهاية الأمر. فهى لن تغير نظام الحكم مثلما أراد، وستخلى بؤراً استيطانية ولن تصادق على عقد الزواج الجديد المقترح.

إن "ليبرمان"، كما سبق وكتبنا هنا فى الماضي، قد دخل الحكومة مقابل ثمن بخس وربما حتى أقل. فليست له وزارة تنفيذية، وسائر رفاقه فى الكتلة بقوا فى مكانهم وخسروا حتى مناصب فى لجان كنيست لا يستطيع أعضاء الائتلاف الحكومى رئاستها.

يبدو أن "ليبرمان" أراد أن يخرج منتصراً، ولكنه خرج، حتى الآن، خاسراً من كل زاوية تنظر إليها. هل سيترك الحكومة..؟ ليس هذا خياراً يدرسه. كما أن "أولمرت" على استعداد لأن يسمح له بأن "يشاغب" قليلاً على الحساب، ولكن عندما سيحتاج أصابع حزبه فى الكنيست للتصويت على إخلاء بؤر استيطانية، فإنه فى هذه اللحظة سيحصل على أصواتهم (يقصد لأنهم قبلوا من البداية الانضمام للائتلاف الحكومى وأن كل شيء له مقابل يجب دفعه) والأهم أنه سيعيد الكتلة الحزبية (التى وصلت الآن إلى ٧٨ عضواً) إلى الانضباط الذى يريده.

فوق الحكومة والكنيست

هاآرتس ٢٠٠٦/١١/١٥
بقلم: باروخ كمرلينج

منذ أشهر، والجيش الإسرائيلى يجتاح أراضى الضفة الغربية والقطاع بشكل منهجي، ويعتقل أو يغتال "مطلوبين"، ويقوم بعمليات عسكرية لا تخلف وراءها سوى مئات القتلى "المسلحين" أو "المدنيين"، فضلاً عن الدمار والخراب الذى يلحق بالبنى التحتية.

إذا كان يمكن بالكاد تبرير هذا القتل والدمار فى غزة بأنه نتيجة لإطلاق صواريخ القسام وعمليات التهريب عند محور فيلادلفي، فإن حملات الاعتقال والقتل فى الضفة لا يوجد لها أى مبرر "أمني"، خاصة عقب وقف العمليات الانتحارية.

من الواضح أن السياسة الفعلية التى ينتهجها أولمرت وعَمير بيرتس لا تخدم سوى هدفين يترتب كل منهما على الآخر: الأول هو منع الفلسطينيين من إقامة دولة ذات سيادة قادرة على الحياة، وفى الوقت ذاته كسب الوقت لترسيخ وجود المستعمرات. والهدف الثانى هو إشعال نيران الكراهية والرغبة فى الانتقام لدى الجانبين، من أجل إثبات النظرية التى تقول "لا يوجد شريك".

إذا كان الأمر يتعلق فعلاً بسياسة متعمدة وموجهة، فالسؤال المطروح هو مَنْ ومتى وكيف صدر قرار بانتهاجها..؟ هذا هو السؤال الأكثر أهمية من التحقيق فى مختلف جوانب حرب لبنان الثانية، والذى يترتب عليه السؤال: مَنْ يحكم إسرائيل فعلياً..؟.

الانطباع الذى يتكون من ذلك هو أن مركز صناعة القرار لا يوجد فى المؤسسات المنتخبة، وإنما يقع فى أيدى فئتين منغلقتين لا يتحكم فيهما أحد، وهما اللتان تديران فعلياً السياستين الاجتماعية والأمنية فى إسرائيل:

الفئة الأولى تتكون من مسئولى وزارة المالية، وهى مجموعة من خبراء الاقتصاد المحترفين المؤمنين برسالتهم فى المجتمع، المتمثلة فى الدفع بعجلة التنمية وتحقيق الرخاء الاقتصادي. ليس لديهم مصالح شخصية، ولكن من وراء اعتباراتهم المهنية توجد أيديولوجياً ليبرالية جديدة راسخة، هى التى اغتالت دولة الرفاه.

وتتغير قوة الفئة الثانية الحاكمة فى إسرائيل - المؤسسة الأمنية - بين الحين والآخر، وتتكون هى الأخرى من مجموعة محترفين تحتكر الخبرة والمعرفة. وكلما ضعفت الزعامة المدنية، كلما تزايدت قوة هذه الفئة. ففى حربى لبنان الأولى والثانية، على سبيل المثال، رصد الجيش شدة ضعف القيادة المدنية واستغلها فى الدفع بمصالحه الخاصة.

ولا داعى للإشارة إلى أن الجيش لديه مصالح متنوعة أكثر من موظفى وزارة المالية، بما فى ذلك احتياجات مادية تمكنه من إقامة جهة بمثابة دولة داخل الدولة. وهناك حاجة لوجود الجيش تتمثل فى الدفاع عن الدولة ومواجهة التهديدات الخارجية، وإذا لم تكن هناك تهديدات واضحة من الممكن اختلاقها، من خلال عقد تحالفات خفية مع جماعات سياسية مدنية - مستعمرين ودينيين قوميين أو يمين علمانى متطرف.

قبل انتخابات ٢٠٠٦ انحرف الحوار العام بعيداً عن القضايا الأمنية ليتركز على القضايا الاجتماعية. وكان هذا الانحراف أمراً لا يحتمل بالنسبة للمؤسسة العسكرية، التى استطاعت بسهولة أسر ساسة متوسطى المستوى وعديمى الخبرة، وقادتهم نحو مغامرة لازالت مستمرة حتى يومنا هذا.

لا تتجه النية للحديث هنا عن نظرية المؤامرة، فالأمر يتعلق بنتيجة حتمية لتركيبة مؤسساتية فاشلة وبنية تحتية أخلاقية معيبة فى أساسها تساق إسرائيل إليها منذ عقود. والأسئلة التى نطرحها مرة أخرى: "مَنْ يحكم إسرائيل فعلياً..؟ وكيف..؟ وما هى شبكات الاتصال بين النخب الحاكمة المستفيدة من وجود هذا النظام..؟" يجب دراستها دراسة وافية.. فكل الأخطاء والجرائم التى رأيناها تنبع مؤخراً من هذه الأسئلة الأساسية.

جايدماك: رئيس الوزراء أم رئيس الأركان..؟

هاتسوفيه ٢٠٠٦/١١/٢٢
بقلم: يشعياهو أشبل

ليس جيداً لمن يعتقدون أنفسهم ساسة من الفريق القومى لدينا (يقصد أعضاء الائتلاف الحكومي) أن يكون هناك "سخى شهير"، مثل "أركادى جايدماك"، يُجهز على آمالهم فى الاستحواذ على الرأى العام. والأدهى من ذلك شعور الاستمتاع الذى انتاب ناخبيهم السابقين، وهم يرون هذا الثرى وهو يجردهم من ملابسهم ويجعلهم عراة، ويبدون كفاشلين ومخطئين دائمين.

لماذا يتساءلون: مَنْ يكون هذا الجايدماك الذى تدخل بوقاحة فى بواطن أمور الحكومة..؟ وكيف يستطيع إقامة مدينة مخيمات للاجئين من صواريخ الكاتيوشا ويصرف إجازات استجمام لضحايا القسام على نفقته الخاصة ودون تمويل من الحكومة ودون مناقشات وزارية ومؤتمرات وجلسات، وتعيين مدراء وتشكيل لجان رئيسية ولجان فرعية، وكأنه لا توجد حكومة..؟.

إن هذا التصرف يحرج النظام الديموقراطى الوحيد فى الشرق الأوسط، ولا يلحق ضرراً برئيس الوزراء البائس فحسب، وإنما أيضاً بموظف حزب العمل (المقصود بيرتس)، الذى هب فوراً للمطالبة بإجراء تحقيق بمعرفة الشرطة والنيابة لمعرفة من أين له بهذا المال حتى يهدره هكذا بلا حساب.

وهذا يجسد مقولة دان حالوتس، رئيس أركان الطرد (المقصود إخلاء جوش قطيف)، أن هناك من يقومون بالعمل وهناك من يسقطون بدلاً عنهم.. وهو ما يدعو للتفكير فى إعادة هيكلة حكومية تقوم على "محك اختبار" حقيقي، بشرط ألا يقترب رجل كهذا من منصب وزير دفاع، وبالتالى ألا يصبح رئيساً للوزراء.. ولكن، على العكس، يبدو أن جايدماك هذا يقترب من تلك المناصب المنشودة. وإن لم يكن الأمر كذلك، فإنه على الأقل يقترب من منصب رئيس الأركان. فإذا كان محك الاختبار هو المهارات الأساسية، وبناءً على نتائج اختبار مهارات "رئيس أركان الطرد" (يقصد أن إخفاق حالوتس فى إدارة حرب لبنان الأخيرة أثبتت أنه بلا مهارات)، ما هو الضرر الذى قد يحدث لو تم استبداله بجايدماك..؟ ألا يستحق الأمر التجربة..؟ على أية حال لن يكون هناك ما هو أسوأ.

واستكمالاً لأوجه القصور والفشل، تنشغل الحكومة والجيش الآن بتبادل الاتهامات بشأن المسئولية عن صواريخ القسام التى مازالت تحلق فى سماء المنطقة. وسواء هؤلاء أو أولئك، كل منهما رفض فى الوقت الحاسم أن يفهم الحافز من إطلاق صواريخ القسام الذى أفرزته خطة فك الارتباط. ولم يبق الآن سوى حرب العميان فى ساحة يسودها الصمم السياسى ومجموعة متنوعة من الحماقات المتأصلة.

إن إنجازات كهذه (الكاتب يسخر من الحكومة)

تدفع المجنون الجديد فى طهران للعمل بجدية ضدنا، حتى إنه من خلال استخفافه بقوة الردع الإسرائيلية، يعطى لنجوم الحكومة درجة "راسب".

إن الأسئلة التى تطرح نفسها بقوة هنا هي: ماذا نفعل وأركادى جايدماك هو الشخص الذى أدهشنا بإنجازاته، والوحيد الذى صمد تماماً أمام محك الاختبار..؟ ماذا عن تخويل هذا الثرى على الأقل بمسئولية الجيش..؟ هل تقولون أننى أُصبت بالهذيان..؟ هذا ليس أخطر من ترك الجيش فى أيدى "رئيس أركان الطرد"، أو وجود مجموعة تشمل وزير دفاع فاشل ورئيس وزراء ضل طريقه.. إن جايدماك على الأقل اجتاز بامتياز محك الاختبار. فما العمل وقد فشلوا هم فى اجتيازه..؟ مرة أخرى أطرح السؤال: ماذا عن إعادة الهيكلة..؟.

أولمرت ضد الجميع

افتتاحية هاآرتس
٢٠٠٦/١١/٢٢

لقد سمح "عَمير بيرتس" لنفسه، بالمخالفة لقواعد الإدارة السليمة، بأن يتحدث مع رئيس السلطة الفلسطينية حول وقف إطلاق نار فى غزة. الحديث هنا يدور عن وزير دفاع دولة إسرائيل، الذى من المفترض أنه منوط بتحقيق الأمن، بما فى ذلك وقف إطلاق صواريخ القسام، فكيف يتحدث مع من يهددون هذا الأمن..؟! هكذا يتحدثون داخل الائتلاف.

لقد قوبل الاستعداد الذى أعربت عنه "حماس" لوقف إطلاق النار باستخفاف فى إسرائيل، فقط لأنه تمخض عن حديث تليفونى بين "محمود عباس" (أبو مازن) و"بيرتس" بوساطة من "محمد بركة" (عضو كنيست ومن زعماء عرب إسرائيل).. إن ما يبدو من هذا الخلاف التافه على الصلاحيات حول نجاح لم يولد بعد، يهتم فى الأساس بإنقاذ أرواح، يدل على فشل فى معالجة موضوعات ملحة مع تركيز مفرط فقط على المكانة، فى الوقت الذى نحن فيه فى حاجة إلى زعامة متعاونة ومسئولة.

يبدو عدم رضاء "إيهود أولمرت" عن المبادرة الذاتية لـ "بيرتس" وكأنه عدم رضاء مزمن لرئيس الحكومة عن جميع المحيطين به، بما فى ذلك أشخاص عيَّنهم هو نفسه فى مناصبهم، ومن المفترض أن يدير الدولة بمساعدتهم.. فإذا كان مقدراً أن يتم تغيير وزير الدفاع، فعليه أن يغيره. وإذا كان القائم بأعمال وزير العدل لا يروقه، فقد كان يتعين عليه أن يختار للمنصب شخصاً آخر. وإذا كان "أفيجدور ليبرمان" ليست له صلاحية فى الشئون الاستراتيجية، كما تم التلميح، فلم يكن ينبغى على الإطلاق وضع الموضوع بين يديه.

يقول رئيس الحكومة أن الحكومة ليست ناد للنقاشات المفتوحة، وبذا فإنه يدفن كل مبادرة سياسية يتم طرحها، حتى وإن كان من يطرحها هو وزيرة الخارجية، التى من المفترض أن جزءاً رئيسياً من مهامها هو رسم السياسات.

إن إطلاق صواريخ القسام على إسرائيل لا يتوقف، بل على العكس قد يتطور ويصل أيضاً إلى مناطق شمالية أكثر من "سديروت" و"عسقلان". والمحادثات عن وقف إطلاق النار، أياً ما كان المتحدث، هى ضرورة حتمية. لا يمكن تحصين كل دولة إسرائيل، بيتاً بيتاً، وفصلاً فصلاً، ضد تهديدات من الشمال والجنوب، ولا يمكن ضمان أمن المواطنين عن طريق تطوير وشراء المزيد والمزيد من منظومات السلاح، التى هى فى حد ذاتها قد تكون مصدراً لقلق الجمهور.

ونظراً لأن القيام أيضاً بعملية عسكرية واسعة النطاق فى غزة، كما توصى المعارضة بشدة، لن يمنع استئناف العمليات العدائية بوسائل جديدة، فإنه ينبغى السعى بلا توقف وبلا كلل نحو وقف إطلاق النار، إذ لا يمكن وقف استخدام السكاكين والانتحاريين، وصواريخ القسام والأنفاق عن طريق سياسة الاغتيالات والدبابات، وإنما عن طريق الاتفاقيات فقط.

ينبغى توافر ما هو أكثر من القدرة على البقاء فى المنصب من أجل قيادة دولة إسرائيل. على رئيس الحكومة أن يشكل طاقماً وزارياً يثق فيه ويمنحه وضعاً مميزاً وصلاحيات واسعة. أما حسابات المقربين مع المقربين فليست بسياسة.. لقد مر عام، ومضت حرب، ولا يوجد حتى الآن شعور بأن الحكومة تحكم.

ما كان يجب عمله فى الربيع، لا يمكن عمله فى الشتاء

يديعوت أحرونوت
٢٠٠٦/١١/٢٦
بقلم: سيفر بلوتسكر

أعضاء فى حزب العمل ومحللين فى الإعلام يطالبون عَمير بيرتس بالاستقالة من منصبه كوزير للدفاع، وآخرون يوصونه بالمطالبة بدلا من الدفاع بحقيبة المالية. وبيرتس، هكذا يكتبون، "اختار منصب الدفاع من أجل الشهرة"، وعليه الآن أن يتركها فورا.

لقد تذكرتم متأخرين، يا أصدقائى وصديقاتي. فقد كانت وسائل الإعلام تتحدث جميعها تقريباً، إبان تشكيل الائتلاف الحكومي، وبصوت واحد: بيرتس جيد للدفاع، بيرتس سيء للمالية. بل وأن محللين ومختصين توحدوا آنذاك معا تحت شعار "يجب أن يكون وزير الدفاع شخص مدني"، وشرحوا ذلك لبيرتس وأكدوا بأن حقيبة الدفاع جيدة بالنسبة له. الدفاع، وليس، لا سمح الله، المالية.

والآن، صحف كثيرة تطالب، ومن خلال مقالات وقحة، أن يُقدِّم بيرتس استقالته. والتبرير الأساسى الذى يساق فى هذه المقالات اقتصادى - اجتماعي، مفاده أن عَمير بيرتس كوزير للدفاع، هكذا يدعى مؤيدو التعيين، يمكن أن يقلص عشرات المليارات من الشواكل فى ميزانية الدفاع وأن يحولها لمحاربة الفقر.

كان لدى رأى مختلف فى ذلك، وهو ما كان يوصف برأى الأقلية.. لقد كتبت كثيرا بأن بيرتس لا يصلح لأن يكون وزيرا للدفاع، وسجلت ذلك فى الصحيفة حتى بقولي: "هيا، عَمير بيرتس تنازل عن وزارة الدفاع وعن الجيش". وحذرته بأن الكثير من المحللين والمعلقين الأصدقاء "يُجهِّزون له مصيدة قد لا يتمكن من الخروج منها"، و"سيبيعونه فى سوق لن يقوى على الصمود فيها".

هناك ثلاثة أشخاص، من الذين يقودون توجها واضحا فى هذه المسألة، هم: محافظ بنك إسرائيل البروفيسور ستانلى فيشر، ومدير بنك هبوعليم شلومو نحما، ورجل الأعمال بنى جيئون - قالوا فى محاضرات أكدوا فيها أن بيرتس يمكن أن يكون وزيرا جيدا للمالية، بل ربما يكون جيدا جدا، للمالية نعم، ولكن ليس للدفاع.

لكن بيرتس لم يُرِّد الإصغاء لأحد، وادعى آنذاك بأن ليس لديه مناص، لأن كاديما لن يتنازل له أبدا عن حقيبة المالية، وأنه كوزير للدفاع ربما يشق طريقا إلى رئاسة الحكومة. ولكن حقيقة الأمر أن كلا الادعاءين لم يكن يصلحا للنقاش. فبالنسبة لأولمرت لم يكن لديه مفر إلا من تشكيل حكومة مع حزب العمل، ولو أن عَمير بيرتس أصَّر على قبول حقيبة المالية كشرط لا يتنازل عنه لهذا الائتلاف، لكان قد فاز بها. أما بالنسبة للادعاء السياسى بأن تلك كانت الطريق لرئاسة الحكومة، فإن هذا الادعاء كان يمكن أن يأخذه ويمر به عن طريق المالية ربما أكثر من طريق الدفاع، ويكفى أن يسجل فى سيرته الذاتية ذلك الفوز، ويكفيه أيضاً أن ينظر حوله إلى سيرة الوزير فؤاد بن اليعيزر أو موشيه آرنس ليفهم كم فعل كل منهما حين كان وزيرا للدفاع وما هو حالهما الآن.

لقد أخطأ بيرتس عندما قبل بحقيبة الدفاع، ولكن أولمرت كان خطأه لا يقل عن ذلك، عندما وافق على منحه تلك الحقيبة. ومع تشكيل الحكومة تنبأت ربما مع كثير من الآخرين بأن وظيفة بيرتس كوزير للدفاع لن تكون سهلة، وهذا ما أظهرته الأيام، وأنه من الأفضل له أن يتخلى عن الدفاع لمصلحة وزارة لها علاقة بالاقتصاد والمجتمع (فى المرة الأخيرة كان ذلك فى السابع من أكتوبر). الأشخاص الذين دفعوا بيرتس ليأخذ حقيبة الدفاع يفسرون رأيهم الذى تغير، "بعد أن خسرنا فى حرب لبنان" وحتى يثبتوا أنهم يسيرون وراء نسب الاستفتاءات الشعبية، والتى بموجبها يعتقد ٧٠ فى المائة وحتى ٨٠ فى المائة من الإسرائيليين بأن بيرتس ليس أهلاً للوظيفة.

بالنسبة "للخسارة" في لبنان، فإنني سأقتبس من مقال للصحفى ناحوم برنياع نشر مؤخراً فى المجلة الأمريكية المعروفة "فورين بوليسي": "إسرائيل لم تنتصر انتصارا حاسما فى حربها ضد حزب الله، ولكنها أيضاً لم تخسر.. وعلى الرغم من النقد الشديد الذى وُجِّه إلى تنفيذ الجيش الإسرائيلى لواجباته، فإن إسرائيل أحرزت بعض الأهداف الأساسية، منها إبعاد أفراد حزب الله من جنوب لبنان وإضعاف تأثيره وقدرته العسكرية العامة. لكن الرأى العام فى البلاد كان يتطلع إلى أكثر من ذلك". وماذا الآن..؟ التواجد الحالى لعَمير بيرتس فى وزارة الدفاع انتهى، ومهما كانت خطاباته حول ذلك، فقد انتهى.

إنه يستطيع المكوث أكثر فأكثر لبعض الوقت، وأن يعرج بجناحين مصابين، ولكن هل سيستطيع فى هذه الحالة الانتقال إلى وزارة المالية..؟ أعتقد أنه لا يستطيع. فبالنسبة لكيفية أداء عمله فى وزارة الدفاع والتقديرات السلبية الكبيرة على أدائه لهذه الوظيفة، لا يوجد الآن أى خيار آخر سوى تعيينه وزيراً للمالية. إن عملية كهذه تعتبر نوعا من المخاطر الفورية اللازمة لتحقيق الاستقرار الاقتصادي.

ليس لدى أى شك بأنه لو قبل بوزارة المالية فى حينه، قبل ثمانية أشهر، فإنه كان سينجح فى أدائه للوظيفة، ولكن الآن فإن ما كان مرغوبا ومطلوبا له لأن يفعله فى الربيع، لم يعد مرغوبا ومطلوبا فى الشتاء. ثمانية أشهر فى السياسة الإسرائيلية تعتبر زمنا طويلا، وفترة كبيرة جدا. وأولمرت وبيرتس قد تعلم أحدهما من الآخر بأن الطريق إلى ذلك وتحقيق ما يريدانه بات طريقا صعبا.

◆ترجمات عبرية◆



زيارة أولمرت لواشنطن

المواطنون يشعرون بالقلق

هاآرتس ١٤/١١/٢٠٠٦
بقلم: ألوف بن

تعهد رئيس الحكومة إيهود أولمرت بأن زيارته لواشنطن لن تسفر عن عناوين كبيرة ومبادرات سياسية جديدة، وقد أوفى بوعده. فلم يقدم لقاءه القصير مع الرئيس جورج بوش، الذى استغرق ٤٥ دقيقة فقط، أكثر من التوضيح بأن رئيس الحكومة إيهود أولمرت ليس وحده الذى يعانى من حالة تخبط، وإنما يشاركه فى ذلك الرئيس بوش.

لقد ظهر عنوان مهم خلال اللقاء يتعلق بالأوضاع فى العراق. فقد أعلن أولمرت أن الحرب فى العراق أدت إلى الاستقرار فى المنطقة وأسهمت إسهاماً إيجابياً فى استقرار الوضع الاستراتيجى لإسرائيل والدول العربية المعتدلة. وينضم شكر أولمرت العلنى لبوش على غزوه للعراق إلى دعوته العلنية قبل أيام، والتى عارض فيها الانسحاب الأمريكى السريع من العراق. وهكذا، يكون رئيس الحكومة قد تخطى القيود التى فرضها رئيس الحكومة السابق، آريئيل شارون، على التصريحات الإسرائيلية فيما يتعلق بالأوضاع فى العراق، حيث كان شارون دائماً ما يخشى أن يتم اتهام إسرائيل وأنصارها اليهود داخل الإدارة الأمريكية بأنهم ورَّطوا واشنطن فى المستنقع العراقى من أجل تحقيق مصالح إسرائيلية.

والآن، يقف أولمرت على رأس المعارضين للخروج من العراق.. وموقفه لا يفتقد إلى المنطق، فإسرائيل ومجموعة دول "المحور المعتدل" العربي، تفضل وجود جيش أمريكى فى العراق، حتى لو كان منهكاً، على دولة شيعية متطرفة تعمل تحت رعاية إيران، وعلى خروج إرهابيين محنكين إلى كل المنطقة. لكن بمجرد أن صرح بذلك علنية، فإن أولمرت يكون قد انضم إلى جانب بوش فى الجدل السياسى الداخلى الدائر فى الولايات المتحدة، حيث يعارض الزعماء الديموقراطيين بالكونجرس الحرب فى العراق، وهو السبب الذى حقق لهم الفوز فى انتخابات التجديد النصفى الأخيرة (الكاتب يريد أن يقول أن أولمرت بهذا التأييد لبقاء القوات الأمريكية فى العراق قد انحاز لموقف الجمهوريين على موقف الديموقراطيين، وهو ما قد تكون له آثار سلبية فى المستقبل، خاصة إذا فاز الحزب الديموقراطى فى انتخابات الرئاسة الأمريكية القادمة).

ويأمل بوش أن يكتفى الديموقراطيون بالفوز الذى حققوه الأسبوع الماضي، ويخففوا الآن من حدة مطالبهم بالخروج من العراق. وقد قال لأولمرت: "لقد فاز حزب المعارضة. والآن هم يدركون أن الفوز يلقى بالمسئولية على كاهلهم". بوش بالطبع يقصد، حسبة بسيطة، أن الديموقراطيين سيبدأون الآن الاستعداد لخوض الانتخابات الرئاسية لعام ٢٠٠٨، ولو أنهم أيَّدوا الهروب السريع من العراق، ستكون الأزمة التى ستقع هناك من نصيب الرئيس الديموقراطى الذى سيخلف الرئيس بوش. ولذا، فهم يفضلون العمل الآن من أجل التوصل لصيغة تفاهم مع الجمهوريون.

لقد التقى بوش بالأمس مع أعضاء لجنة بيكر المعنية ببلورة استراتيجية جديدة للعراق. وكان من المقرر أن يوفروا حلول لحالة التخبط التى يعانيها، وأن يعرضوا موقف ثنائى يخفف من حدة الخلاف السياسى فى أمريكا. وتفيد الأنباء التى تم تسريبها بأن جيمس بيكر سيدعو إلى حوار مع إيران وسوريا، فى محاولة للتخفيف من حدة تصرفاتهما المتطرفة، وإن كانت هذه الفكرة مازالت محل خلاف فى واشنطن.

وقد كان كبح جماح التهديد الإيرانى على رأس جدول أعمال لقاء أولمرت وبوش، حيث صرح رئيس الحكومة كعادته بأنه يشعر بالرضاء عن هذه الجزئية

من الحديث، وإن لم يكن السبب واضحاً. وفي المؤتمر الصحفي، بدا الرئيس بوش غير ملتزم عندما أعلن أنه يجب على العالم بأسره التصدي لإيران. وهذا يعني أن مسئولية فرض عزلة وعقوبات اقتصادية على الإيرانيين ملقاة على عاتق الروس وأوروبا، وليس على أمريكا بمفردها.

وفي إحدى الأجزاء المهمة من الحديث، تحدث الزعيمان عن مشكلاتهما السياسية. فقد أبلغ بوش أولمرت بفوز الديموقراطيين في الكونجرس، بينما تحدث أولمرت عن توسيع الحكومة. وقد طلب أولمرت من كبار مسئولي الإدارة الأمريكية لقاء أفيجدور ليبرمان في زيارته المقبلة لواشنطن الشهر القادم. وقال أولمرت: "لن يقابله الرئيس بوش، ولكن شخصيات أخرى".

بلا أجندة وفخور بذلك

معاريف ١٤/١١/٢٠٠٦
بقلم: باراك رافيد

"لا ينبغي النظر إلى كل زيارة لواشنطن بأنها ستسفر عن تطورات دراماتيكية" ذلك ما قاله رئيس الحكومة إيهود أولمرت في المؤتمر الصحفي بعد لقاءه بالرئيس الأمريكي جورج بوش في البيت الأبيض. وبالفعل، فاللقاء مع بوش والزيارة الحالية بوجه عام لم يشهدا أي حادث درامي.

والاعتقاد السائد هو أن هذا حادث هامشي ومبالغ فيه، وربما يكون ذلك نتيجة لغياب أجندة سياسية واضحة المعالم. ففي الطائرة المتجهة إلى واشنطن، لم يحاول أولمرت إخفاء ذلك. فقد قال: "لقائي مع الرئيس بوش ليس نتيجة لجدول الأعمال، وإنما كجزء من زيارتي للولايات المتحدة لحضور المؤتمر السنوي للجاليات اليهودية. ولذا، فسوف نلتقي في طريقنا مع الرئيس".

لا يبدو أن هناك ما يقلق أولمرت، لا الجمود السياسي، ولا التمزق المتزايد داخل قيادة الجيش الإسرائيلي. حتى فيما يتعلق بالشأن الإيراني يبدو هادئاً، فقبل ستة أشهر، خلال زيارته الأولى للبيت الأبيض، أكد على مدى رضائه عن الموقف الأمريكي فيما يتعلق بالقضية الإيرانية. ويمكن سماع النغمة ذاتها أيضاً في هذه الزيارة، لكن عندما يُطلب منه تفسير سبب هذه الثقة، يجيب بصورة مقتضبة، حيث صرح أولمرت للصحفيين: "لا أرغب في مواجهة إيران. لقد خرجت بانطباع غريب من لقائي بالرئيس بوش بعد حديث طويل عن الشأن الإيراني".

لقد وصلت الأنباء حول استقالة العميد جال هيرش إلى واشنطن، حيث يوجد رئيس الحكومة إيهود أولمرت. وقد أجاد أولمرت حينما أبلغ الصحفيين عن شجاعة هيرش، وعن التقدير البالغ الذي يكنه لمن وقف على خط الجبهة في حروب إسرائيل، كما أعرب عن أسفه لاستقالته. لكننا، في الوقت نفسه، لم نسمع موقفه الحقيقي في حروب الجنرالات العسكريين، ولا في الأزمة الطاحنة في الجيش على مستوى القيادة. وقد قال أولمرت: "لا أعلم بأمر التقرير الذي أصدره دورون ألموج، وأعتقد أن رئيس الأركان يعالج هذه المسألة، وأثق أن الأمور ستنتهي بعد انتهاء المناقشات داخل الجيش".

◆ يبدو أن رئيس الحكومة يؤمن بالغموض المطلق:

لم يكن تقرير دورون هو الشيء الوحيد الذي لم يطلع عليه أولمرت على حد قوله. فهو لم يطلع أيضاً على الحديث الذي أدلى به نائب وزير الدفاع إفرايم سينيه لصحيفة "جيروزاليم بوست" وصرح فيه بتصريحات حادة بخصوص الشأن النووي الإيراني، ولا على المقالات الصحفية الأمريكية التي تناولت زيارته لواشنطن. وهناك شيء واحد يتذكره أولمرت: التصريحات التي أدلى بها في المقابلات التي أجراها في الفترة الأخيرة. وبخبرة محامي محترف، كان يقتبس تلك الأقوال ويصحح للصحفيين.

بوجه عام، كان يبدو أن رئيس الحكومة لم يهتم بالحديث عن القضايا السياسية، أو على الأقل الإدلاء بتصريحات جديدة. عندما سأله الصحفيون عن قضايا محل خلاف مع الإدارة الأمريكية، مثل تحليق طائرات الاستطلاع في سماء لبنان، والنشاط العسكري في غزة، كانت إجاباته جاهزة ومقتضبة. وقد قال: "لقد تحدثنا عن فرض حظر على لبنان ومراقبته، وكل ذلك تم في ظل مناخ متفق عليه".

إن الغموض يغلف تصريحات رئيس الحكومة. وقد برز ذلك أيضاً في القضية الفلسطينية، حينما قال أولمرت دون تفسير: "هناك أفكار كثيرة نتحدث فيها مع الأمريكيين بشأن القضية الفلسطينية. إننا على استعداد لبذل جهود كبيرة لدعم القوى المعتدلة داخل السلطة الفلسطينية، لاسيما في ظل حالة التوتر مع حماس.. لدينا أفكار متنوعة، لكننا لم نوضح كل هذه الأفكار".

الشيء المؤكد هو أن رئيس الحكومة إيهود أولمرت يرفض تماماً عقد مؤتمر سلام دولي، وقد أكد على ذلك، قائلاً: "لن يكون هذا بديلاً عن المفاوضات المباشرة مع الفلسطينيين. فلا بديل عن الاتصالات المباشرة، ولا أعتقد أن محاولة مؤتمر مدريد تشجع مثل هذه الأمور في المستقبل. أما إذا كانت هذه مجرد محاولة لتحريك الأمور، فسوف نفكر فيها".

أبواب منزلقة فى واشنطن

هاآرتس ٢٠٠٦/١١/١٦
بقلم: ألوف بن

مثلما حدث فى فيلم "الأبواب المنزلقة" (Sliding-Doors) الذى يتناول تطوران محتملان لسيناريو واحد، يمكننا بنفس الطريقة فهم الزيارة القصيرة التى قام بها رئيس الوزراء، إيهود أولمرت، لواشنطن بطريقتين مختلفتين. وكل ذلك رهن الإجابة على سؤال: كيف نقوم بتقييم أولمرت.. هل هو رجل أعمال حاذق وداهية، أم قائد حائر وتائه..؟.

السيناريو الأول: المتحايل.. على مدار العقود الأربعة الماضية، يتعاطى زعماء إسرائيل مع الزعم بأن تصريحاتهم بشأن السلام هى غطاء زائف للسيطرة على المناطق (الفلسطينية). فى الخارج يتحدثون عن حل وسط، وفى الداخل يبنون المزيد من المستعمرات، حتى جاء أولمرت وقال لبوش فى شهر مايو الماضي: خذوا ٩٠٪ من الضفة الغربية مجاناً، المهم أن تدعونا ننسحب بهدوء. فانسحاب آريئيل شارون أحادى الجانب من غزة أعطى مصداقية لفكرة الانطواء. ومنذ ذلك الحين، رُفع الضغط عن إسرائيل، حيث قَبل "العالم" ادعاء أولمرت بأن حماس ليست شريكاً فىَ أى شيء، وألقيت "الكرة" الشهيرة، المتمثلة فى المسئولية عن الجمود السياسي، فى وسط الملعب الفلسطيني.. وتوصل أولمرت حينها إلى "حيلة العمر"، فقد صدّق بوش وقادة آخرون على رغبته فى إنهاء الاحتلال والانسحاب من المناطق (الفلسطينية)، رغم أنه لم يُخل أى مستعمر، ولم يدفع أيضاً ثمن الانشقاق الداخليَ والأزمة السياسية التى رافقت عملية فك الارتباط مع غزة، فى الوقت الذى نشطت فيه حركة البناء فى الكتل الاستيطانية.

عاد أولمرت هذا الأسبوع إلى واشنطن وهو يشعر برياح التغيير. وكل المؤشرات تشير إلى أن إدارة بوش تبلور سياسة جديدة فى الشرق الأوسط، حيث يتحدث الجميع عن التغيير (يقصد التغيير الذى حدث فى الكونجرس الأمريكى بفوز الديموقراطيين فى انتخابات التجديد النصفي، وهو ما سيؤثر بدوره على السياسة الأمريكية تجاه الشرق الأوسط)، عن الانسحاب من العراق، عن الحوار الأمريكى مع إيران وسوريا، وعن التدخل الجديد بين إسرائيل والفلسطينيين. وقد قال أولمرت "لا" لأى تغير فى الموقف الأمريكي، محذراً من الانسحاب المتسرع من العراق، ومعارضاً التفاوض مع سوريا، كما طالب بإخافة إيران، ورفض المؤتمر الدولى مُصرًا على اعتراف الحكومة الفلسطينية بإسرائيل.

هكذا يتصرف التاجر الشاطر: يُخفض الأسعار عندما يكون الطلب منخفضاً، ويرفعها عندما يزداد. ومن ثم، ستلزم المواقف الأولية المتشددة، التى طرحها أولمرت على بوش، الإدارة الأمريكية بالتوصل إلى تفاهم مع إسرائيل على أى تحول فى السياسة الأمريكية. وهكذا، يستطيع أولمرت طرح مطالب مضادة، والحصول على مقابل بدلاً من التنازل المسبق.

السيناريو الثاني: الفاشل.. فقد سافر أولمرت فى زيارة لا لزوم لها لأمريكا، وهو مضروب وجريح من الحرب فى لبنان، فضلا عن تراجع شعبيته فى استطلاعات الرأي، والاتهامات الموجهة إليه بالفساد فى الداخل.. على أية حال، كم هو لطيف أن يهرب المرء لعدة أيام من المشاكل الداخلية، كما أنها فرصة لتعزية بوش على هزيمته فى انتخابات الكونجرس واللقاء بكبار المتبرعين فى الجالية اليهودية.

وخلال رحلته لواشنطن، اتضح لأولمرت أن الإدارة الأمريكية غيَّرت قواعد اللعبة، حيث تبحث عن سبيل للخروج من المستنقع العراقى ومن الشلل السياسى فى الشرق الأوسط. وفى ظل غياب خطة أو أجندة خاصة، باستثناء السعى اليومى للبقاء فى الحكم، تشبث أولمرت بمواقف محافظة وطرح قائمة طويلة من اللاءات، وتلخصت مرونته فى قوله "نعم، ولكن"، كالتالي: سيسعدنى لقاء أبو مازن، ولكن دون الاستجابة لمطالبه.. نعم أؤيد الوصول إلى حل وسط مع إيران، ولكن إذا أخافوها فقط.. نعم سأتفاوض مع الأسد، ولكن بعد أن يتغير.

هناك منطق فى هذا التوجه، ولكن يجب أن يعلم أولمرت أن أى انحراف أو تحول عنه قد يشعل جدلاً داخلياً ويزعزع الهيكل السياسى الهش الذى يستند إليه نظامه. كما يجب على أولمرت ألا يخاطر بأمور لا داعى لها، حيث لا يزال الأمريكيون يتخبطون فيما يجب عليهم فعله.

قمة الفاشلين

هاآرتس ٢٠٠٦/١١/١٧
بقلم: يوئيل ماركوس

لو كان من الممكن أن أطلق اسماً على اللقاء الذى جمع بين بوش وأولمرت، لأطلقت عليه "قمة الفاشلين". فكلاهما متورط فى حروب لا مخرج منها، على الرغم من القوة التى تتمتع بها جيوشهما. وكلاهما لديه وزير دفاع يتمتع بالخبرة والثقل (وإن كان هناك تحفظ على قول كاتب المقال بأن وزير الدفاع "عَمير بيرتس" يتمتع بخبرة، حيث إن الانتقادات التى طالت بيرتس، خاصة بعد انتهاء الحرب فى لبنان، كانت تتركز على عدم خبرته كوزير دفاع فى إدارة الحرب). وبينما أطاح بوش بوزير دفاعه، لا يزال إيهود أولمرت يحتفظ بوزير دفاعه كشريك كامل فى حكومته. وكلاهما تورط فى حروب دون التفكير فى النتائج والثمن الذى يتوجب عليهما سداده فى مقابل هذه الحروب. كما أن كليهما موقفه صعب وغير جيد فى نظر الرأى العام.. والدليل على ذلك، أن ٧٢٪ من الجمهور الإسرائيلى يؤيدون الإطاحة بوزير الدفاع ورئيس الأركان، هذا فضلا عن أن شعبية أولمرت بلغت نسبة متدنية مماثلة.

صحيح لم يتبقَ أمام بوش سوى عامين كرئيس للولايات المتحدة، ولكن مازال بإمكانه أن يصحح مساره. وكذلك أولمرت لا تزال لديه صلاحيات لا بأس بها، فهو يستطيع أن يغير سياسته، لاسيما إقالة وزراء وموظفين وجنرالات وكل أولئك الذين أشاروا عليه سلباً، وأن يقوم بتعيين من هم أفضل منهم. ولكن أولمرت أراد أن يقوى موقفه فى إسرائيل، بأن يخلق انطباعاً بأنه يعمل بالتنسيق مع بوش فيما يتعلق بالموضوعين العراقى والإيرانى. وبهذا الشكل، تسبب، بالعكس، فى إحراج الإدارة الأمريكية والجمهوريين والجمهور اليهودى أيضاً.

من شبه المؤكد، فى ظل "النجاحات" التى حققتها القيادة الأمنية فى حرب لبنان وفى بيت حانون، وعدم قدرتها على وقف إطلاق صواريخ القسام (كاتب المقال يسخر من إخفاقات جيش الدفاع الإسرائيلى)، أن وزارة الدفاع الأمريكية أدركت مبكراً ما استوعبه الإسرائيليون مؤخراً من أن الجيش الإسرائيلى لم يعد كما كان.

الأمر الأخير الذى يريده البنتاجون هو أن نساعده فى مجالات، وفى مناطق لا يعرفون هم أنفسهم كيف يتعاملون معها، ولكن كيف يمكن ذلك ونحن لم نتوصل بعد إلى حلول لمشاكلنا..؟.

لقد جاء أولمرت إلى أمريكا، حاملاً معه الصراع الداخلى فى إسرائيل حول مسألة "مَنْ الذى يتحمل مسئولية الفشل فى الحرب..؟". لقد أخطأ أولمرت عندما لم يدعم رئيس أركانه، عندما طالبه ضباط كبار وشخصيات عامة بالاستقالة. وكذلك أخطأ مرة أخرى عندما تراجع واتصل برئيس الأركان، وقال له إنه كان هناك سوء فهم وأنه يسانده ويدعم موقفه بشكل تام. وبذلك، فقد ارتكب أولمرت ما هو أفدح من الخطيئة. من المعتاد فى عالم الرياضة أنه عندما تمنح إدارة فريق ما دعمها بشكل علنى لمدرب الفريق، فإن ذلك يدلل على احتمال إقالته فى غضون أيام. لأنه طالما هو على ما يرام وموقفه جيد، فما حاجته إلى الدعم والمساندة..؟.

إن مسئولية القرار العسكرى غير المدروس بالخروج إلى هذه الحرب يتحملها رئيس الوزراء ووزير الدفاع ورئيس الأركان. وفى ظل جو الكآبة الذى يخيم على أوساط الجمهور، فإن السؤال المؤكد ليس فقط حول ما إذا كان وزير الدفاع قد أدرك وفهم إلى أين يقودنا رئيس الأركان، بل حول ما إذا كان رئيس الأركان قد طرح التساؤلات الصحيحة قبل الموافقة على القيام بهذه العملية أم لا..!!.

على أية حال، وعلى الرغم من عدم إمكانية استقالة أولمرت بدون إجراء انتخابات، فإنه يتحمل مسئولية هذا الفشل كاملاً. وقد يجد نفسه خارج السلطة قبل أن يغادر بوش البيت الأبيض.

أولمرت وحالوتس وسكان الشمال (*)

هاآرتس ٢٠٠٦/١١/١٧
بقلم: يوسى ساريد

عندما استفاد إيهود أولمرت من الغيبوبة التى راح فيها صديقه وشريكه الأكبر منه (يقصد آريئيل شارون) وتم انتخابه رئيساً للوزراء، طرح السؤال: هل أولمرت مؤهل لشغل منصب رئيس الوزراء..؟! وظل هذا السؤال مطروحاً لحين تتحدث أفعاله فقط عن نفسها لصالحه أو ضده، علماً بأن المطلعين ببواطن الأمور أقروا بأن أولمرت يتمتع بذكاء كبير، كما أنه شخصية مهذبة وسياسى فى داخله، مما أضاف لهذا السؤال علامة تعجب فى النهاية.

وها هو قد مر عام تقريباً، وبدأ من جديد، خلال الأسابيع الأخيرة، الشك والارتياب فى أن لدينا رئيس وزراء مترهل لا يتمتع بالذكاء بما فيه الكفاية، الأمر الذى استدعى السؤال التالي: هل أولمرت رجل أحمق..؟.

بدأت تظهر بوادر الشك تجاه أولمرت، خاصة عندما أعلن أن رئيس الوزراء ليس فى حاجة على الإطلاق إلى أجندة يتحرك فى إطارها ومن خلالها. فيكفى أن يستيقظ فى الصباح ويمر يومه بأى شكل من الأشكال، وأن يأمل فقط فى العودة ليلاً إلى منزله بسلام. وتعاظم الشك والريبة تجاه سياسة أولمرت الخارجية أكثر وأكثر، فقد التقى بزعماء العالم، ونافقهم بشكل زائد، وكان يؤكد فى كل لقاء معهم على "اتفاق الآراء والرؤى". وأحياناً كان يُخيل لى أن من يُثنى عليهم أولمرت أنفسهم، أصابتهم الحيرة والارتباك، حيث إنهم أنفسهم لم يكونوا يعرفون أنهم هكذا، كما وصفهم أولمرت، وكم هو جميل أن يعرفوا ذلك منه.

كانت تصرفات أولمرت فى الداخل الإسرائيلى هى الأخرى سبباً فى زيادة الشك والارتياب تجاهه، فقد حاول عدة مرات صرف اهتمام الرأى العام الإسرائيلى عن الحرب ونتائجها، وإن كان لم ينجح فى ذلك.

وتلقى أولمرت هذا الأسبوع دعوة لزيارة واشنطن فقفز مسرعاً إلى البيت الأبيض لزيارة صديقه هناك. كان من الصعب استيعاب وفهم السبب وراء هذه الزيارة الخاطفة، تحديداً فى هذا التوقيت، ولكن أولمرت تصرف بحماقة، حيث قال لمضيفه بوش إن حرب العراق "جلبت الاستقرار للشرق الأوسط"، وتقدم بأسمى آيات الشكر والعرفان لأمريكا وللرئيس على "العمليات العسكرية فى العراق التى أسهمت بشكل كبير وإيجابى فى استقرار وتحقيق الأمن فى المنطقة". وفى رده على سؤال حول انسحاب أمريكى محتمل من العراق، قال أولمرت: "لم ينم إلى علمى أن واشنطن تدرس الانسحاب من العراق".

بدا بوش نفسه مندهشاً من كل موجات الشكر والثناء التى انهالت عليه من قبل أولمرت. فقد درس بوش نفسه خلال الفترة الأخيرة توصيات بالانسحاب من العراق، بل وقيل له إنه خسر الانتخابات بسبب ما يحدث فى العراق. وهاهو ضيف مهذب وذكى يخبره بآخر المستجدات من موقع الحدث. ما الجيد فى الاستماع إلى رئيس وزراء ذكى يتمرغ فى وحل واشنطن ويبدع فى امتداح كل ما يحاول الآخرون إخفاءه..؟!.

لقد قدحت أمريكا كلها، جمهوريون وديموقراطيون، أذهانها من أجل الخلاص من وادى الموت فى العراق: هل نهرب..؟ هل نقوم بزيادة القوات هناك..؟ هل نحدد تاريخاً للانسحاب التدريجي..؟ هل نوافق على تقسيم العراق إلى ثلاثة أقاليم تتمتع بالحكم الذاتى تحكم نفسها بنفسها: شيعية وسُنية وكردية..؟ هل نعيد قادة النظام السابق فى عهد صدام إلى مواقعهم..؟ هل نعيد حزب البعث ونسلمه مستقبل هذه الدولة..؟ هل نتفاوض مع إيران بأن تلتزم بما يسمح ويضمن لأمريكا الفرار..؟ وبينما ترقد أمريكا على فراش المرض، يأتى صانع القبعات من بعيد حاملاً فى رأسه الذكى ما يعيد الطمأنينة للقوة العظمى.

سيعود أولمرت إلى إسرائيل نهاية هذا الأسبوع، وقد تجتمع أسرته يوم السبت ليحكى لهم ما قام به فى هذه الرحلة. وربما تكون ابنته "دانا" أيضاً موجودة وتردد مرة أخرى أمام والدها استياءها من صمته عشية إجراء مسيرة الشواذ. وهو ما قد يذكره بنائب الرئيس الأمريكى ريتشارد تشيني، الذى التقى به أيضاً فى واشنطن فى الزيارة الأخيرة، حيث وقف تشينى ذات مرة إلى يمين ابنته الشاذة مع أصدقائها وطالب بإزالة الظلم الواقع على الشواذ وحقوقهم الكاملة (يبدو أن تشينى حكى لأولمرت هذه القصة أثناء لقائه الأخير به، خاصة وأن دانا ابنة أولمرت، مثلها مثل ابنة تشيني، شاذة جنسياً).

لقد قالوا أيضاً عن أولمرت أنه رجل عائلى متفتح، قالوا عنه ذلك مثلما قالوا عنه إنه رجل ذكى (كاتب المقال يسخر من أولمرت، فكما حاول فى بداية المقال التأكيد على أنه رجل غير ذكى، يسخر منه أيضاً بشأن موضوع شذوذ ابنته بقوله أنه رجل متفتح).

(*) هذا المقال تحدث فيه يوسى ساريد عن ثلاثة موضوعات: أولمرت وزيارته لواشنطن، رئيس الأركان دان حالوتس وإخفاقه فى إدارة حرب لبنان، وأخيراً سكان الشمال والصدمة النفسية التى أصابتهم جراء الحرب الأخيرة فى لبنان والدمار الذى لحق بمنطقتهم.. ولكن نظراً لتصنيف المقالات إلى ملفات، آثرنا أن نكتفى بالجزء الخاص بأولمرت وزيارته لواشنطن، خاصة أنه كان يستحوذ على الجزء الأكبر من المقال.



تداعيات المواجهة بين إسرائيل وحزب الله

النقد يتجاهل إنجازات الفرقة ٩١

هاآرتس ٢٠٠٦/١١/٢
بقلم: عاموس هرئيل

عندما توجه صباح أول أمس كل من رئيس الوزراء ووزير الدفاع ورئيس هيئة الأركان العامة لزيارة قيادة الفرقة ٩١ على الحدود الشمالية، كانت تنتظرهم شاشة عرض إلكترونية تعرض عليهم المعارك التى خاضتها الفرقة أثناء حرب لبنان الثانية. وقد تحدث أحد الحاضرين، مع انتهاء العرض، عن ظهور علامات الدهشة على وجه كل من إيهود أولمرت وعمير بيرتس، حيث تحولت الحرب قلباً وقالباً بشكل مفاجئ. لقد حدثت إخفاقات، إلا أن هناك إنجازات تحققت أيضاً، منها سقوط عشرات من رجال حزب الله قتلى، والدشم التى تم تفجيرها، والوحدات التى سيطرت على المناطق المحدد لها احتلالها، والتقدم حتى ولو كان بشكل متقطع ومتردد، وفقاً لتغييرات المهام التى فُرضت مسبقاً، نحو أهداف محددة.

أصبح العميد جال هيرش، قائد الفرقة، رغماً عنه أحد رموز هذه الحرب الشائكة، حيث سخر المعلقون السياسيون منه واتهموه بتحمل مسئولية التقصير الذى كان السبب فى خطف الجنود فى القطاع الخاص به، وطالب الآباء المكلومون بإقالته من منصبه.

لقد تم تصوير قائد اللواء التابع للفرقة ٩١ (العقيد أمنون إيشيل) فى إحدى المرات، وهو يحكى عن كيفية تهربه من تنفيذ أمر مباشر صدر إليه من هيرش واستجابته لأمر من قائد إحدى الكتائب كان يهمه أن يفقد قائد الفرقة السيطرة على الأمور.

إلا أنه كلما تقدمت التحقيقات، تتكشف تدريجياً صورة أكثر تعقيداً. وقد توقفت موجة الانتقاد الموجه إلى هيرش قليلاً، والتى يرجع سببها فى الأغلب إلى شخصية قائد الفرقة. إلا أن هناك ضباطاً من بينهم يحملون رتبة لواء يدافعون عنه فى الاجتماعات الداخلية التى يعقدها الجيش الإسرائيلى فى الفترة الأخيرة، حيث يقولون إنه الضابط الوحيد الذى كان يتولى قيادة ثمانية ألوية، فهو الوحيد الذى حارب من بداية الحرب وحتى نهايتها. وكانت آخر مرة يتعرض فيها شخص ما لمثل هذه الانتقادات فى عام ١٩٨٢ فى حرب لبنان الأولى.

ينزف هيرش الدماء فى صمت منذ ثلاثة أشهر، أى منذ أن بدأت الحرب. يتعرض قادة الفرق الأربع التى شاركت فى الحرب لانتقادات جماهيرية، بعضها انتقادات حادة، ويحظى هيرش الذى يعتبر أكثرهم شهرة

بأغلبية الانتقادات، إلا أن قادته منعوه من التحدث مع وسائل الإعلام، بدعوى أن التحقيقات لم تنته بعد.

والآن رفع الحظر عنه بعد تقديم النتائج الأولية للتحقيقات. وفى تلك الأثناء يخيم على رأسه وعلى رؤوس رفاقه تهديد آخر، فقد دفعت الانتقادات التى تم توجيهها إلى التعيينات التى لن يتم فى إطارها إقالة قادة الفرق وسيتم تعيين هيرش ذاته رئيساً للواء الاستراتيجى فى هيئة الأركان العامة، دفعت هذه الانتقادات عمير بيرتس إلى إعادة النظر فى مسألة الترقيات. ومثله مثل باقى رفاقه الثلاثة، يعتبر هيرش فى الوقت الحالى أيضاً رهينة ميزان الردع الجديد الذى يريد وزير الدفاع أن يرسخ دعائمه أمام دان حالوتس رئيس هيئة الأركان.

قال هيرش أول أمس لرئيس الوزراء: "هناك فجوة، لا أستطيع التغلب عليها، بين شعور القادة فى الوحدات المقاتلة فيما يتعلق بما حققناه وبين الحالة المعنوية العامة بشأن نتائج الحرب".. وقد قال قادة عدة كتائب لأولمرت كلمات مشابهة: "عندما كنا فى لبنان، اعتقدنا أننا سننتصر، ولكن عندما خرجنا من هناك وشاهدنا التلفاز، اكتشفنا العكس".

تمزق هيرش طوال هذه الفترة بين الرغبة فى البرهنة على مصداقيته، وبين المخاوف من الانجراف وراء الدخول فى حرب لتبادل السباب، حيث آثر التزام الصمت على عكس ما يظهره، وقلل من مسألة اللجوء لأشخاص مقربين ينوبون عنه فى التحدث لوسائل الإعلام، كما امتنع عن توجيه الاتهامات للآخرين، حتى عندما قام ضباط يحملون رتبته ذاتها بكيل الاتهامات له. وقد نُشر أن حالوتس كان يوشك على إقالته، إلا أنه لم يرد أى ذكر عن أن هناك ضباطاً تقدموا ليحلوا محله وقتما كان يحارب ضد حزب الله.

عندما عُرضت التحقيقات على حالوتس، كال المديح للفرقة ٩١ بفضل استعداداتها فى الشهور التى سبقت الحرب. أما هيرش، الذى هاجموه فى الماضي، لأنه "من دعاة الترهيب" بسبب تصريحاته المتوالية حول "اندلاع حرب فى الصيف"، فقد حظى بالاعتراف بقيمة التمارين والتدريبات من أجل المواجهة. ويقول المقدم هوشع فريدمان بن شالوم، نائب قائد لواء مشاه فى سلاح الاحتياط بالفرقة: "صحيح أن هيرش كان شخصاً متطفلا للغاية، كان يتدخل فى أدق تفاصيل حياتنا، لكن بنظرة إلى الخلف نجده قد أعدنا جيداً من أجل الحرب".

تقوم لجنة برئاسة اللواء (احتياط) دورون ألموج بالتحقيق فى قضية خطف الجنود، وهى القضية التى تلاحق هيرش. خط دفاع الفرقة يقع فى مكان لا يحول تماماً دون منع عمليات الخطف، وذلك فى ظل الواقع القائل بأن إسرائيل قد سلّمت بانتشار حزب الله على طول الحدود وفى ضوء تقلص عدد قواتها، خاصة بعد خطف جلعاد شاليط فى قطاع غزة.

اندفع هيرش إلى الأمام منذ اللحظة التى بدأت فيها المعارك البرية، وحث القيادة الشمالية وهيئة الأركان العامة على السماح له بالقيام بالمزيد من العمليات الهجومية. وقال بعض التابعين له أن التدافع إلى الأمام أدى إلى سقوط مصابين. علماً بأن المعركتين اللتين شاركت فيهما الفرقة وتكبدت خلالهما الكثير من الخسائر قد حظيتا بالاهتمام الشديد: معركة مارون الراس والمعركة الأولى فى بنت جبيل.

وتوجه التهمة أيضاً اليوم إلى هيرش بأنه خرج على شاشات التلفاز وتفاخر باحتلال البلدة، حيث قال: "إن قواتى تسيطر على بلدة بنت جبيل"، وهو التصريح الذى حظى بالانتقادات، لأنه بعد مرور ١٢ ساعة على

تصريحه، لقى ثمانية من مقاتلى لواء جولانى مصرعهم فى البلدة. ويتذكر الجمهور هذا التصريح باعتباره تصريحاً كان يتسم بالغطرسة.

بالنسبة لهيرش، وبالرغم من سقوط مصابين، فالمعركة ذاتها لم تكن إخفاقاً، لأن القوات قتلت عشرات من أفراد حزب الله. وهو ينظر إلى المزاعم القائلة بأن هناك مظليون لقوا مصرعهم - لمجرد أن الجيش الإسرائيلى أراد أن يضع راية على أحد المنازل فى بلدة بنت جبيل - على أنها مجرد مهاترات. والحقيقة أن المهمة كانت تقضى بالسيطرة على أحد المواقع المهمة، والاحتياج إلى الراية جاء من منطلق التوثيق فى الحرب الإعلامية (وهذا ما يقوله أيضاً قائد لواء المظليين، العقيد حجاى موردخاي). وحتى عندما هاجم فريق التحقيق، برئاسة اللواء (احتياط) يورام يائير، عدة مظاهر للإخفاق فى الفرقة ٩١، ذكر يائير أن هذه المظاهر تنتشر بقدر كبير فى الجيش الإسرائيلى كله.

على أية حال، حتى إذا انتقل هيرش من الفرقة ٩١ إلى اللواء الاستراتيجي، كما يخطط حالوتس لذلك، فهو بذلك يكون قد استيقظ متأخراً للدفاع عن سمعته الطيبة. وكما يتراءى الأمر فى الوقت الحالي، فإن مكانته فى الجيش الإسرائيلى وبين الجمهور تضررت بشكل سيكون من الصعب عليه أن يفيق منه.

استفزاز في سماء لبنان

افتتاحية هاآرتس
٢٠٠٦/١١/٢

تحلق طائرات سلاح الجو في الأيام الأخيرة، المرة تلو الأخرى، فوق بيروت من أجل التلويح بأن إسرائيل غير راضية عن الوضع السياسي الذي نشأ بعد الحرب ومن عدم تنفيذ القرار الدولي ١٧٠١، الذي توقف بموجبه إطلاق النار في أعقاب قبوله من كل الأطراف.. وربما يعزز الافتراض القائل بأن مثل هذا الاستفزاز في سماء لبنان سوف يدفع مصالح إسرائيل إلى الأمام شيئاً ما - يعزز السياسة الأمنية القائمة منذ سنوات. فقد تحول دوي الطائرات، الذي يخترق حاجز الصوت كنوع من أنواع الإزعاج التهديدي، إلى شبه رسالة استقوائية من المفترض أن تلمح لأن إسرائيل قادرة على ما هو أكثر، لكنها تكتفي في غضون ذلك بالقليل..

لكن حقيقة الأمر، ثمة شك فيما إذا كان ينبغي الاستمرار في التلويح للبنان بماهية قدرات سلاح الجو الإسرائيلي، خاصة بعد أن دُمِّر حي الضاحية في بيروت عن آخره. فقد سبق أن فهمت هذه الرسالة (يقصد من اللبنانيين)، ولكن ثمة شك في أنها حققت نتائج مأمولة، بل إنها ربما حققت حتى نتيجة عكسية، تمثلت في تقوية حزب الله كعنصر هام في المعادلة السياسية اللبنانية.

لن تجد إسرائيل في مثل هذه الطلعات الجوية فوق بيروت ما يساعد "حزب الله" على تبرير مواصلة تسلحه في مواجهة إسرائيل. إن خلق وضع دائم من القتال، بدلاً من وضع دائم من وقف إطلاق النار، يجعل الحياة مريحة أكثر لمن هم معنيون بمثل هذا القتال. كما أن تصفية "حسن نصر الله" يمكن أن تعزز موقف "حزب الله" بدلاً من إضعافه.

يجب أن نكون مدركين لأن هناك أزمة سياسية داخلية تتفاعل في لبنان، من الممكن أن تغير شكل الدولة وأن تدفع بحزب الله ومؤيديه إلى الحكم. هذه نتيجة ثمة شك في أن مدبري الحرب (يقصد الإسرائيليين) فكروا فيها عندما قرروا الرد بقوة على خطف الجنديين. من ناحية أخرى، يقول السكان الشيعة، عقب الحرب، أن حكومة "فؤاد السنيورة" قد أهملتهم ولا تسارع إلى إعادة إعمار الجنوب. وبالطبع هذا الادعاء، بأن الحكومة اللبنانية تتصرف بدون إنصاف تجاه الأقلية الأكبر في الدولة، يعزز موقف المعسكر الشيعي، حتى إن نصر الله يطالب الآن، استناداً إلى هذا الادعاء، بإقامة حكومة وحدة وطنية، يكون فيها لـ"حزب الله" ولمنظمة "أمل" الشيعية تمثيل لائق، ويريد "نصر الله" أن يضم إليها أيضاً ممثلي "ميشيل عون"، الذي يعد موالياً مثله لسوريا. ومن ثم، سيكون بذلك للكتلة الشيعية حق الفيتو على جميع قرارات الحكومة.

في هذا الوضع الحساس، ثمة شك في أن يكون الاستفزاز الإسرائيلي في سماء بيروت عملاً حصيفاً. إن انتهاك السيادة الجوية للبنان هو في حد ذاته مساس باتفاق وقف إطلاق النار. مع ذلك، نحن لا نقول أن تسلم إسرائيل باستمرار بتدفق السلاح من سوريا إلى لبنان. ولكن ما نود قوله أن الطلعات الجوية فوق سماء بيروت هي الآن عنصر مساعد لـ"حزب الله"، وليس العكس.

لدى إسرائيل ما يكفي من الوسائل الدبلوماسية لكي تعبر عن احتجاجها.. فلا ينبغي أن تنظر إلى خرق السيادة اللبنانية باعتباره الخيار الأول.

إسرائيل ولبنان: المعركة الآن على السياحة

يديعوت أحرونوت
٢٠٠٦/١١/٧
بقلم: هيئة تحرير الصحيفة

بالأمس، تم افتتاح سوق السياحة العالمية "World travel market"، الثاني في أهميته ومكانته في العالم في لندن. وقد حظي الجناح الإسرائيلي، الذي روج له وزير السياحة يتسحاق هرتسوج وعارضة الأزياء بار رافائيلي، باهتمام كبير. وعلى بُعد عدة أجنحة من الجناح الإسرائيلي، بذل الجناح اللبناني جهوداً مضنية لإقناع السائحين الأوروبيين بالعودة والاستمتاع في بلادهم.

هذا، وتشارك ٢٠٠ دولة في هذا المعرض الذي سيستمر لمدة أربعة أيام. ويتضمن الجناح الإسرائيلي، وهو أكبر جناح تحصل إسرائيل عليه منذ بداية مشاركتها في المعرض، منتجع "صفا" الذي أقيم على شواطئ البحر الميت ويقدم خدمات عديدة، منها العلاج بالطين والعناية بالوجه ومختلف أنواع المساج.

ويشارك فى الجناح مندوبون من وزارة السياحة ومن ٣١ جهة تجارية (شبكات تسويق، فنادق، شركات طيران، مكاتب سياحية وشركات تأجير سيارات)، وهم يمثلون ٨ مواقع سياحية (القدس، تل أبيب، حيفا وشواطئ الكرمل، إيلات، البحر الميت، بحيرة طبرية، نتانيا، الجليل الغربى وعكا).

وقد صرح الوزير هرتسوج بأن "افتتاح المعرض بعد الحرب مباشرة، وفى ضوء الأزمة التى تعرض لها قطاع السياحة بسبب الحرب، جعل لحضورنا فى هذا الحدث أهمية أكثر من أى وقت مضى. ولذلك، اخترنا هذا العام التركيز بشكل خاص على عناصر التسويق الجذابة، ونأمل أن تنجح فى لفت الأنظار بشدة".

◆ **هل تشعر بالسعادة فى جناحنا..؟:**

فضلاً عن المساج والعناية بالوجه ومنتجع صفا، تمتع زوار الجناح الإسرائيلى بعروض أزياء قدمتها عارضات أزياء بريطانيات بملابس بحر من إنتاج شركة "جوتكس" (gottex models)، وملابس سهرة من تصميم مصمم الأزياء ميخائيل نجارين، وأجريت مسابقات (happy hours) تم فيها توزيع جوائز تتمثل فى قضاء إجازات فى إسرائيل. كما كانت هناك مفاجآت أخرى مثل توزيع كرات قدم مطبوع عليها شعار دولة إسرائيل وشعار فريق الأرسنال الإنجليزى، وزجاجات مياه مقدسة من نهر الأردن. كما عُرضت الصور والكليبات والأفلام التسجيلية القصيرة التى أعدت خصيصاً للجمهور البريطاني، على شاشات عملاقة موضوعة فى مؤخرة الجناح.

ولكن كما تقدم، كان حضور عارضة الأزياء بار رافائيلى - التى أفرغت وقتها وتركت أعمالها الأخرى وصديقها ليوناردو دى كابريو، للمساعدة فى تسويق المواقع السياحية فى الوطن للأجانب - هو أكثر العوامل الجاذبة التى كانت تنتظر زوار الجناح.. وقد تحدثت بار رافائيلى عن البحر والشمس فى إسرائيل فى مقابلات مع صحف من كافة أنحاء العالم، ومن بينها صحيفتا "الديلى ميل" و"صن" البريطانيتان، ودعت مراسلو الصحف لزيارة إسرائيل. وقالت رافائيلي: "إن إسرائيل دولة صغيرة، ولكنها تمتلك الكثير من المواقع السياحية. فلديها شواطئ رائعة، وشمس دافئة، وبحر، وجليد بالشتاء، وبها مدينة تل أبيب وهى ينبوع لا ينضب".

وقد صرح الوزير هرتسوج لصحفيين من جميع أنحاء العالم، قائلاً: "صحيح أن إسرائيل الآن تعيش حالة ما بعد الحرب، ولكن الهدوء يعود رويداً رويداً للمنطقة، عقب تطبيق قرار مجلس الأمن رقم ١٧٠١". وأضاف الوزير هرتسوج: "إن بار رافائيلى تشرف إسرائيل هنا، وتستطيع إحداث تغيير فى طريقة تفكير ملايين المواطنين من جميع أنحاء العالم. فالمطلوب هو تغيير فى الوعي. ومهمتنا هى جعل العالم يدرك أن إسرائيل تستطيع تقديم سياحة عصرية وحرة، مثل تركيا واليونان والمناطق السياحية الأخرى التى تحظى بإقبال جماهيري". وقد تفقد هرتسوج أجنحة مختلفة، والتقى بوزيرى السياحة المصرى والأردني.

جديرٌ بالذكر أنه سيقام اليوم حفل استقبال حافل لوزير السياحة الإسرائيلى يتسحاق هرتسوج بإستاد الأرسنال بحضور نجم الفريق المعتزل، لاعب كرة القدم آيان رايت.

◆ **على الجانب الآخر من الحدود:**

ليست إسرائيل هى الدولة الوحيدة التى تحاول إنعاش قطاع السياحة لديها بعد الحرب، حيث يسعى الجناح اللبنانى أيضاً للحد من خسائر الحرب التى تقدر بـ١٥ مليار دولار. ويحاول اللبنانيون المحافظة على تفاؤلهم، ويأملون فى أن يصل هذا العام أيضاً نحو مليون سائح أجنبى لزيارة الدولة، على غرار عدد السائحين فى العام الماضي.

وقد قال مندوب شركة الطيران اللبنانية فى لندن: "نحن ندرك أن لبنان قادرة على العودة لأن تكون مرة أخرى منطقة سياحية رائدة فى الشرق الأوسط، وهذه هى الرسالة التى يجب أن نبثها للعالم". وقد ذكر أمين ناصر، مدير شركة سياحية لبنانية أنه "رغم صور الخراب والدمار التى انتشرت فى العالم، من الواضح أن البنى التحتية السياحية فى لبنان لم يلحق بها أى خسائر تقريباً. صحيح أن هناك عدة جسور مازالت فى مراحل الترميم المختلفة، إلا أن ثمة منطقة سياحية لم تلحق بها أضرار. والمنطقة الوحيدة التى تضررت فى بيروت هى الضاحية الجنوبية، ولكن لم تلحق ببقية أنحاء المدينة أى أضرار".

وكانت أول الأفواج السياحية التى ستعود إلى لبنان من مواطنى الدول العربية الذين سارعوا بحجز أماكن فى الفنادق اللبنانية بمناسبة انتهاء شهر رمضان. ولكن مندوبى الشركات السياحية يعلمون جيداً أن المعركة الحقيقية ستكون معركة الاستحواذ على السائحين الأوروبيين الوافدين من ألمانيا وفرنسا وإنجلترا وسويسرا. وقال ناصر: "عيد الميلاد المجيد والسنة الجديدة على الأبواب، ومن المهم بالنسبة لنا أن نوضح أن لبنان آمنة، وأن قطاع السياحة لدينا لم يتأثر. لقد اتصلت بعد الحرب بوزير السياحة، وقلت له إن هذا المعرض يعد فرصة ممتازة لبث الطمأنينة فى نفوس الناس، وإخبارهم بأن كل شيء على ما يرام، وأن كل شيء عاد إلى وضعه الطبيعي".

حزب الله أقوى مما كان عليه قبل الحرب

يديعوت أحرونوت
٢٠٠٦/١١/١٢
بقلم: هيئة تحرير الصحيفة

نقلت أسبوعية "صنداى تايمز" البريطانية فى عددها الصادر اليوم (الأحد)، عن عدد من كبار المسئولين فى أجهزة الاستخبارات الإسرائيلية قولهم أنه بعد أربعة أشهر من اندلاع الحرب فى لبنان، بات حزب الله أقوى مما كان عليه قبل المواجهة مع إسرائيل. وقد أكد المسئولون الإسرائيليون صحة تصريحات حسن نصر الله التى قال فيها أنه يمتلك الآن صواريخ أكثر مما كان لديه قبل الحرب.

ويقول مصدر إسرائيلي: "منذ وقف إطلاق النار، زاد حزب الله من مخزون السلاح الذى بحوزته، وتزود بشكل كبير بالصواريخ، والأسلحة والعتاد العسكري. لدينا افتراض بأنهم باتوا يمتلكون ما يزيد على ٢٠ ألف صاروخ متفاوتة المدى".

كان تيرى رود لارسن، مبعوث الأمم المتحدة للشرق الأوسط، قد حذر، قبل نحو أسبوعين، من استمرار عمليات تهريب الأسلحة من سوريا إلى لبنان، وذلك رغم قرار مجلس الأمن رقم ١٧٠١ الذى يفرض حظرا على نقل السلاح. وأضاف لارسن: "الممثلون اللبنانيون قالوا علانية وخلال محادثات معنا أنه يتم تهريب أسلحة إلى داخل لبنان. والحكومة السورية مازالت تدعى بأنه من المحتمل أن تكون هناك عمليات تهريب تتم على الحدود، وأن هذه الحدود مخترقة وتصعب رقابتها". واستطرد لارسن قائلاً: "إن الأمم المتحدة ليس لديها أى علم بكمية هذه الأسلحة أو نوعها أو مصدرها".

كان نصر الله قد قال فى المقابلة التى أجرتها معه قناة "المنار"، قبل نحو أسبوعين، أنه ثبت بالدليل القاطع أن المقاومة قادرة على دحر إسرائيل: "استراتيجية المقاومة هى الاستراتيجية الصحيحة، ويمكن للمقاومة أن تصمد أمام الجيش الأقوى فى الشرق الأوسط.. إن السبب الذى دعا الولايات المتحدة إلى وقف الحرب هو خوفها من سقوط إسرائيل سقوط مدوي. كلامى لا يعنى أننا كنا نريد ألا تتوقف الحرب - فقد كنا نريدها أن تتوقف فى كل لحظة- ولكن الحقيقة هى أن إسرائيل لم تستطع مواصلة الحرب خوفاً من تبعاتها القاسية على الجيش وعلى الكيان الصهيوني".

وقد زعم نصر الله، خلال المقابلة، أن منظمته أصبحت تمتلك نحو ٣٠ ألف صاروخ يمكنها أن تكفيه للقتال لخمسة أشهر متصلة.

◆ ترجمات عبرية ◆

٤

الشأن الفلسطيني

فوضى

معاريف ٣٠/١٠/٢٠٠٦
بقلم: عاميت كوهين

تبدو المراسم الاحتفالية التى جرت نهاية الأسبوع فى قاعة مؤتمرات فاخرة فى غزة، تحمل اسم رشاد الشوا، منعزلة تماماً عن الواقع. فقد اعتلى منبر الخطباء رجل حماس ورئيس وزراء السلطة الفلسطينية، إسماعيل هنية، للإعلان عن إقامة منطقة صناعية جديدة فى غزة بتمويل من صندوق النقد العربي: "نحن الآن فى مراحل متقدمة من البناء" قال هنية ذلك وكأن حكومته لا تواجه أزمة اقتصادية غير مسبوقة، وأضاف: "حكومتنا ستدمج بين تحرير غزة من الاحتلال وإعادة إعمار القطاع. فلا تستطيع أى حكومة إهمال موضوع من أجل موضوع آخر".

ووعد هنية جمهور مستمعيه بتحقيق المعجزات: "الأسر التى دمرت قوات الجيش الإسرائيلى منازلها، ستحصل من حكومة حماس على مساعدة طوارئ بقيمة تتراوح ما بين ٢٠٠٠ و٥٠٠٠ دولار للأسرة. وستقوم شركات أجنبية بإصلاح طريق صلاح الدين، الذى يلتف حول قطاع غزة كله، بدءاً من معبر إيريز فى الشمال حتى رفح فى الجنوب. وسيعاد بناء الجسور التى قصفها سلاح الطيران الإسرائيلى عقب اختطاف جلعاد شاليط، وسيقوم المصريون ببناء محطة كهرباء جديدة بدلاً من محطة المولدات التى تعرضت للقصف".

رغم أن حماس لا تعترف بإسرائيل، ورغم أنها أعلنت أكثر من مرة أن حكومتها ستحاول التخلص من التبعية الاقتصادية لإسرائيل، لم يخجل هنية من التطرق إلى تغيير مُوَرِّد وقود السلطة الفلسطينية - الإسرائيلى بالطبع - بقوله: "إن إلغاء التعامل مع شركة دور والتعامل مع شركة باز سيوفر لنا ثلاثة ملايين شيكل شهرياً. ومعنى ذلك هو توفير ثمانية ملايين دولار سنوياً للخزانة الفلسطينية"، قال هنية ذلك برضاء شديد مشيراً إلى تفاصيل مشروع اقتصادى سيدخل إلى حيز التنفيذ قريباً ويعد من "أكبر المشروعات على الإطلاق منذ إقامة السلطة الفلسطينية"، وهو دخول مُشغل خدمة اتصالات محمول جديد للسلطة الفلسطينية باستثمار قيمته مليار دولار. وتوقع هنية أن يُدِّر هذا المشروع على الخزانة الفلسطينية نحو ٣٥٠ مليون دولار خلال أشهر معدودة.

ولكن الواقع فى غزة يبعد بسنوات ضوئية عن وعود هنية. وحسب البيانات الصادرة عن صندوق النقد الدولي، فإن النمو الاقتصادى الفلسطينى انخفض فى العام الماضى بنسبة ٢٧٪، بينما انخفض مستوى الاستثمارات بنسبة ٦٠٪. فالشركات الأجنبية لا تقترب من قطاع غزة، والمجتمع الدولى لا يقوم بمبادرات تشير إلى أى تراجع فى المواقف طالما أن حماس ليس لديها استعداد للعمل وفقاً للخط الذى ينتهجه أبو مازن. حتى الجمعيات الخيرية الإسلامية فى سائر أنحاء العالم تتردد كثيراً قبل قيامها بتحويل أموال للبنوك الفلسطينية، خشية أن تكون هذه الحسابات خاضعة لرقابة دولية وتؤدى إلى اعتبارها عناصر داعمة للإرهاب.

◆ ٩٠٪ فقراء:

المواطن الفلسطينى البسيط هو من يدفع الثمن فى المقام الأول: فقد ارتفعت نسبة البطالة فى الأشهر الأخيرة من ٢٣٪ إلى ٤٠٪ وفقاً للبيانات الرسمية. ولكن يبدو أن الوضع الحقيقى فى قطاع غزة أسوأ بكثير، حتى إذا ما قورن بالوضع فى الضفة الغربية، حيث أظهر تقييم استطلاعات الرأى أنه رغم أن الوضع فى الضفة ليس جيداً فى حد ذاته، إلا أنه أفضل بكثير من الوضع المأساوي فى غزة. على سبيل المثال: ٥٥٪ من الأسر فى الضفة الغربية تحت خط الفقر، بينما تصل نسبة الأسر التى يوصف وضعها

بأنه "فقر مدقع" في غزة إلى نحو ٩٠٪.

لم تكن غزة أبداً مكاناً سهل العيش فيه، ولكن الفقر المدقع باغت سكانها بشكل مفاجئ.. "في منزلي كان يوجد دائماً كل ما نحتاجه. وكنا نستطيع دائماً السماح لأنفسنا بشراء كل ما نريد.. وفجأة انتهى كل شيء" يقول ماجد، أحد سكان مخيم الشاطئ للاجئين وأحد ناشطي الأجهزة الأمنية الفلسطينية، والذي لم يتقاض راتبه على مدار سبعة أشهر، شأنه شأن باقي العاملين في السلطة الفلسطينية.

وفي شهر رمضان وصل مندوبو الجمعيات الخيرية إلى منزله أيضاً لمساعدة أسرته على المعيشة في هذا الشهر المقدس لدى المسلمين. ويقول ماجد: "لقد جاءوا وأعطوا زوجتي بعض السلع، الأمر الذي دفعني للبكاء. أقسم أني بكيت. فلم أصدق أنني وصلت إلى هذا الوضع، وأنني أصبحت فقيراً. وفي الأسبوع الماضي حل عيد الفطر، ولكن أقسم لك بحياة أطفالي أن هذا لم يكن عيداً. فليس هناك فرحة، ولا أمل. كيف يستطيع إنسان أن يأمل وهو لا يملك مالاً لإطعام أطفاله..؟ ليس لدينا مال لشراء شئ لهم. أحياناً يطلب أحد الأطفال شيكلاً أو نصف شيكل، ولكنني أخجل من أن أقول له إنني لا أمتلك هذا المبلغ. كيف يمكن أن نوضح لطفل عمره خمس سنوات أنه لا يوجد مال..؟".

◆ نكتة عن هنية:

من منزل ماجد نرى منزلاً كبيراً مطلياً باللون الأخضر، وهو اللون المفضل لدى المسلمين. هذا هو منزل إسماعيل هنية، الذي يقيم هو الآخر في مخيم الشاطئ. ولكن القرب المادي من منزل رئيس الوزراء لا يعني تلقي الدعم. فشأنه شأن الكثير من العاملين في السلطة الفلسطينية، يُحمّل ماجد أيضاً حكومة حماس مسئولية الانهيار الاقتصادي. ويقول: "الجميع يلقي بالمسئولية على حماس. ويقولون إنه منذ اللحظة التي جاءوا فيها (يقصد من اللحظة التي وصلوا فيها إلى سدة الحكومة) بدأت كل المشكلات". وتفيد الشائعات الرائجة في غزة بأن أعضاء حماس يتقاضون بالفعل رواتبهم، ولكنهم لا يتحدثون عن ذلك حتى لا يثيرون حالة من الغليان.

وتحاول حماس، التي لديها علم بالنقد الشديد الموجه ضدها، التنصل من مسئوليتها عن الوضع، متهمة إسرائيل والمجتمع الدولي بفرض حصار اقتصادي على الشعب الفلسطيني. ومن أجل رفع الحالة المعنوية قليلاً، أمر وزير الداخلية سعيد صيام صرف مكافآت لرجال الشرطة قيمتها ٥٠ دولاراً بمناسبة العيد. وقد أثار هذا القرار ردود فعل تجمع بين الغضب والسخرية. "ماذا أفعل بخمسين دولاراً..؟ ماذا يمكن فعلاً شراؤه بهذا المبلغ..؟!" يتساءل رامي، وهو أحد رجال الشرطة الفلسطينية.

ترتكز قائمة مشتروات أسرة غزاوية متوسطة على الفول والفلافل من أجل وجبة الإفطار، وفطيرة بالزعتر لوجبة الغداء، والحمص والفول لوجبة العشاء. ويقول رامي: "لقد نسيت طعم الطيور واللحوم والأسماك منذ فترة طويلة".

وقد تمخض عن الوضع الاقتصادي المتردي وحالة الاستياء السائدة في الشارع الفلسطيني من حكومة حماس نكات شديدة السخرية.. فعلى سبيل المثال، تقول إحدى النكات أن إسماعيل هنية سافر مع زوجته وابنه في رحلة جوية للقيام بزيارة رسمية إلى إمارة قطر. وقبل إقلاع الطائرة بلحظة توجه إلى أفراد أسرته، وقال لهم أنه ينوي إلقاء ورقة بمائة دولار من الطائرة حتى تتمتع أسرة فلسطينية واحدة بالعيد. فأوصته زوجته قائلة: "لماذا ورقة واحدة..؟ القي ورقتين قيمة كل واحدة خمسين دولاراً، وهكذا ستسعد أسرتين". ويستمع الابن للحديث وينفجر ضاحكاً ويقول: "أبي، لماذا تسعد أسرتين فقط..؟ القي بعشر ورقات قيمة كل واحدة عشرة دولارات، وهكذا ستسعد عشر أسر بالعيد". ومرت دقائق من الحيرة، فقرر أفراد الأسرة الاحتكام إلى رأى الطيار. اقترب هنية من كابينة الطيار وطرح عليه المسألة. فأجاب الطيار، وهو أحد أعضاء فتح بإجابة مقتضبة: "القي بنفسك، وسيسعد الشعب الفلسطيني كله بالعيد".

◆ عمليات اغتيال يومية:

في الواقع هذه النكات لا تُضحك أعضاء حماس، الذين يشعرون أساساً طوال الوقت أن حركة فتح ستحاول في أى لحظة القيام بانقلاب في الحكم ضدهم. صحيح أن الفقر مشكلة مزمنة في غزة، ولكن حالة الاحتقان الأخيرة بين الحركتين (حماس وفتح) أدت إلى زيادة معدل الوفيات في قطاع غزة نتيجة عمليات القتل. ففي كل يوم يقتل أعضاء من حماس وفتح في عمليات اغتيال متبادلة. ويومياً تجرى محاولات صلح بين الطرفين وتصدر تصريحات إيجابية بشأن "وقف إطلاق النار الداخلي"، ولكن في النهاية لا يظهر أى شيء من هذا على أرض الواقع، التي مازالت تشهد عمليات القتل والاختطاف.

والسبب الرئيسي للاحتقان هو الإضراب العام الذي يديره ١٠٠ ألف شخص من العاملين في السلطة الفلسطينية، احتجاجاً على عدم دفع رواتبهم. وفي حماس يرون في ذلك محاولة لزعزعة استقرار حكمهم. ومن أجل منع هؤلاء المضربين من السيطرة على دواوين الحكومة، أعلنت حماس حالة الاستعداد

القصوى على مستوى أعضاء الحركة.

الغريب فى الأمر أن الأمطار كانت هى تحديداً السبب فى وقف حدة الاحتقان الأخيرة. فبعد أن هدد المسئولون فى حماس بيوم "سبت أسود" إذا حاول أعضاء فتح القيام بشيء، جاءت الأمطار، التى غمرت شوارع المدن نهاية الأسبوع، لتجعل معظم أهالى غزة لا يبرحون منازلهم. وكما يحدث فى كل شتاء، وبسبب عدم وجود شبكة صرف مناسبة، فإن هذه المياه حالت دون نشوب مواجهة أخرى دامية. ويقول أحد سكان غزة: "لقد جاء المطر من عند الله، وجعل الناس لا يبرحون منازلهم حتى لا يستطيعون إطلاق النار على بعضهم بعضاً".

ولكن قبل ذلك بيوم، يوم الخميس تحديداً، حدثت عملية اغتيال أخرى: فى خان يونس قتل شخص اسمه علاء دالي، كان أحد صقور حركة فتح. فى الماضي، كان انتماؤه الحركى يكسبه نوع من الحصانة فى غزة، وكذلك كانت له هيبة بين مواطنى غزة، ولكن فى ظل الوضع الراهن فى غزة، قامت مجموعة من المسلحين من أسرة معادية فى قلب الشارع باغتيال دالي، أخذاً بالثأر منه، حيث كان دالى قد قام منذ ١٥ سنة بقتل أحد أبناء هذه الأسرة بتهمة العمالة لإسرائيل، وانتظر أقاربه سنوات طويلة حتى قاموا بتصفية الحساب معه.

◆ **"على وشك الانهيار":**

آخر ضلع فى المثلث الذى يخنق غزة هو المصادمات التى لا تتوقف بين الجيش الإسرائيلى والتنظيمات الإرهابية التى تواصل إطلاق صواريخ القسام على الأراضى الإسرائيلية والتخطيط لعمليات إرهابية. لقد زادت هذه الأنشطة بعد العملية الإرهابية فى كيرم شالوم، التى اختطف فيها جلعاد شاليط. ومنذ ذلك الحين، قام الجيش الإسرائيلى بمجموعة من العمليات البرية فى كافة أنحاء القطاع، وفى المقابل واصل كل من سلاح الطيران والمدفعية أنشطتهما العسكرية كلٌ فى مجاله.

وحسب البيانات الفلسطينية، فإنه منذ بداية العام، تسببت الأنشطة العسكرية الإسرائيلية شمالى قطاع غزة فى خسائر تقدر بـ١٧ مليون دولار. وقد تركزت العمليات العسكرية على منطقة شمال القطاع، مع مزيد من التركيز على بلدتى بيت حانون وبيت لاهيا، باعتبارهما المنطقتين الأساسيتين التى تستخدمهما التنظيمات الإرهابية فى إطلاق الصواريخ على إسرائيل. ويقول الفلسطينيون إن ٤٥ منزلاً هُدمت تماماً، كما أصيب حوالى ١٢٠٠ منزل آخر بأضرار. علاوة على ذلك، تعرض حوالى ٣٥ مصنعاً لخسائر. وما لا يقوله الفلسطينيون هو أن بعض هذه المصانع على أقل تقدير كانت تستخدم فى صناعة الصواريخ المزدهرة هناك.

هكذا تبدو غزة بعد تسعة أشهر من فوز حماس بالانتخابات. وتحذر دوائر مقربة من أبى مازن قائلة: "نحن على وشك الانهيار".. إن المواطن الغزاوي فى حاجة لأن يعرف كيف يمكن إنقاذ الوضع، علماً بأن الطريقة التى سيحدث بها ذلك باتت لا تفرق معه، المهم هو أن يحدث تغيير. ويقول ماجد من مخيم الشاطئ: "إننا نريد الطعام قبل أى شيء. حماس.. فتح، لا فارق بالنسبة لنا. إذا كانوا يريدون مصلحة الشعب الفلسطيني، يجب عليهم البحث عن سبل لتحسين الأوضاع".

كفوا عن إطلاق النار فى غزة

افتتاحية هاآرتس
٢٠٠٦/١١/٩

كتب فى هذا المكان أمس: "على إسرائيل أن تعلن عن وقف تام لإطلاق النار فى غزة لفترة زمنية محددة سلفاً، لا تقوم خلالها بأية عمليات عنيفة، لا تصفيات ولا توغلات. وأن تدعو الفلسطينيين فى نفس الوقت إلى وقف إطلاق النار هم أيضاً". ولكن ما خشيناه، وأكثر منه بكثير، حدث للفلسطينيين: فقد قتل ١٩ مواطناً أمس فى قصف متواصل لجيش الدفاع الإسرائيلى على بلدة "بيت حانون"، ١١ منهم أفراد أسرة واحدة، من بينهم أطفال ونساء.

لا تستطيع أية ذريعة تبرير هذا العمل البشع: فعندما تصوب المدافع قذائفها قريباً من حى سكني، فإن هذه الكارثة غير مستبعدة، حتى لو كانت غير مقصودة. كل من يطلق قذائف فى اتجاه منازل مواطنين يعلم جيداً أنه قد يصيبهم كلهم دون تمييز. كل ردود أفعال إسرائيل عقب الكارثة - الإعراب عن الأسف على لسان رئيس الحكومة ووزير الدفاع، وعرض مساعدة إنسانية للمصابين، وتشكيل لجنة فحص برئاسة العميد "ميئير كليفي"، ووقف إطلاق نيران المدفعية، أو فتح معبر "رفح" لمدة ٢٤ ساعة - لا تكفى من أجل التغطية على مسئولية إسرائيل عن هذا القتل العبثى المخيف. لذا، لم يعد يكفى الإعراب عن الأسف، وإنما ينبغى استخلاص استنتاجات.

الآن، اتضح نهائياً أن إدارة المعركة ضد مطلقي صواريخ "القسام" في غزة لا يمكن تركها في يد جيش الدفاع الإسرائيلي وحده. لقد سبق أن أخفق رئيس الأركان وقائد الفرقة وسائر الضباط الذين يتحملون مسئولية عسكرية وأخلاقية عن الكارثة في حملة "غيوم الخريف"، التي انتهت على ما يبدو منذ أول أمس وزرعت فقط القتل والدمار دون أن تؤدي إلى وقف إطلاق صواريخ القسام، وإنما إلى تزايده فقط.. لذا، بدا إطلاق القذائف أمس وكأنه خطوة انتقامية من جانب جيش الدفاع الإسرائيلي على استمرار إطلاق صواريخ "القسام".

المطلوب الآن من رئيس الحكومة، باعتباره يتحمل المسئولية العامة، أن يصدر أوامره إلى جيش الدفاع الإسرائيلي بوقف إطلاق النار في غزة، وعلى الفور، بكل الوسائل وفي جميع الأحوال. وإذا كانت إسرائيل لا تريد أن تجد نفسها سريعاً في قلب دوامة دموية جديدة وعمليات انتحارية في قلب المدن، فإن عليها أن تبادر بخطوة دراماتيكية قاطعة، يكون من شأنها، هي فقط، أن تمنع حدوث انتفاضة جديدة. مثل هذه الخطوة ينبغي أن تبدأ بوقف تام لإطلاق النار، حتى وإن كان من جانب واحد، تقطع إسرائيل على نفسها في إطاره ضبطاً تاماً للنفس لفترة زمنية محددة سلفاً، حتى وإن سقطت هنا وهناك بعض صواريخ "القسام".

ينبغي تجربة وسيلة مختلفة كل الاختلاف، بدلاً من المزيد من الحملات العسكرية العبثية، التي لن تؤدي إلى شيء إلا إذكاء مزيد من الكراهية. ينبغي استبدال المدافع بالدعوة إلى التفاوض، والمقاطعة الاقتصادية بفتح الصنابير، والحصار الوحشي على القطاع بفتح واع للمعابر. بذا فقط، ربما نستطيع أن نغير المناخ الخطير السائد الآن في سماء غزة، عقب حمام الدم الذي أريق في "بيت حانون".. والمسئولية عن ذلك في النهاية تقع كلها على كاهل رئيس الحكومة.

ضحايا فى خدمة حماس

معاريف ٢٠٠٦/١١/١١
بقلم: دان مرجليت

إن القلب يتألم لرؤية الأبرياء الذين قُتلوا في قطاع غزة بنيران خاطئة من مدافع الجيش الإسرائيلي.. أتمنى أن يكون قلب من يعربون عن أسفهم لازال ينبض، وأنهم يشعرون بالحزن حقاً. فإذا كان يمكن ضرب منصات إطلاق صواريخ القسام دون استخدام القذف المدفعي، فهذا أمر جيد. ولو كان بالإمكان تحسين التصويب على الهدف، فهذا أمر مهم.

لكن في ظل الألم الشديد الذي يشعر به أهالي غزة، يتوجب عليهم أن يجففوا الدماء والدموع والنظر للمستقبل المقبل.. يجب عليهم أن يجبروا حماس على التوقف عن إطلاق صواريخ القسام على إسرائيل. إن كل من خالد مشعل وإسماعيل هنية لا يسعيان لوقف سفك دماء أبناء شعبهم. فهم يحصدون المزيد من النقاط عن طريق موت أهالي غزة وليس عن طريق بقائهم على قيد الحياة.

لقد استنكر الشيوعيون بشدة أقوال فلاديمير لينين بأن كل ما هو سيئ للبشرية، هو في صالح الثورة. ويبدو أن مشعل وهنية يديران دفة الأمور بموجب هذه القاعدة التي لم يضعها لينين. وقد كانت أول خطوة لهنية بعد الكارثة (يقصد حادث قذف بيت حانون) هي إلغاء المفاوضات من أجل تشكيل حكومة وحدة وطنية فلسطينية.

صحيح أن الصور الملتقطة لبيت حانون هي بداية صعبة لزيارة إيهود أولمرت لواشنطن، إلا أن البديل المتمثل في تقليص نطاق التصدي لإطلاق صواريخ القسام، ستجعلنا نبكي لسنوات طويلة.

تتمثل الحرب النفسية بين إسرائيل وحماس في الأساس في تحديد سقف لقوة الردع لدى الجيش الإسرائيلي.. والهدف هو رفع هذا السقف، لأن هذه ضرورة، وليست مجرد تحقيق إنجاز أو تفوق.

قوة دولية لغزة

افتتاحية هاآرتس
٢٠٠٦/١١/١٣

الوضع في غزة يستصرخ العالم من أجل المساعدة. فلم يعد الطرفان، بعد مئات القتلى على الجانب الفلسطيني ومئات صواريخ القسام التي تتساقط على إسرائيل، وفي ظل غياب أي حوار بين السلطة الفلسطينية وإسرائيل، قادرين بعد على الخلاص بنفسيهما من الوضع المخزي الذي وصلا إليه.

إزاء ذلك، دُعي العالم إلى التدخل بشكل مباشر، كما هو معهود في مناطق نزاع أخرى. فالعمليات العسكرية

الإسرائيلية تُلحق الضرر بسكان مدنيين أبرياء، ويتم بث صور القتل إلى جميع أنحاء العالم فتزيد الكراهية لإسرائيل، وفى الوقت نفسه لا تستطيع إسرائيل أن تسلم بالإطلاق المستمر للصواريخ على بلداتها. ومن ثم، فمن شأن نشر قوة دولية فى قطاع غزة، وخاصة فى المناطق الحدودية بين إسرائيل ومصر، أن يؤدى إلى تهدئة الوضع، وينبغى على كل من إسرائيل والفلسطينيين، على السواء، أن يكونوا معنيين بذلك.

لقد نفرت إسرائيل فى الماضى من فكرة "تدويل النزاع"، وعارضت بشكل تقليدى كل تدخل دولى انطلاقاً من افتراض بأن وضع جنود أجانب سيقيد فقط جيش الدفاع الإسرائيلى وسيصعب عليه الحفاظ على أمن الدولة.. فقط حرب لبنان هى التى غيَّرت الموقف، فقد كانت وزيرة الخارجية "تسيبى ليفني" هى أول من اقترح تدخلاً معززاً لقوة "يونيفيل". صحيح أن رئيس الحكومة تحفظ فى البداية، لكنه بدأ بعد حوالى أسبوعين يؤيد الحل المطبق الآن فى لبنان. لا يتعلق الأمر بحل ناجز، ولكن بعد أن سبق وجربنا كل شيء، وبعد أن اتضح أن استخدام القوة فقط لا يحل المشكلة، فإنه ليس ثمة خيار آخر. صحيح أن القوة الدولية لم تنجح فى جميع بؤر النزاع فى تحقيق التهدئة، لكن ثمة نماذج إيجابية أيضاً فى المقابل: ففى كوسوفو، على سبيل المثال، أدت القوة الدولية إلى وقف الأعمال العدائية بين الأطراف المتشددة.

لقد خرجت إسرائيل من غزة، ولذا فإن وجود قوة دولية لإقرار السلام هناك لن يهدد لا سيادتها ولا أمنها. لقد سبق وأعلن الفلسطينيون فى الماضى أنهم معنيون بمثل هذه القوة، التى من شأنها أن تمثل بالنسبة لهم درعاً ضد الهجمات الإسرائيلية. كما أن من شأن القوة الدولية أن تؤدى إلى وقف إطلاق صواريخ "القسام"، الذى من المفترض أن يؤدى أيضاً إلى وقف العمليات العسكرية الإسرائيلية.

مع إقامة حكومة وحدة وطنية فلسطينية، لا تراسها حماس، وتتكون من خبراء (يقصد من تكنوقراط) على وجه الخصوص، فإن من شأن هذه الخطوة أن تبشر بأمل جديد، وربما تمثل حتى قاعدة لبدء مفاوضات بين الأطراف.

على إسرائيل أن تبادر بالخطوة وأن تُظهر بذلك أنها معنية بالعمل على تهدئة الوضع. وينبغى على العالم من جانبه أن يحتشد من أجل هذه المهمة. ويستطيع رئيس الحكومة، الذى توجه لمحادثات سياسية مع الإدارة الأمريكية فى "واشنطن"، أن يأتى معه بهذه الفكرة التى لم يتم بعد تجربتها بين الفلسطينيين وإسرائيل.. وهذا من شأنه أن يدفع فى اتجاه واقع جديد.

لنعاود احتلال غزة

هاتسوفيه ٢٠٠٦/١١/١٦
بقلم: حاجى هوبرمان

قبل فترة ما، سمعت قصة حقيقية، للأسف لا أتذكر كافة تفاصيلها، عن مجلس بعينه فى إسرائيل طلب من الشركة الوطنية للطرق فى إسرائيل تحسين أحد مفترقات الطرق فى البلدة. وجاء رد الشركة على النحو التالي: "عدد القتلى فى مفترق الطرق لا يبرر حجم الاستثمارات اللازمة لإصلاحه".. يا له من رد مؤلم: هل يجب أن يلقى عدد من البشر مصرعهم حتى نقتنع بضرورة فعل ذلك..؟!.

تنطبق هذه القصة على نظرة الحكومة للهجوم الصاروخى على النقب، فطالما لم يُقتل أحد، لا ترى أى جهة أهمية لمعالجة هذا الوضع، بما فى ذلك أحد سكان المدينة المسئول عن أمن الدولة، الذى تعرض الحى الذى يقيم فيه إلى هجوم صاروخى قاتل صباح يوم الأربعاء. وتجدر الإشارة إلى أن ثمانية أشخاص قد قتلوا حتى الآن منذ بدء إطلاق الصواريخ على إسرائيل، حتى فى جوش قطيف وسديروت. مَنْ منكم ينسى آيالا أبوكسيس التى كانت تبلغ من العمر ١٤ عاماً، والتى قتلت قبل عامين بصاروخ، بينما كانت تحمى شقيقها تامير البالغ من العمر ٩ سنوات..؟.

رغم ذلك، فإن ادعاءات الناطقين باسم الحكومة بصفة خاصة، واليسار بصفة عامة، هو: "وعندما كنا فى غزة، ألم تكن هناك صواريخ قسام..؟!. "لقد جربنا الخيار العسكري، ولم يتوقف إطلاق الصواريخ أيضاً" هذا هو الادعاء الكلاسيكى لليسار. وهو ادعاء بعيد كل البعد عن الواقع.. فحقيقة الأمر أننا لم نجرب الخيار العسكري، لقد جربنا كل الألعاب المضحكة المتمثلة فى دخول قطاع غزة والخروج منه دون غاية حقيقية. جربنا كل السبل التى كان واضحاً منذ البداية أنها لن تؤدى إلى وقف إطلاق صواريخ القسام، فيما عدا طريقة واحدة: إعادة السيطرة التامة على كل قطاع غزة.. السيطرة الأمنية التامة على كل أجزاء قطاع غزة (يقصد احتلال قطاع غزة).

"ومن يضمن أنه لو قمنا باحتلال قطاع غزة، سيتوقف إطلاق صواريخ القسام..؟" من المؤكد أن هذا هو السؤال المألوف الذى سيطرحه خبراء اليسار. والإجابة: سيضمن الجيش الإسرائيلى ذلك، بالضبط

كما فعل فى يهودا والسامرة (الضفة الغربية). ففى يهودا والسامرة (الضفة الغربية) فرض الجيش الإسرائيلى سيطرة أمنية على كل سنتيمتر فيها، ولذلك لا يتم إطلاق صواريخ من هناك، كما توقفت العمليات الإرهابية.

ما حدث الأسبوع الماضى كان على العكس تماماً، فمنذ الحادث الأليم فى بيت حانون، غادر الجيش الإسرائيلى قطاع غزة (حتى ظهر أمس)، وباستثناء بعض الوجود البسيط، لأقصر مدى - أصبح جيش الدفاع فعلياً لا يعمل فى قطاع غزة.. ولو كان متصوراً فى البداية أن الجيش الإسرائيلي، بعد حادث اختطاف جلعاد شاليط، سيقلب الأرض رأساً على عقب بحثاً عنه وأنه سيشن حرباً على الإرهاب، فقد توقفت كل هذه العمليات بعد أربعة أشهر.. لا فى بيت حانون ولا فى محور فيلادلفى (ممر صلاح الدين).

لن نكل عن ترديد الحقيقة التالية: هناك طريقة واحدة لوقف إطلاق الصواريخ، وهى إعادة السيطرة على قطاع غزة. وهو ما سيحدث إن آجلاً أم عاجلاً.. حتى ديختر وديسكين يدركان ذلك جيداً.

الانتصار هو أهون الأمرين

هاآرتس ٢٠٠٦/١١/٢٧

بقلم: دانى روبنشتاين

إن احتمالات الالتزام بوقف إطلاق النار بين إسرائيل والفلسطينيين ليست كبيرة. عشرة أشهر مرت منذ انتصار حماس الدراماتيكى فى الانتخابات البرلمانية التى تمخضت عن تشكيل حكومة إسماعيل هنية. كل العالم، باستثناء إيران وسوريا، كافح ضد هذه الحكومة. الولايات المتحدة، أوروبا، كل الأنظمة العربية تقريبا، وإسرائيل بطبيعة الحال، فرضت المقاطعة عليها ولم تسمح بإرسال الأموال إليها أو الالتقاء بأعضائها. الضائقة اشتدت فى المناطق (الفلسطينية)، وخصوصا فى غزة، وازداد التدهور الأمنى - القتلى والجرحى سقطوا فى غزة والضفة يوميا.

وما هى النتيجة..؟ بدلا من انهيار حكومة حماس، ظهر الرجل القوى فى حماس، خالد مشعل، فى مؤتمر صحفى فى القاهرة وحدد مهلة للمجتمع الدولي: أمامكم ستة أشهر لدفع إسرائيل للانسحاب من المناطق (الفلسطينية) وإنهاء الصراع، وإلا فستندلع الانتفاضة الثالثة وتنهار السلطة الفلسطينية. هو لا يتوجه لإسرائيل طبعا بحديثه، ولا تهمه الاتفاقات السابقة، ولا المطالب الدولية بالاعتراف بها، وهو يتعالى على رئيس السلطة الفلسطينية، محمود عباس، ويسخر منه ومن سلفه ياسر عرفات اللذان أهدرا عشر سنوات على مفاوضات لا قيمة لها حول حكم ذاتى وتوصلا إلى نتائج سخيفة.. وبذلك، فإن ما لم ينجحا فى تحقيقه خلال سنوات الاعتراف بإسرائيل، يسعى خالد مشعل للحصول عليه خلال عدة أشهر.

من الصعب تخيل نجاحه فى مسعاه، ولكن ما من شك أن مشعل وأبو مازن قد نجحا، مع مساعدة أطراف أخرى، ومن ضمنها إسرائيل، فى إدخال السياسة الفلسطينية فى هذه العقدة التى لا يعرف أحد مخرجا منها. فحل الأزمة يستوجب التغلب فى آن واحد على أربع مشاكل مرتبطة ببعضها البعض: إقامة حكومة وحدة وطنية فلسطينية تكون تركيبتها السياسية وبرنامجها مقبولين لدى المجتمع الدولي، الأمر الذى يؤدى إلى رفع الحصار ووقف إطلاق نار حقيقى وراسخ وغير هش وكامل مثلما أعلن أمس. كما يتوجب إطلاق سراح جلعاد شاليط فى إطار صفقة تبادل الأسرى الفلسطينيين وبلورة إطار لاستئناف المفاوضات السياسية.

من الصعب متابعة تعقد المفاوضات حول هذه المسائل الأربع. ففى كل يوم تظهر اقتراحات جديدة وتطرّح أسماء مرشحين للوزارات ووساطات حول بنود فى البرنامج السياسى وتعّد المسودات لاتفاقية إطلاق سراح السجناء. أبو مازن يأخذ الاقتراحات ويسافر إلى الأردن ومصر والسعودية ويعود مع ملاحظات. هنية يدرس الأفكار وينقلها إلى مشعل وقيادة حماس فى دمشق ويعود مع ملاحظات جديدة، ويتكرر الأمر إلى ما لا نهاية.

من أجل تربيع هذه الدائرة المعقدة (يقصد من أجل الوفاء بهذه المتطلبات الأربعة) يطالب المجتمع الدولى وبعض الأنظمة العربية بألا يخرج مشعل منها منتصرا. فإذا تسبب مثلا فى إطلاق سراح ١٤٠٠ سجين مقابل شاليط، ومن تشكيل حكومة لا تعترف بإسرائيل صراحة - ستكون هذه رسالة واضحة للعالم كله بأن أبو مازن وقادة السلطة وفتح القدامى قد باعوا المصالح الفلسطينية بأبخس الأثمان.

من المشكوك فيه أن يكون بمقدور حكومة إسرائيل فى ظل الظروف الحالية أن تفعل كثيرا لتغيير الوضع. مشعل وحماس يسيرون على طريق الانتصار، وإذا أوقفوهم سيكون الثمن مزيدا من التدهور والدمار.

٥

علاقات إسرائيل الدولية والإقليمية

إيران تطور صاروخ يفوق بكثير سرعة صاروخ شهاب

هاآرتس ٦/١١/٢٠٠٦
بقلم: زئيف شيف

حققت إيران مؤخراً طفرة كبيرة فى مجال تطوير منظومة صواريخ أرض - أرض التى تمتلكها. ففضلا عن صواريخ "شهاب" التى تعتمد على الوقود السائل، تطور إيران بوتيرة سريعة صاروخاً جديداً يعتمد على الوقود الصلب، يصل مداه إلى حوالى ٢٠٠٠ كيلومتر.

فى غضون ذلك، أنهت قوات "الحرس الثوري" الإيرانية مناورة عسكرية كبيرة. وتعتبر قوات الحرس الثورى المسئولة عن تشغيل منظومة الصواريخ فى الألوية الثلاثة. حتى التطوير النووى يعتبر مسئولية قوات الحرس الثورى وليس من اختصاصات الجيش. وقد عرض الإيرانيون فى نهاية الأسبوع تسجيلات فيديو يظهر فيها ضباط من الحرس الثورى على خلفية إطلاق دفعة صواريخ. ومن تحليل الصور، التى أذاعها التليفزيون الإسرائيلى أيضاً، يتبين أن معظم الصواريخ كانت قصيرة المدى نسبياً. ويطلق عليها الإيرانيون صواريخ "شهاب ١" و"شهاب ٢". ويظهر من الصور أيضاً إطلاق صاروخ واحد من طراز "شهاب ٣"، وهو الصاروخ الذى يصل مداه إلى إسرائيل، وتركيا ودول عربية أخرى. وكان قد ورد سابقاً أن صاروخ شهاب ٣ يصل مداه إلى ما يقرب من ١٣٠٠ كيلومتر، لكن يبدو أن الإيرانيين نجحوا فى تطوير مداه ليصل إلى ١٥٠٠ كيلومتر وربما إلى ٢٠٠٠ كيلومتر.

أما التطوير الجديد فيتعلق بصاروخ ثنائى المراحل يصل مداه إلى نحو ٢٠٠٠ كيلومتر، يعتمد على الوقود الصلب بدلاً من الوقود السائل الذى يعتمد عليه صاروخ شهاب ٣ . ويتيح الوقود الصلب إطلاق أسرع بكثير، وحماية أفضل بكثير للصاروخ، وخطر أقل نسبياً لإصابته فى الجو أثناء إشعاله. لا أحد يعلم اسم الصاروخ الجديد. وتبدى الأجهزة الاستخباراتية الأوروبية أهمية إزاء تطوير الصواريخ الإيرانية، لأن مداها يصل إلى بعض دول حلف شمال الأطلسى "الناتو". وفضلاً عن صاروخ شهاب ٣ والصاروخ الجديد، من المعروف أن إيران اشترت من كوريا الشمالية صاروخاً كان فى الأساس صاروخاً بحرياً روسياً. وقد طوّره الكوريون الشماليون ليصبح صاروخاً برياً يُنقل على منظومة متحركة. والاسم الأصلى لهذا الصاروخ هو "ب. م ٥"، ويصل مداه إلى حوالى ٢٥٠٠ كيلومتر. وقد اشترت إيران من كوريا الشمالية ١٨ صاروخاً من هذا النوع.

يدرك الإيرانيون أنهم ربما يتعرضون لهجوم جوى ضد أنظمة صواريخهم، ولذلك ينفقون أموالا طائلة على حمايتها. وهذه الصواريخ موجهة صوب إسرائيل بوجه خاص، لكنها موجهة أيضاً صوب دول الخليج الفارسى (العربي)، بما فى ذلك السعودية، وكذلك تركيا.

يبذل الإيرانيون جهوداً كبيرة لتطوير منظومة الصواريخ. وهذه خطة شاملة يعكفون على تنفيذها بدأب شديد، وينفقون عليها أموالاً طائلة. من المعروف أن الإيرانيين يبذلون قصارى جهدهم لإقامة بنى تحتية للصواريخ البحرية. وفى غضون ذلك، يبذلون جهوداً أيضاً لتطوير قمر صناعى إيراني. كما أن الوكالة الدولية للطاقة الذرية كانت قد أبلغت واشنطن قبل عامين بأن إيران تطور رأس قتالية خاصة لصاروخ من المقرر أن يحمل قنبلة نووية. ويطلق الإيرانيون على هذا التطوير "مشروع ١١١".

الحكومة الإسرائيلية تعقد جلستها فى لوس أنجلوس

يديعوت أحرونوت
٢٠٠٦/١١/١١
بقلم: يتسحاق بن حورين

من المقرر أن تكون حرب لبنان هى القضية الرئيسية على جدول أعمال المؤتمر السنوى لاتحاد الجاليات اليهودية فى شمال أمريكا، والذى سيبدأ أعماله اليوم فى لوس أنجلوس.

سوف يشارك فى هذا المؤتمر ليس فقط القادة اليهود من شمال أمريكا، بل ومن إسرائيل أيضاً، ومن بينهم: رئيس الحكومة إيهود أولمرت، وزيرة الخارجية تسيبى ليفني، وزير المالية أفراهام هرشيزون، وزير الأمن الداخلى آفى ديختر، وزيرة التعليم يولى تامير، وزير السياحة يتسحاق هرتسوج ووزير الصناعة والتجارة والعمل إيلى يشاي، وكذلك زعيم المعارضة عضو الكنيست بنيامين نتنياهو.

وقد أوضح رئيس اتحاد الجاليات اليهودية (UJC)، هيوارد ريجير، فى حديث أدلى به لصحيفة يديعوت أحرونوت، أن "القضية الإسرائيلية هى محل اهتمام المؤتمر. فقد خصصنا ٦٥٪ من خطتنا لما حدث فى الصيف الماضى فى إسرائيل، وثلث الخطة يدور حول قضايا داخلية". كان ريجير - الذى يشغل منصب رئيس اتحاد الجاليات اليهودية منذ عامين - قد بذل جهوداً جبارة لجمع تبرعات طارئة لصالح البلدات اليهودية فى الشمال الإسرائيلى خلال حرب لبنان.

◆ ما هى حجم الأموال التى قمتم بجمعها لصالح إسرائيل..؟

- ريجير: "حتى وقتنا هذا حصلنا على تعهدات للتبرع بمبلغ ٣٤٢ مليون دولار. وقد اجتمعنا قبل أسبوع تقريباً وتعهدنا بتحويل ٢٢ مليون دولار أخرى. وأتمنى مع أواخر العام الجارى نستطيع تحويل نصف المبالغ التى جمعناها. وهذا أمر رائع فى ظل أننا بدأنا هذه الحملة فى نهاية الصيف الماضي. إننا لازلنا نحصل على تعهدات بمزيد من التبرعات، وأرجح أننا سنتمكن من جمع ٣٥٠ مليون دولار. إننا ندرس الاحتياجات، وقد نقرر جمع المزيد من الأموال".

◆ كم من المبالغ التى تم جمعها ستصل لإسرائيل..؟

- ريجير: "مائة بالمائة".

◆ هل تم تحويل الأموال التى قمتم بجمعها لإسرائيل حقاً..؟

- ريجير: "أعتقد أن ٩٠-١٠٠ مليون دولار قد تم تحويلها بالفعل".

◆ ما هى الأهداف التى سيتم إنفاق هذه المبالغ فيها..؟

- ريجير: "فى البداية أرسلنا مليونى دولار لإخلاء الشباب من شمال إسرائيل ونقلهم لأماكن آمنة، لمعسكرات صيفية خارج خط النار. وقد تكلف ذلك حوالى ٢٠ مليون دولار. كما أنفقنا مليونى دولار على إصلاح آلاف المخابئ فى البلدات الشمالية، وشراء أجهزة تليفزيون وأجهزة تكييف. هذه هى الأموال الفورية التى تم إنفاقها. فضلاً عن ذلك، حوّلنا مليون دولار لسكان شمال إسرائيل الذين كانوا فى حاجة للغذاء لاسيما فى الأعياد. ورصدنا أموال للمنح الدراسية لثمانى كليات فى الشمال شهدت انخفاضاً بنسبة ٢٠٪ -٤٠٪ فى عدد الطلاب المقيدين لديها، بسبب قرار الشباب عدم الدراسة هذا العام. وحوّلنا مليونى دولار لصندوق ضحايا الإرهاب، ولعلاج الصدمة، ورعاية المدارس، وتدريب المدرسين على مواجهة الموقف".

◆ لقد اشتكى بعض رؤساء المدن زاعمين أنهم لم يحصلوا على هذه الأموال.

- ريجير: "إننا لا نشتغل بالسياسة.. يمكننا أن نوضح مصادر إنفاق هذه الأموال. إننا نحول الأموال للمكان الذى توصى به كل من الوكالة اليهودية، ومنظمة الجوينت، وحكومة إسرائيل، والقيادة الشمالية. وقد قدموا جميعاً توصياتهم ونحن نتخذ قراراتنا بناء على ذلك. لقد أرسلنا الأموال إلى الأماكن الأشد احتياجاً. لقد قمنا بعمل جيد للغاية. لم يتعلق الأمر بالمفاضلة بين حيفا وكريات شمونة، أو صفد أو كرميئيل. لقد فعلنا ما ينبغى علينا فعله. عملنا بموجب المعلومات التى تلقيناها".

كانت إحدى الشكاوى ضد مديرى صندوق مساعدات الطوارئ لإسرائيل هى نقل تبرعات أيضاً لبلدات عربية فى شمال إسرائيل.. ويرد زعيم اتحاد الجاليات اليهودية على هذه المزاعم بغضب، قائلاً: "شاهدت هذه الشكاوى آلاف المرات على جهاز الحاسب الآلي. كما تلقيت رسائل بريدية إلكترونية، لكننى غير واثق أنها كانت كثيرة. وأعتقد أنها شكوى غريبة. موقفنا كالتالي: عندما طلبوا منا إخلاء أطفال من الشمال، لم نتحر مَنْ اليهودى ومَنْ غير اليهودي. معظم الأطفال الذين ساعدناهم كانوا يهوداً، لا شك فى ذلك. ونحن نفخر بذلك. ونحن نفخر أيضاً بما فعلناه من أجل الأطفال الآخرين".

فى هذا الصدد، أوضح ريجير أن المعارضين حاولوا

ترك انطباع مضلل يفيد بأن الجالية اليهودية الأرثوذكسية فى الولايات المتحدة تعارض مساعدة العرب. وقال ريجير: "لدينا بيان إيجابي صادر عن اتحاد اليهود الأرثوذكس يقضى صراحة بأن هذا هو الأمر السليم الذى ينبغى فعله. ونحن نفخر بأن معابد الجاليات الأرثوذكسية شاركت فى هذه الجهود، ونحن ندعم حقيقة أن بعض هذه الأموال خُصِّصت لمساعدة العرب الإسرائيليين، كما أن مستشفى "شعارى تسيدق" يخدم مرضى يهود وعرب، فهو يقدم خدماته للجميع.. ولو كان هناك من يرغب فى استغلال ذلك، فهنيئاً له".

◆◆ إسرائيل لم تكن القضية الوحيدة على جدول الأعمال:

فضلاً عن تناول القضية الإسرائيلية، سيناقش زعماء الجاليات اليهودية فى الولايات المتحدة وكندا قضايا أخرى تتعلق بالحياة اليومية: الأمن الشخصى لليهود، رعاية المسنين، تعليم الشباب والتبرعات اللازمة لمواصلة معالجة القضايا الجارية. ويقول ريجير: "إننا نولى اهتماماً كبيراً لأمن اليهود، خاصة أننا نتعرض يومياً لهجوم على مؤسساتنا وعلى بعض اليهود. والسؤال المطروح الآن هو: كيف يمكن حماية الجالية اليهودية..؟ وما هو حجم الحماية الكافية..؟".

◆ هل تشعرون بأنكم مهددون..؟

– ريجير: "لو كنت تعمل فى مبنى الفيدرالية اليهودية فى سياتل، التى قُتل مدير حملتها على أيدى مخرب وأصيب أربعة من أفراد فريق العمل إصابات خطيرة ولازال بعضهم فى مرحلة الاستشفاء بعد الحادث، كنت ستشعر بأنك مهدد. القنبلة قد تنفجر فى أي مكان، وكذلك الأعيرة النارية. وهذا يحدث هنا أيضاً. لقد حدث هجوم على إحدى المدارس الكائنة خارج مونتريال.. يجب علينا أن نزيد من درجة يقظتنا، لأننى أعتقد أننا لسنا على درجة كافية من اليقظة".

تجدر الإشارة إلى أن ٢٠٪ تقريباً من يهود أمريكا الشمالية من المسنين المحتاجين لرعاية. ويدرس الزعماء اليهود فى الولايات المتحدة السبل المختلفة التى يمكن أن تكفل حصول أكبر عدد من المسنين على المساعدة فى منازلهم وألا يضطروا إلى الانتقال للإقامة فى دار المسنين. ويوضح ريجير: "بوجه عام لدينا شريحة سكانية كبيرة من المسنين، ونحن ندرس احتياجاتهم وقدرة وكالاتنا على تحسين المساعدات المقدمة لها. وسوف نناقش فى المؤتمر هذا العام كيفية زيادة المساعدة الحكومية لخططنا لمساعدة المسنين".

ويزف ريجير بشارة لمن يشعر بالقلق من هذا العدد الكبير من الوزراء الموجودين خارج إسرائيل، تفيد بأنه سيتم عقد المؤتمر السنوى لاتحاد الجاليات اليهودية فى عام ٢٠٠٨ فى القدس إحياءً لذكرى مرور ٦٠ عاماً على إقامة دولة إسرائيل.

حان وقت التضامن اليهودي

هاآرتس ١٤/١١/٢٠٠٦
بقلم: آفى بيكر (*)

كان جون يارموث (John Yarmouth)، المرشح الديموقراطى عن ولاية كنتاكي، يردد شعاراً كثيراً ما كرره فى كل ظهور له أثناء المنافسة فى انتخابات الكونجرس الأمريكي: "إذا كنتم تحبون بوش فلا تصوتوا من أجلي". وقد أفلحت هذه الطريقة. لقد تغلب يارموث اليهودى على خصمه الجمهورى بفارق الأصوات، وانضم إلى ٤٢ يهودياً آخر فى الكونجرس، وهو أعلى رقم قياسى فى كل الفترات على الإطلاق، حيث زاد عدد اليهود فى الكونجرس الأمريكى من ٢٦ إلى ٣٠ نائباً، وفى مجلس الشيوخ من ١١ إلى ١٣ نائباً. وفى الوقت الذى يشكو فيها خبراء الديموجرافيا من الاندماج والزواج المختلط وفقدان الهوية اليهودية، يواصل يهود الولايات المتحدة الظهور على الساحة السياسية بدرجة تفوق نسبتهم بين السكان.

خلال الانتخابات، لم يهتم أحد تقريباً بيهودية النواب، ولا حتى بمسألة تأييد إسرائيل، الذى يلتزم به أيضاً النواب الديموقراطيون الجدد، بل إن المرشحين اللذين خسرا تحديداً خلال المعركة الانتخابية كانا هما اللذين تناولا مشكلات الهوية اليهودية: لقد خاض مرشح ولاية فيرجينيا جورج آلان، انتخابات مجلس الشيوخ، ووجد صعوبة بالغة فى المنافسة، عندما تكشفت حقيقة أمه (٨٣ سنة) بأنها كانت لاجئة يهودية من تونس إبان فترة الاحتلال النازي. أما كاترين هاريس، مرشحة ولاية فلوريدا المسيحية المتدينة، فقد أرادت جذب الناخبين اليهود إليها معلنة أنها طالما حلمت وأرادت أن تصبح يهودية.

هناك من يرون فى الإنجاز اليهودى فى الانتخابات الأمريكية تعبيراً صريحاً عن اندماج اليهود فى المجتمع الأمريكي، وفى الوقت نفسه يرون أنه بمثابة تراجعاً آخر فى هويتهم اليهودية، ولكن ديناميكية الاندماج تفرز أيضاً مراكز هوية جديدة من الصعب تحليلها بمصطلحات إحصائية ديموجرافية.. ولتأخذ أسرة النائبة الديموقراطية نانسى بلوسى نموذجاً – التى من المتوقع أن تصبح المرأة الأولى التى تتولى رئاسة مجلس النواب الأمريكى والمعروفة

بصداقتها الحميمة مع إسرائيل - ابنتها الكاثوليكية متزوجة من يهودى وأحفادها ينشدون بالعبرية.

لقد كانت الانتخابات تصويت احتجاج، فى المقام الأول، على تعقد الأمور فى ظل سياسة بوش فى العراق، وعبَّرت عن مدى معارضة يهود الولايات المتحدة للحرب. فوفقاً لاستطلاعات الرأي، صوَّت ٨٧٪ منهم للديموقراطيين. ومن المنطقى الافتراض بأن الرئيس الأمريكي، الذى التقى أمس فى واشنطن برئيس الوزراء الإسرائيلي، إيهود أولمرت، أصبح محبطاً بسبب إنكار اليهود للجميل، وإنكارهم لتأييده الحماسى لدولة إسرائيل.

فى ظل التشكيلة الجديدة للكونجرس الأمريكي، سيجد اللوبى الإسرائيلى صعوبة فى حشد التأييد اللازم لاستخدام "كل الوسائل" من أجل إزالة الخطر النووى الإيراني. فهزيمة السيناتور ريك سانتوروم مرشح ولاية بنسلفانيا - أبرز زعيم لليمين المسيحى فى مجلس الشيوخ، والذى كان المتحدث الحماسى للغاية فيما يتعلق بالتهديد الإيرانى - ستزيد من صعوبة المهمة.

وتشعر الجالية اليهودية بالتوجس أكثر من أى وقت مضى على مستقبل دولة إسرائيل. ففى الاجتماع العام للجالية اليهودية فى أمريكا، والذى عُقد مؤخراً فى لوس أنجلوس، تركزت المناقشات، للمرة الأولى منذ سنوات طويلة، حول موضوع التهديدات الحقيقية التى تحيق بإسرائيل. لقد أدت الحرب الأخيرة فى لبنان، والتى اعتبرت بداية الصراع الحقيقى مع إيران والإسلام المتطرف، إلى صحوة الجالية واستنفارها لتأييد إسرائيل، كما كانت دافعاً لتعبئة الأموال بشكل غير مسبوق.

إن الحضور الرسمى الإسرائيلى فى اجتماع الجاليات اليهودية غير مسبوق، ويدل على أهمية التضامن اليهودى فى مواجهة عالم يمنح منبر وشرعية للتصريحات الداعية للقضاء على إسرائيل.

(*) كاتب المقال هو سكرتير عام المؤتمر اليهودى العالمي.

بريطانيا: "إسرائيل دنست المقابر البريطانية فى غزة"

يديعوت أحرونوت
٢٠٠٦/١١/١٣
بقلم: هيئة تحرير الصحيفة

ذكرت صحيفة "ديلى تليجراف" البريطانية فى عددها الصادر اليوم الاثنين أن بريطانيا تقدمت بشكوى رسمية إلى إسرائيل احتجاجا على الخسائر التى ألحقها الجيش الإسرائيلى بمقبرة الكومنولث البريطانى فى مدينة غزة، وهى المقبرة التى تضم رفات آلاف الجنود الذين قتلوا فى المعارك الضارية التى دارت ضد قوات الامبراطورية العثمانية عام ١٩١٧ .

وأضافت الصحيفة أن السفارة البريطانية فى تل أبيب كانت قد تقدمت باحتجاج إلى الحكومة الإسرائيلية قبل أربعة أشهر، عندما دمرت جرافة تابعة للجيش الإسرائيلى ستة من شواهد القبور وأحد جدران المقبرة، خلال عملية قام بها الجيش الإسرائيلى ردا على خطف الجندى جلعاد شاليط، غير أن إسرائيل لم تقدم توضيحا حتى الآن. وأوضحت الصحيفة البريطانية أن خسائر أخرى لحقت بالمقبرة الأسبوع الماضى من جراء صاروخ أطلقته مروحية إسرائيلية خلال الهجوم على بلدة بيت حانون.

وأشارت الصحيفة البريطانية إلى أن نحو عشرين شاهدا من شواهد القبور قد لحق بها دمار كبير خلال عمليات الجيش الإسرائيلي، فى حين دُمِّر بعضها بالكامل. وقال دبلوماسى بريطانى فى تل أبيب، طلب عدم كشف هويته، أن "امتناع الحكومة الإسرائيلية عن الرد أمر يدعو إلى السخط".. يُذكر أن وزارة الدفاع الإسرائيلية كانت قد أصدرت بيانا عاما قالت فيه أن الجيش الإسرائيلى لا يستهدف الأماكن الدينية.

وللمرة الأولى هذا العام، اضطر الدبلوماسيون البريطانيون فى إسرائيل إلى إلغاء الاحتفال الذى يُقام كل عام بمناسبة ذكرى الجنود البريطانيين الذين سقطوا خلال الحروب المختلفة، وذلك نظراً للموقف الأمنى المتدهور فى قطاع غزة. ومن جهته، قال آندى فريتويل، المسئول عن لجنة قبور الكومنولث البريطانى فى الأرض المقدسة: "إن هذا الأمر يثير استياء كل الذين يعملون فى صيانة المقابر فى الأراضى المقدسة، وخصوصا طاقمنا المحلي.. نحن نأمل أن يعير الإسرائيليون المزيد من الانتباه لما يقومون به".

يُذكر أن هذه المقبرة، التى شُيدت عام ١٩٢٠، تضم رفات ٣٦٨٦ جندياً من قوات الكومنولث البريطانى الذين قتل معظمهم فى المعارك الثلاثة ضد الأتراك عام ١٩١٧، والتى انتهت بوقوع قطاع غزة فى قبضة البريطانيين. كما تضم المقبرة رفات ٢١٠ جنود من ضحايا الحرب العالمية الثانية، فى الفترة التى كانت فيها غزة هى مقر قيادة القوة الأسترالية، كما تضم أيضاً رفات ٣٠ جنديا بريطانيا توفوا منذ عام ١٩٤٥، معظمهم من مراقبى الأمم المتحدة.

٦

المجتمع الإسرائيلي

الطلبات تؤكد: الإسرائيليون يفضلون الذكور

هاآرتس ٢٠٠٦/١٠/٣١
بقلم: تمارا تراوفمان

منذ نحو عام، وإسرائيل ضمن الدول القليلة فى العالم التى تسمح للأزواج باستخدام تقنية الجينات الوراثية، التى لا زالت مثار خلاف، حتى يتمكنوا من اختيار نوع المولود سلفاً. أظهر التقرير الأول للجنة المختصة - التى شكلتها وزارة الصحة لدراسة الطلبات التى تقدم بها الأزواج - أنها تلقت حتى الآن ١٢٤ طلباً لأزواج يرغبون فى تحديد نوع المولود. كما كشف التقرير أن ٩٥ طلباً كان لأزواج يرغبون فى أن يكون نوع المولود ذكراً، وأن ٢٩ طلباً كان لأزواج يرغبون فى أن يكون نوع المولود أنثى.. وبينما وافقت اللجنة على ثلاثة طلبات، رفضت ٣٩ منها، ولازالت بقية الطلبات قيد الدراسة أمام اللجنة.

وفى إطار النقاش الذى شهدته أمس اللجنة العلمية بالكنيست من أجل التوصل إلى صياغة تقرير حول الخبرة التراكمية لوزارة الصحة حتى الآن فى مجال استخدام هذه التقنية، دعا أطباء وأعضاء فى لجنة القيم إلى إزالة غالبية القيود والعراقيل التى وضعتها وزارة الصحة أمام استخدام هذه التقنية العلمية، حتى يتسنى لأكبر قدر ممكن من الأزواج استخدامها.

يُطلق على هذه التقنية الوراثية اسم PGD أو "الفحص الجينى لما قبل التخصيب"، حيث يتمكن الأزواج عن طريق استخدام هذه التقنية فى الحصول على أجنة محددة النوع عبر التخصيب المجهرى الأنبوبي. فى بداية تكون هذه الأجنة يقوم الأطباء بفحصها جينياً للتوصل إلى النوع الذى ستتطور إليه، والقيام بحقنها بعد ذلك فى رحم الأم حسب رغبة الزوجين. وللحصول على طفل باستخدام هذه الطريقة يحتاج الأمر إلى خمس مراحل إخصابية. كانت بداية استخدام تقنية PGD للأغراض الطبية للحيلولة دون إنجاب أطفال مرضى، ولكن تطور استخدامها فقط خلال السنوات الأخيرة لأغراض غير طبية.

وقد أصدرت وزارة الصحة فى شهر مايو ٢٠٠٥ منشوراً أعلنت فيه موافقتها على استخدام الأزواج، الذين لديهم أربعة أطفال من نفس النوع، لهذه التقنية والذين يمكن أن يتعرضوا هم والمولود المنتظر لأخطار نفسية كبيرة وحقيقية إذا لم يستخدموا هذه التقنية.

وعلى الرغم من هذه القيود، فقد أكدت الوزارة أيضاً أن هناك "حالات شاذة ونادرة الحدوث، ولأسباب خاصة لا تنطبق عليها هذه المعايير، يمكن أن تستخدم فيها هذه التقنية".

تم تشكيل لجنة مختصة للموافقة على استخدام هذه التقنية برئاسة البروفيسور فيتسلاف إينسلار أخصائى أمراض النساء. وتضم هذه اللجنة أربع نساء، وخبيرين بالشؤون القانونية ومتخصصين فى علم الجينات، ورجل دين هو الحاخام يوفال شارلو، ولم تضم رجل دين مسلم أو مسيحي.

من جانبها، قالت المحامية "جالى بن أور"، من وزارة العدل، أن الأمور فى إسرائيل أكثر تساهلاً مقارنة بدول غربية أخرى. صحيح أنه لا يوجد فى الولايات المتحدة حظر على استخدام هذه التقنية، إلا أن استخدامها فى أوروبا محظور تماماً فى غير الأغراض الطبية. وفى مقابل ذلك، يعتقد الحاخام شارلو ومعه البروفيسور توعام زوهر من جامعة بار إيلان أن الأمور فى إسرائيل تتفاقم على نحو كبير. ويعارض زوهر اقتصار استخدام هذه التقنية "على الحالات الأكثر حرجاً". وعلى حد قوله، فإن هذا الوضع "يحكم على أسر بمزيد من المعاناة".

وعلى حد قول د. تساحى جروسمان، رئيس هيئة أبحاث طب الأطفال، فإن وزارة الصحة تتبنى تقنية تخصيب جينى متطورة قبل أن تتضح التأثيرات الطبية

الكاملة لهذه التقنية.. وحذر جروسمان بقوله: "لا يمكن في الوقت الحالي التيقن من عدم حدوث شيء للجنين نتيجة استخدام تقنية PGD". واستعان جروسمان ببحثين أفادا بأن نسبة المعوقين من المواليد ومخاطر تطور أمراض خطيرة لدى الأطفال الذين وُلدوا عن طريق التخصيب المجهري (الأنبوبي) - ضعف النسبة لدى الأطفال الذين وُلدوا بطريقة التخصيب العادية. يقول د. جروسمان: "إننا لا نعرف بشكل مؤكد وكامل ماذا يحدث للأطفال الذين يولدوا عن طريق التخصيب المجهري. ومن المؤكد أن ما سيحدث للأطفال الذين يولدوا عن طريق استخدام PGD سيكون بالغ الخطورة".

قال عضو الكنيست زفولون أورليف، رئيس اللجنة العلمية بالكنيست، إنه "أكثر تأييداً للتوجه الليبرالي لأنه التوجه اليهودي الرئيسي. ومع ذلك، فإنه يجب دراسة الآراء الطبية والتأثيرات النفسية على الأسرة جيداً". وفي ختام النقاش، أعلنت اللجنة أنها تنوي الضغط على وزارة الصحة من أجل ترسيخ الإجراءات القائمة في إطار تشريع قانوني.

لا لمسيرة الشواذ في قلب مدينة القدس

هاآرتس ٦/١١/٢٠٠٦
بقلم: زئيف سيجل

قد تؤدي المخاوف الحقيقية من إراقة الدماء، إذا أقيمت مسيرة الشواذ بقلب مدينة القدس، إلى عدم إقامتها وفقاً للمسار المخطط له. وهكذا، يصطدم الحق الأساسي في حرية التظاهر بإمكانية فرض قيود على هذا الحق في حال وجود مخاوف حقيقية لاندلاع أعمال عنف والإخلال بالنظام العام.

لقد تم الاعتراف بحرية التظاهر بقرار من محكمة العدل العليا كحق دستوري منبثق عن حرية التعبير. ورغم هذا، تبلور أيضاً اعتراف بأنه يمكن فرض قيود على هذه الحرية. وهكذا، تقرر أنه من الممكن منع إقامة مظاهرة إذا كانت هناك احتمالات معقولة للتأثير على نتيجة قضية أو "احتمالات شبه مؤكدة" لحدوث أعمال عنف والإخلال بالنظام العام، وتلك أسباب كافية لمنع إقامة المظاهرة أو فرض قيود عليها، سواء بتحديد عدد المتظاهرين أو المسار المسموح بالتظاهر فيه. ومن الواضح أن تقييد حق أساسي، في غاية الأهمية، كهذا، يستلزم وجود سبب حقيقي يبرر ذلك.

والقاعدة التي تعمل بموجبها الشرطة للسماح بتنظيم مظاهرات هي احترام حرية التظاهر وعدم منعها إلا في الحالات الاستثنائية. وعلى ذلك، تلتزم الشرطة بتوفير الموارد اللازمة لحماية حرية التعبير عن الرأي، ولكن الظروف الاستثنائية فقط - التي لا يجدي فيها رصد القوات اللازمة للحيلولة دون اندلاع أعمال عنف - تبرر منع إقامة المظاهرة أو فرض قيود عليها.

يجب توخي الحذر الشديد عند استخدام مبرر التخوف من وقوع أعمال عنف، حتى لا نجد أنفسنا نمنح جائزة لمن يهددون باللجوء للعنف. كما أن الادعاء بضرورة منع إقامة مظاهرة بسبب إيذاء المشاعر لا يمكن الأخذ به سوى في حالات خاصة واستثنائية. وقبول هذا الادعاء والتسليم به تماماً سيلحق ضرراً بحرية التعبير عن الرأي في مجتمع ديموقراطي. كما أن الادعاء بمنع إيذاء حقيقي وشديد للمشاعر قد يستند إلى حق الإنسان في العيش بكرامة، وهو الحق الذي تم الاعتراف به كحق دستوري في قانون أساسه: كرامة الإنسان وحريته. وربما يبرر هذا الادعاء رفض إصدار تصريح لمظاهرة ينظمها مؤيدو فكرة الترانسفير على أبواب قرية عربية أو يبرر منع إقامة مظاهرة استفزازية بملابس غير محتشمة في الطريق المجاور لهيكل سليمان في القدس، على سبيل المثال.

إن إقامة مسيرة الشواذ في قلب مدينة القدس، وعلى مقربة من أحياء دينية وحريدية، ستضر بحق هؤلاء الذين يعتبرون مدينة القدس "مدينة مقدسة"، ويعتبرون إقامة مسيرة كهذه في قلب المدينة "تدنيساً لاسم الرب".

لقد اعترف التشريع والإفتاء في إسرائيل، على مختلف المستويات، بالحق الكامل للشواذ جنسياً في المساواة، كما أن المجتمع الإسرائيلي فتح لهم أبوابه على مصراعيه. مبدئياً، احترام كرامة الحريديم في القدس لا يجب أن يؤخذ في الحسبان أكثر من كرامة من يريدون الإعراب عن حقهم في المساواة الكاملة أمام الجمهور والعالم. ويجب على كل من يريدون منع إقامة أي مسيرة بالقدس أن يتذكروا ذلك.

لم تعد مسألة الحق في المساواة مثار خلاف حقيقي بين أغلبية المجتمع الإسرائيلي. فالجدل المحتدم الآن إنما يتعلق فقط بمكان تنظيم المسيرة، حيث إن الحق في إقامة مسيرة بالعاصمة بات أمراً واضحاً. ولكن المساواة الكاملة شيء، وإصدار تصريح للتظاهر في أي مكان شيء آخر. فمنع إقامة مظاهرة أو حصرها على

مكان محدد لا يضر بالحق فى التعبير عن الرأى أو بالرسالة التى يرغب المتظاهرون فى بثها. والمكانة الخاصة التى تحظى بها مدينة القدس، تبرر تحديد مكان مسيرة الشواذ بعيداً عن قلب القدس على مقربة من الأحياء الدينية والحريدية. كما أن إقامة مظاهرة أو مسيرة فى ساحة الكنيست، بالقرب من دواوين الحكومة والمحكمة العليا، ستفى بالغرض وستخمد إلى حد كبير تلك الرغبات الثائرة.

هذا ويمتلك كل من الكنيست - الذى منع بتشريعاته التمييز فى العمل لأسباب تتعلق بالميول الجنسية - ومحكمة العدل العليا - التى قامت بتطبيق هذا القانون - الصلاحيات التى تمكنهما من القيام بالمزيد فى هذا الشأن. فالتظاهر لدعم رسالة المساواة، على سبيل المثال، عن طريق سن قانون الزواج (المدني)، سيحظى بمكانته المناسبة عند أبواب مجمع دواوين الحكومة، بينما قد يؤدى التظاهر فى قلب القدس إلى أعمال عنف ومعارك ومشاجرات، لن تفيد الموضوع نفسه، علماً بأنه موضوع ذو أهمية كبيرة فى مجتمع ديموقراطى يحترم حق الآخر المختلف فى التمتع بالمساواة.

خسارة أنه لا توجد معارضة علمانية للحريديم

يديعوت أحرونوت
٢٠٠٦/١١/٧
بقلم: موران رادا

منذ عهد قريب، كان "أفراهام بوراز" جزءاً لا ينفصل عن الساحة السياسية بصفته الرجل الثانى فى حزب شينوي. وقبيل الانتخابات الأخيرة، حينما لم يتم اختياره ليحل محل تومى لابيد، اضطر لإخلاء مكانه لرون ليفنتال وثورة الشباب. والآن، ينظر إلى ما يحدث ضد مهرجان الشواذ ويعارض الإكراه الحريدي، كما كان الحال فى الأيام الخوالي، ولكن هذه المرة بصفته مواطناً عادياً.

يشعر بوراز بالغضب من السلبية العلمانية فى مواجهة العنف الحريدي: "حقيقة أن لا أحد من العلمانيين يقف فى طريقهم، تدفع الحريديم إلى الاعتقاد بأنهم أسياد العالم.. من المؤسف أن نعلم أن هناك ١٧ عضو كنيست من أحزاب حريدية ينضمون إلى صف المعارضين للمهرجان، بينما لا يوجد أى حزب يحافظ على مصالح الجمهور العلماني. فحزب ميريتس لا يحافظ على مصالح العلمانيين، رغم أنه على استعداد للتعاون مع عناصر مختلفة من أجل إقرار السلام. ويبدو أن حالة الضعف التى يعانيها جعلت الأمر (يقصد مصالح العلمانيين) لا يأتى على رأس جدول اهتماماته. فهو لم يحارب أبداً الإكراه الديني، والمرة الوحيدة التى فعل فيها ذلك كانت فى عهد شولاميت آلوني.. فمحاربة الإكراه الدينى تعتبر بالنسبة لهم مجرد أمر هامشي".

ويقول بوراز: "كانت هناك مهرجانات للفخر فى الماضي، وكنت موجوداً فى أحدها ومرت بسلام. لو كانوا سيقولون إن المهرجان سينظم فى قلب حى ميئا شعاريم كنت سأدرك سبب احتجاجهم، لكن الأمر ليس هكذا. فالمهرجان سيبدأ عند المجمع الحكومى وينتهى عند الجامعة بعيداً عن المتدينين.. ليست كل الأماكن بالقدس مقدسة".

يحذر بوراز من مغبة ما قد يحدث لو استجابت الشرطة والشواذ من الجنسين، أو المحكمة لرغبة الحريديم وألغوا المهرجان. وهو يقول: "لو انتصروا فى هذه الحالة، فإن صلفهم سيتزايد، ولن يستطيع أحد الوقوف فى طريقهم. لقد ظلوا ثلاث سنوات خارج الحكومة بفضل حزب شينوي، والآن فقد غاب حزب شينوي.. من لا يندم الآن لعدم وجود حزب شينوى بالحكومة، سوف يندم فى المستقبل".

تجدر الإشارة إلى أن بوراز لن يشارك هذا العام فى مهرجان الشواذ بالقدس. وهو يوضح قائلاً: "عندما ينظم المهرجان فى تل أبيب سوف أحضر، لكننى بالتأكيد أساندهم. كل هذه النظرة البدائية العدائية للشواذ تثير الاشمئزاز ولا تدل على التحضر. هناك شواذ داخل المجتمع الحريدي، ولكنهم للأسف، لا يستطيعون الإفصاح عن ذلك".

ارتفاع فى عدد الإسرائيليين الذين تنازلوا عن جنسيتهم

معاريف ٢٠٠٦/١١/٨
بقلم: إيلى بردنشتاين

أظهرت المعطيات الصادرة عن إدارة السكان فى وزارة الداخلية أن حوالى ٣٠٠٠ إسرائيلى ممن نزحوا من إسرائيل خلال السنوات الأربع الأخيرة تنازلوا عن الجنسية الإسرائيلية.

وقد أظهرت المعطيات أن الإسرائيليين الذين تنازلوا عن جنسيتهم خلال السنوات السابقة هم فى الأساس من المهاجرين الجدد وكبار السن الذين أصيبوا بخيبة أمل من الدولة وأرادوا التنازل عن جنسيتهم الإسرائيلية.. إلا أننا، هذا العام، بصدد الحديث عن حدوث هذه الظاهرة لشبان من جيل الصابرا، ممن تم تسريحهم حديثاً من الجيش ومن خريجى الجامعات، الذين آثروا الحصول على جنسية أجنبية والتنازل عن الجنسية الإسرائيلية لأسباب تعود إلى المنفعة الشخصية.

وقد صرحت، دودا شورتس، المسئولة عن دائرة الجنسية فى إدارة السكان بوزارة الداخلية: "من الطلبات التى أتلقاها، أرى أن خيرة شباب المجتمع الإسرائيلى تهرب منا وتحبذ التنازل عن الجنسية الإسرائيلية". وتوضح شورتس قائلة: "إن الحديث هنا يدور عن خيرة الشباب ممن لم يتجاوزا سن الـ٣٠ عاما، وهم من ذوى التعليم الجامعي، ومن المسرحين حديثاً من الجيش الإسرائيلي، بالإضافة إلى أنهم يتمتعون بقدرات وكفاءات عالية. المشكلة أنهم يتنازلون عن الجنسية الإسرائيلية، ليس لأنهم يشعرون بتخبط إزاء الصهيونية، أو أنهم لا يشعرون بالانتماء للدولة أو جذورهم، بل لأن الاعتبار الأول لديهم هو مصلحتهم الشخصية".

فحتى بداية شهر نوفمبر من هذا العام (يقصد خلال هذا العام فقط)، تنازل ٧٠٠ إسرائيلى عن جنسيتهم، بينما تنظر وزارة الداخلية عشرات الطلبات الأخرى، التى تعكس رغبة أكثر من ١٠٠ شخص فى التنازل عن الجنسية الإسرائيلية. وتأتى الطلبات فى الأساس من أشخاص كانوا قد نزحوا من إسرائيل واستقر بهم المقام فى دول أوروبية، مثل ألمانيا، أستراليا وشبه الجزيرة الاسكندنافية، لأن هذه الدول لا تسمح بازدواجية الجنسية. ويظهر من الطلبات المقدمة أنهم يُطلب منهم التنازل عن جنسيتهم الإسرائيلية من أجل الحصول على جنسية أجنبية فى مكان إقامتهم الجديد. وفى تبريرهم لذلك، يشيرون إلى أنهم يريدون الحصول على تلك الامتيازات التى يحصل عليها المواطن المحلى فى هذه الدول، كالالتحاق بالدراسة فى الجامعة (يقصد الدراسات العليا)، والحصول على قرض عقارى لشراء شقة والحصول على امتيازات اجتماعية أخرى.

كما يتبين من طلبات أخرى أن الإسرائيليين الذين يسعون إلى الانخراط فى مناصب عليا فى البنتاجون الأمريكى أو فى البيت الأبيض، وربما فى الجيش الأمريكى أيضاً، يُطالبون بالاحتفاظ بالجنسية الأمريكية فقط. فيما أشارت شورتس إلى أنه "على الرغم من أن جواز السفر الإسرائيلى قد أصبح اليوم من أقوى جوازات السفر فى العالم، مقارنة بدول أخرى، فإن إسرائيل ليست عضوة فى الاتحاد الأوروبي. ولذلك، يفضل الكثيرون الحصول على جنسية دولة من دول الاتحاد الأوروبى أو إحدى الدول التى فى طريقها للانضمام إلى الاتحاد الأوروبي، حتى وإن كان ذلك يعنى أنه يتعين عليهم التنازل عن الجنسية الإسرائيلية".

الغالبية تفضل العيش فى وسط إسرائيل

يديعوت أحرونوت
٢٠٠٦/١١/٨
بقلم: ماتان تسوري

أظهرت نتائج دراسة تم عرضها بالأمس، خلال مؤتمر سديروت للشئون الاجتماعية الذى انعقد فى كلية سابير، أن متوسط الأعمار بين سكان وسط إسرائيل أطول من سكان الضواحي. فيما ذكر البروفيسور دوف تشرنخوفسكي، خبير الاقتصاد السياسى بجامعة بن جوريون فى النقب، أن السبب فى ذلك هو أن سكان وسط إسرائيل لديهم ما يكفيهم من أموال من الممكن أن تضمن لهم حياة أفضل وأطول. ووفقاً للبيانات التى عرضها البروفيسور تشرنخوفسكي، فإن سكان تل أبيب والقدس - على سبيل المثال - يعيشون لمدة ثلاث سنوات أكثر من سكان بئر سبع. فيما بلغ متوسط الأعمار فى تل أبيب ٧٩,٥ عاماً، وفى القدس ٨٠,١ عاماً، بينما بلغ متوسط الأعمار فى إقليم بئر سبع، الذى يضم كل المدن

والمستعمرات، ابتداء من بئر سبع وصولاً إلى إيلات، ٧٧ عاماً فقط. وتجدر الإشارة إلى أن متوسط الأعمار القطرى لعام ٢٠٠٥ كان قد بلغ ٧٩,٧ عاماً (حيث بلغ متوسط الأعمار ٧٧,٦ عاماً بين الرجال، و٨١,٨ بين النساء).

وحسبما ذكر البروفيسور تشرنخوفسكي، فإن كل شيء يبدأ وينتهى بالمال. وذلك نظراً لأن من يعيشون فى وسط إسرائيل، هم مواطنين من أبناء طبقة اقتصادية واجتماعية أعلى بكثير من سكان الضواحي، ويعد ذلك هو السبب الرئيسى والمباشر فى زيادة متوسط الأعمار بينهم: "الشخص الذى يعيش فى وضع اقتصادى جيد يسمح له بشراء أدوية جديدة وناجعة، ومن ثم يمكنه الحصول على رعاية طبية على مستوى عال، لذلك فهو يعيش فترة أطول. وذلك مقارنة بشخص من أبناء طبقة اجتماعية واقتصادية أقل، فهو يحصل بوجه عام على أدوية ليست من الدرجة الأولى، ولا يحصل سوى على الرعاية الطبية الأساسية فقط.. لذا، وللأسف الشديد، تنتهى حياته قبل ذلك الشخص الميسور الحال".

ووفقاً للبيانات التى عرضها البروفيسور، والتى تستند فى الأساس إلى البيانات الصادرة عن وزارة الصحة، فإنه كلما اتجهنا نحو الشمال، أو الجنوب، أو كلما ابتعدنا عن وسط البلاد، ينخفض متوسط الأعمار: حيث بلغ متوسط الأعمار فى محافظة حيفا، التى تضم عكا ونهاريا ٧٨,٢ عاماً. بينما بلغ متوسط الأعمار فى إقليم طبريا ٧٨,٣ عاماً، وفى عيمق يزرعئيل، بلغ متوسط الأعمار ٧٧,٩ عاماً، وفى إقليم صفد ٧٧,٧ عاماً، وإقليم الخضرة ٧٧,٢ عاماً. فيما بلغ متوسط الأعمار فى إقليم رام ٧٧,٦ عاماً، وفى إقليم عسقلان، الذى يشمل أشدود، سديروت، نتيفوت وأفاكيم، بلغ متوسط الأعمار ٧٧,٩ عاماً، وابتداء من بئر سبع وبالاتجاه جنوباً وصولاً إلى إيلات يصل متوسط الأعمار إلى ٧٧ عاماً.

ويدلل البروفيسور على ذلك بأن هناك ديناميكية تقوم على الربط بين الوضع الاقتصادى والحالة الصحية، بمثال هو معالجة مرض الإيدز.. فهذا الموضوع يثير دهشة كبيرة، فقد بات من الممكن اليوم التغلب على هذا المرض اللعين عن طريق شراء الأدوية باهظة الثمن. ومن لا يمتلك المال لشراء الدواء تتدهور حالته الصحية ليواجه شبح الموت. هكذا هو الحال فى أفريقيا، حيث يصاب الأفراد هناك بأمراض خطيرة، مثل الإيدز، ثم سرعان ما يموتون، لأنهم ببساطة لا يمتلكون المال اللازم لشراء الدواء الذى يساعدهم على الشفاء من المرض".

ويوضح البروفيسور تشرنخوفسكي: "من المتوقع أن تتسع تلك الفجوات خلال السنوات القادمة. فما لم يحدث تغيير جذري، سيتفاقم الفارق فى متوسط الأعمار، مما يشكل تهديداً على دولة إسرائيل. فهناك دول مثل إنجلترا والولايات المتحدة، أدركت خطورة مثل هذا الوضع، ولذا سعت من أجل تطبيق تمييز تصحيحي. بينما فى إسرائيل، تقوم وزارة الصحة برصد وتحويل الأموال إلى منطقة وسط البلاد والقدس، ثم تتوقف الأموال عند هذا الحد، أى أنها لا تصل إلى الضواحي. وفى رأيي، يجب اتخاذ إجراءات صارمة بشأن تحويل الأموال مباشرة إلى الضواحي، على أن يتم توزيعها على صناديق المرضى. علاوة على ذلك، يجب تحديد ورصد المناطق الفقيرة ودعمها بالأموال ودعم المراكز الطبية الموجودة بها".

الجامعة المفتوحة

معاريف ٢٠٠٦/١١/١٣
بقلم: أفيشاى بن حاييم

أدى مشروع جديد بادرت به الجامعة العبرية بالقدس إلى إثارة غضب بعض طلبة تلك المؤسسة الأكاديمية. فللمرة الأولى تسمح الجامعة هذا العام للأخدان غير المتزوجين (يقصد الأصحاب العاشقين) بالإقامة معاً فى نزل الطلبة. هذا ويطالب الطلبة المتدينون الغاضبون بوقف هذه المبادرة.

بدأت هذه القصة عندما بدأت الجامعة العبرية منذ شهر فى تنفيذ مشروع لتشجيع الطلبة على الإقامة فى مدينة الطلبة، تحت عنوان: "تعالوا للإقامة والتمتع مع أخدانكم الذين تحبونهم". وفى الإعلانات، وعدت الجامعة الطلبة بـ"شقة سكنية جديدة يسودها جو من الهدوء والأمان، وتتوافر فيها ظروف السكن المثالية، مع وجود أنشطة اجتماعية متنوعة، بل وتتوافر أيضاً بها إمكانية إقامة الطلبة والطالبات فى نفس الشقة". كما جاء فى الإعلان: "للمرة الأولى يمكن الجمع بين أماكن إقامة الطلبة والطالبات فى شقة واحدة (وهذا مرهون بموافقة كل سكان الشقة)".

◆ خطر الاندماج:

ثار غضب بعض الطلبة المتدينين، وبدأوا فى جمع التوقيعات على عريضة ضد هذا المشروع فى سائر

أقسام الجامعة. وعلى حد قولهم، فقد اتخذت الجامعة خطوة غير مسبوقة وغير مألوفة في المؤسسات الأكاديمية في الدولة، بل وفي العالم بأسره.

وقد أوضح لنا آدم بن حمو، صاحب مبادرة الاحتجاج، وهو طالب في قسم الفكر الإسرائيلي والأدب الإنجليزي: "إننا بصدد تصدع في القيم والأخلاق، حيث أصبحنا أرض خصبة للاندماج مع الشعوب الأخرى، نظراً لأن هناك الكثير من التلاميذ الوافدين من الخارج. وفي ضوء هذه الحقائق، لا نستطيع الاستفادة من مساكن الطلبة الجديدة. كما أن هذه خطوة تتجاهل مشاعر سكان الحي الدينيين في منطقة التلة الفرنسية. يبدو أن الروح الإباحية لمسيرة الشواذ تتسرب أيضاً إلى الجامعة، حيث قررت الأخيرة السماح للبنين والبنات بالإقامة معاً في نزل الطلاب".

ويطالب منظمو الاحتجاج بمنع الأخدان غير المتزوجين من العيش معاً. فعلى حد قولهم: "عندما يأتي هذا من جانب الجامعة، فإنه بمثابة انتهاك لقواعد الأخلاق الأساسية من جانب مؤسسة حكومية.. إن هذه سابقة لا يمكن أن تقوم بها مؤسسة أكاديمية، ولاسيما لو كانت في القدس".

وتعليقاً على ذلك، صرحت أوريت سولتسيانو، المتحدثة باسم الجامعة العبرية بأن: "الجامعة العبرية هي بيت لمختلف الآراء والمواقف، ولذلك تسعى الجامعة لتلبية مختلف الاحتياجات. ومن ناحية أخرى، يستطيع الطلبة عن طريق هذا المشروع، الخاص والجديد، في مدينة الطلبة، اختيار شكل السكن المناسب لهم: سكن في شقق خاصة للطلبة الدينيين، وسكن منفصل للرجال والنساء. وبناء على طلب الطلبة توجد مساكن للإقامة المشتركة بين الطلبة والطالبات وفقاً للقواعد المعمول بها في شقق الإيجار بسائر أنحاء القدس وإسرائيل كلها".

إسرائيل من أسوأ الدول على مستوى العالم في التزييف

يديعوت أحرونوت
٢٠٠٦/١١/١٤
بقلم: تاني جولدشتاين

أظهر التقرير الذي أعدته شركة براءة الاختراع "لوتساتو لله لوتساتو" نتائج خطيرة جداً، فيما يتعلق بحقوق المبدعين والمخترعين في إسرائيل: ٤٠٪ من الأفلام، ثلث البرامج والاسطوانات و١٠٪ من الأدوية في إسرائيل مزيفة. وهذا التزييف يؤدي إلى خسائر اقتصادية تصل إلى نصف مليار دولار سنوياً. ويفيد التقرير بأن إسرائيل هي أسوأ دولة على مستوى العالم الغربي، وواحدة من أسوأ ١٣ دولة في العالم - إلى جانب دول مثل الصين ومصر - في حجم عمليات التزييف.

فقد أظهر التقرير نتائج خطيرة تتعلق بحماية حقوق الملكية الفكرية في إسرائيل، حيث يكلف انتهاك حقوق الملكية الفكرية (الاختراعات وحقوق المبدعين) الشركات نصف مليار دولار سنوياً. وقد كشف النقاب عن التقرير اليوم من خلال مؤتمر صحفي عقدته الغرفة التجارية في تل أبيب.

وحسب التقرير، فقد خسرت شركات الأدوية في إسرائيل ٣٣٢ مليون دولار في عام ٢٠٠٥، بسبب انتهاك حقها في براءة الاختراع، وشركات البرمجة ٨٤ مليون دولار، وشركات الإنتاج الموسيقي ٣٩ مليون دولار، وشركات الإنتاج السينمائي ٣٨ مليون دولار، بينما خسرت الدولة ٩١ مليون دولار من إيراداتها من الضرائب.

كما يفيد التقرير - استناداً إلى الأبحاث التي أجريت في الولايات المتحدة وفي أوروبا - بأن إسرائيل هي أسوأ دولة في العالم الغربي، وواحدة من أسوأ ١٣ دولة في العالم - إلى جانب دول مثل الصين ومصر - في حجم عمليات التزييف والاعتداء على حقوق المبدعين.

◆ نقطع فرع الشجرة الذي نجلس عليه:

وخلال المؤتمر الصحفي، قالت إستر لوتساتو: "إن الصناعة الإسرائيلية غنية بالخبرات وقائمة على الملكية الفكرية. والاعتداء على حقوق الملكية الفكرية يلحق ضرراً بقطاع الإنتاج الهام والقوي في الدولة. فلا تستطيع شركات الصناعات التكنولوجية المتطورة البيع، إذا لم تحمهم هيئات براءة الاختراع. إننا الدولة الثالثة على مستوى العالم في عدد الاختراعات، ولكنها في الوقت نفسه واحدة من أسوأ الدول في انتهاك حقوق براءة الاختراع.. إننا نقطع فرع الشجرة الذي نجلس عليه".

وأضافت لوتساتو: "لقد وضعت الولايات المتحدة وأوروبا واليابان هذا الموضوع كهدف قومي، ووجدوا السبل للحد من انتشار هذه الظاهرة. فعلى سبيل المثال، تستغرق إجراءات اختبار براءة الاختراع حوالي ثلاث سنوات، أي ضعفي المدة في الولايات المتحدة تقريباً. وقد أقيم الكثير من الشركات الإسرائيلية في الولايات المتحدة لهذا السبب".

وقال رئيس الغرفة التجارية، أوريئيل لفين: "إننا

بصدد فيروس مخجل يشكل تهديداً على مكانة إسرائيل فى العالم. وحتى الآن، لم تتم بلورة سياسة واضحة فى هذا الشأن. إننى أطالب بتشكيل لجنة رسمية لإيجاد حلول لهذه المشكلة".

◆ "حماية حقوق براءة الاختراع لن تضر بشركة تيفع":

ويظهر تقرر لوتساتو أن ١٠٪ من الأدوية فى إسرائيل مزيفة. ويقول توميربابيه، مدير عام شركة فارما إسرائيل (اتحاد شركات الأدوية الأصلية): "لقد فكرت الكثير من شركات الأدوية أن تقيم فى إسرائيل مراكز تطوير، ولكن ثمة واحدة منها لم تفعل ذلك. فغياب حماية حقوق الملكية على الدواء المبتكر يضر بالمنظومة الصحية وبالمرضى ويتسبب فى إضاعة الجهد. إن إسرائيل تنتهك بشكل منهجى الاتفاقيات التجارية التى وقعت عليها فى هذا الشأن".

ويقول بابيه: "يمكن حماية الأدوية الأصلية بطريقة لا تلحق ضرراً بشركة تيفع. فقد أثبتت هذه الشركة أنها قادرة على مواجهة الأسواق التى بها رقابة مشددة على انتهاك حقوق الملكية". فعلى سبيل المثال، يقول بابيه أن فترة حماية حقوق إنتاج الأدوية فى إسرائيل هى ٥ سنوات، فى مقابل ١٠ سنوات فى الخارج. ويضيف أن إسرائيل، خلافاً لدول أخرى، تسمح لشركات الأدوية بالطعن فى المطالبة بحقوق براءة الاختراع على الأدوية الأصلية، وفترة السماح بالطعن تتيح لشركات إنتاج الأدوية المقلدة تقليد الدواء الجديد.

◆ ثلث البرامج مزيفة:

يفيد تقرير لوتساتو أن حوالى ثلث البرامج فى إسرائيل مزيفة. ووفقاً للتقرير، فإنه إذا كانت نسبة ١٠٪ من البرامج المزيفة تباع فى إسرائيل بالمال، لربحت صناعة البرمجة ٨٤ مليون شيكل. وحسب التقرير، فإنه إذا انخفض مستوى تقليد البرامج فى العالم بنسبة ١٠٪، لربحت صناعة البرمجة ٨٥٠ مليون دولار سنوياً، وهكذا كانت ستتوافر ٢٨٠٠ فرصة عمل جديدة.

وتقول نعومى آسيا، التى تمثل الاتحاد العالمى لشركات البرمجة BSA: "إن الضرر الذى يلحق بالاقتصاد من تزييف البرامج كبير جداً. منذ سنوات ونحن نحاول الدفع بتشريع يجعل عقوبة انتهاك حقوق البرمجة مماثلة لعقوبة انتهاك حقوق الدواء، ولكن مستوى التشريع مثير للسخرية مقارنة بالعالم".

◆ أكثر المتضررين هم منتجو الأفلام والاسطوانات:

غنى عن القول أن أكثر المتضررين من انتهاك حقوق المبدعين هم مستوردو الاسطوانات الموسيقية والأفلام، حيث يفيد التقرير أن ٤٠٪ من الأفلام السينمائية و٣٢٪ من الاسطوانات فى إسرائيل مزيفة. هذا فى مقابل نسبة تتراوح بين ١٠ و٢٠٪ فى العالم الغربى.

"إذا لم يتم سن قانون لحماية الأفلام ستتعرض صناعة السينما لأزمة كبيرة تلحق ضرراً بمصدر رزق آلاف الأسر. والآن، تتقلص عدد القضايا المرفوعة ضد مزورو الأفلام إلى ٢٠٠ قضية سنوياً فقط، والعقوبات التى توقع عليهم مشابهة للعقوبات المضحكة التى توقع على مرتكبى مخالفات المرور"، قال "يتسحاق كوهين" مدير عام اتحاد الشركات السينمائية.

وحذر يتسحاق شيفر، مدير عام اتحاد التسجيلات والشرائط، من التعديلات التى يُدخلها الكنيست على قانون حقوق المنتجين، قائلاً: "إن الكنيست على وشك إضعاف حماية التسجيلات الأجنبية، والسماح بتحميل الألبومات الغنائية عبر الإنترنت. إذا لم يتوقف تحميل المنتجات الموسيقية عبر الإنترنت، لن تربح شركات الإنتاج الموسيقى شيئاً ولن تنتج اسطوانات جديدة.. إن التحميل عبر الإنترنت يهدد صناعة الموسيقى، وهى الفن الوحيد الذى لا يُطرح على جدول أعمال الحكومة".

قانون "المقيمين غير الشرعيين" يُلزم عائلات إسرائيلية بالمغادرة

هاآرتس ٢٩/١١/٢٠٠٦

بقلم: شَحَر ايلان

اليوم من المفترض أن يبدأ النقاش حول قانون "المقيمين غير الشرعيين" فى لجنة الداخلية والأمن التابعة للكنيست. القانون اجتاز القراءة الأولى فى اليوم الأخير من الدورة الصيفية، واللجنة تقوم بإعداده الآن للقراءة الثانية والثالثة.

هذا القانون يُلزِم كل مقيم غير قانونى يُقدِّم طلبا للحصول على الجنسية فى إسرائيل، بأن يغادر البلاد لفترة فاصلة مدتها سنة حتى خمس سنوات كشرط لحصوله على المكانة القانونية فى إسرائيل. القانون سيؤثر بصورة أساسية على عرب إسرائيل الذين لن يكون بإمكانهم، بسببه الزواج من مواطنى السلطة الفلسطينية، تقديم طلب للم الشمل بدون أن يقيم الزوج أو الزوجة فى البلاد بصورة غير قانونية.

التعديل رقم ١٩ لقانون الدخول إلى إسرائيل (قانون المقيمين غير الشرعيين) يبدو للوهلة الأولى قانونا ضد المخالفين لقوانين الإقامة فى البلاد. ولكن فعليا بما أن

أغلبية طالبى الجنسية فى إسرائيل هم مقيمين غير قانونيين، وبما أن وزارة الداخلية تصعب إعطاء التصاريح لغير اليهود، فإن القانون سيمس بعشرات الآلاف من العائلات الإسرائيلية. وهو بذلك يشكل انقلابا غير مباشر فى سياسة الهجرة الإسرائيلية ويغلق المزيد من الأبواب أمام غير اليهود ويُلحِّق ضررا بالغا بحق المواطن الإسرائيلى فى اختيار شريكه فى العائلة.

فى أحزاب الوسط واليمين، باستثناء "إسرائيل بيتنا"، يسود إجماع واسع حول القانون المقترح. لذلك، سيكون تشريعه اللاحق سهلا جدا. إلا أن ورقة العمل التى قدمتها جمعية "حقوق المواطن" تقول أنه قانون يلتف على سلسلة طويلة من قرارات المحكمة العليا وأنه غير قانوني. لذلك، حتى وإن تم تمريره عبر الكنيست فى الأسابيع القريبة، فإن مصيره سيُحسّم على ما يبدو بعد أشهر طويلة أو سنوات من المداولات فى محكمة العدل العليا.

◆ **العرب هم المتضررون:**

طاقم فى مكتب المستشار القضائى للحكومة برئاسة المستشار الحالى مينى مَزوز، هو الذى تولى صياغة القانون. فى عام ٢٠٠٤ قدّم الاقتراح للكنيست لأول مرة بصورة متطرفة جدا من قِبل عضو الكنيست موشيه كحلون (الليكود)، واجتاز القراءة التمهيدية. الاقتراح الذى يجرى بحثه الآن هو اقتراح قانون حكومي، والإجماع الوطنى الواسع حوله ينعكس من خلال حقيقة أن وزير الداخلية الحالي، رونى بار أون (كاديما)، وسلفه أوفير بينيس (العمل) يؤيدانه.

الاتفاق حوله نابع على ما يبدو من كونه وسيلة لمكافحة المقيمين غير الشرعيين فى البلاد، إلا أن القانون فى حقيقة الأمر يمس بكل سكان البلاد من الناحية الفعلية، حيث يُحرّمون من الزواج من شخص لا يملك الإقامة القانونية. الإسرائيليون العرب سيكونون فى الواقع هم المتضررين الفعليين، لأن زواجهم من فلسطينى أو فلسطينية من المناطق سيحول دون حصولهم على لم الشمل الذى يستوجب بدوره وجوده فى البلاد، هذا الوجود الذى يمنع القانون الحالى بدوره تحقيقه.

عضو الكنيست جمال زحالقة يقول أن القانون هو وجه آخر لقانون المواطنة. وكل أمر موجه لضرب المواطنين العرب يمر فى الكنيست بسهولة كبيرة اليوم، حيث تسود هستيريا الديموجرافيا، و"الجدل الديموجرافى بدوره يتحول إلى جدل عنصري" حسب قول زحالقة.

القانون لا يمس بالعرب وحدهم، كما أسلفنا، وهو يشمل كل إسرائيلى يحرمه هذا القانون من الزواج ممن يريد إذا كانوا مقيمين غير قانونيين. المحامى عوديد فيلر من جمعية حقوق المواطن يقول أن القانون غير شرعى لأنه يمس بحقوق العائلات والمساواة. كما أنه يلتف، حسب رأيه، على ثلاثة قرارات لمحكمة العدل العليا.

اقتراح القانون يضع حزب "إسرائيل بيتنا" فى وضع معقد لأنه يؤيده من ناحية إذا كان موجها لتقييد تكاثر العرب، ويعارضه لأنه يمس بلم شمل عائلات المهاجرين اليهود. وعليه، يقترح الحزب إدخال تعديلات عليه، بحيث لا يمس باليهود.

وزارة العدل بدورها تقول أن القانون يأتى للدفاع عن الدولة من ظاهرة تشمل عشرات آلاف المقيمين غير الشرعيين فيها، وأنه يتوافق مع قرارات المحكمة العليا ويسمح باستثناءات إنسانية مختلفة، وهو بدوره سياسة متبعة فى دول غربية كثيرة.



٧

حوارات

حوار مع نائب وزير الدفاع "إفرايم سينيه"

المصدر: القناة الثانية بالتليفزيون الإسرائيلي ١١/١١/٢٠٠٦
برنامج: "بجوش إت هاعتونوت" (واجه الصحافة)
أجرى الحوار: أهارون برنياع وأمنون إبراموفيتش

أهارون برنياع: مساء الخير، فى حلقة اليوم نستضيف نائب وزير الدفاع وعضو الكنيست الدكتور "إفرايم سينيه".. "إفرايم سينيه" هو طبيب أمراض باطنية وعميد احتياط.. مرحبا بك د. "إفرايم سينيه".

إفرايم سينيه: مرحباً.

أهارون برنياع: ومرحباً أيضاً بزميلي "أمنون إبراموفيتش".

أمنون إبراموفيتش: مرحبا "أهارون".

أهارون برنياع: فى الحوار الذى أدليت به لصحيفة "جيروزاليم بوست" يوم الجمعة الماضى قلت: "ينبغى على إسرائيل صد التسلح الإيرانى مهما يكن الثمن، وأنا أعتبر ذلك الملاذ الأخير، ولكن أحياناً يكون الملاذ الأخير هو الملاذ الوحيد". وتعليقاً على ذلك، قدم صباح اليوم السفير الإيرانى لدى الأمم المتحدة "محمد جواد ظريف" شكوى إلى مجلس الأمن القومى ضد ما سماه "التهديدات الإسرائيلية اللاذعة".. ماذا تقصد بقولك أنه يتحتم على إسرائيل وقف التسلح النووى الإيرانى بأى ثمن..؟

إفرايم سينيه: لم أقل هذا.. لقد قلت رأيين: أولاً، أن إسرائيل لا يمكنها العيش فى ظل تهديد نووى إيراني، لأن هذا التهديد - من المعروف أنه لم يتم إطلاق أى صاروخ بعد - يعنى نهاية الحلم الصهيوني.. هذا التهديد النووى سيحول دون استمرار الهجرة لإسرائيل وسيدفع بالكثير من الإسرائيليين إلى النزوح عنها. وهذا ما يتحتم علينا منع حدوثه بأى ثمن. وأعتقد أن المقولة الأولى هى مقولة سليمة لأن نهاية الحلم الصهيونى - إن كنت على حق - هى مسألة لا يمكننا التضحية بها.

أمنون إبراموفيتش: معذرة سيد "سينيه".. هذا لا يعنى فقط نهاية الحلم الصهيونى وإنما نهاية الحلم الفلسطينى أيضاً.. كما أنك تدرك أن إسرائيل ليست لديها القدرة على القضاء على الصناعة النووية الإيرانية، وبالتالى فإن مقولة كهذه تبدو غير مسئولة.

إفرايم سينيه: أولاً لا تقل لى ما على وما لى.. والآن، أود أن أعود إلى المقولة الثانية: لقد قلت إننى لا أوصى بضربة وقائية عسكرية إسرائيلية لأننى أدرك تداعياتها، وإن كنت أعتبر ذلك هو الملاذ الأخير. لكن أحياناً ما يكون الملاذ الأخير هو الملاذ الوحيد.. أريد أن أوضح هذه النقطة.. من ينبغى عليه الآن معالجة هذه القضية هو المجتمع الدولي، لأنه أيضاً مستهدف من قبل أحمدى نجاد..

أهارون برنياع: لكن مقولتك وضعتنا على رأس

المجتمع الدولى لقيادته فى النضال ضد القضية النووية الإيرانية.

إفرايم سينيه: إننا لسنا على رأس النضال، كما أن سياستنا لا تهدف لأن نكون فى صدارته، ولكن عندما يقول أحمدى نجاد أنه يرغب فى محو هذه الدولة من على وجه الأرض، وأن هذا ليس ببعيد...

أمنون إبراموفيتش: لحظة من فضلك، تمتلك باكستان دائرة نووية كبيرة جداً، وهى دولة تشهد انقلابات عسكرية وربما تنتقل غداً الأسلحة النووية الباكستانية إلى أيدى إجرامية.

إفرايم سينيه: يمكننى أن ألقى عليك محاضرة فى الوقت المتبقى لنا عن باكستان، ولكن ذلك سيبعدنا عن الموضوع الأصلى لهذا الحوار... لكن ما الوضع عندما يقول الحاكم الإيرانى أن هذه الدولة سيتم محوها قريباً من على وجه الأرض..؟! قال لى بعض الأشخاص الذين قابلوا أحمدى نجاد: تعاملوا مع هذا الرجل بجدية لأنه متعصب وجاد ولا تستخف به. ويجب على دولة إسرائيل أن تعد الرد الذى يحول دون حدوث ذلك.

أهارون برنياع: ما هو الرد، أيحتمل أن يكون رداً عسكرياً..؟

إفرايم سينيه: الرد هو دعم قدراتنا، سواء الدفاعية أو الهجومية، بالشكل الذى يتيح لنا الحيلولة دون وقوع ذلك، فى حال عدم قيام آخرين بذلك.

أهارون برنياع: هل يعنى ذلك أنه إذا لم يفعل الآخرون ذلك الأمر يجب على سلاح الطيران الإسرائيلى الهجوم على المفاعلات النووية الإيرانية كما فعل فى تموز/ يوليو ١٩٨١ مع المفاعل النووى العراقى بالقرب من بغداد.. هل فهمت ما قلته على نحو جيد..؟

إفرايم سينيه: إننى لا أقصد ذلك، فلا وجه مقارنة بين ما حدث فى ١٩٨١ وما يحدث الآن، لكننى أقول أنه عندما تتعرض دولة إسرائيل لهجوم كهذا، يجب عليها أن تعد كل السبل التى تتيح لها الدفاع عن نفسها.

أمنون إبراموفيتش: لكن "إفرايم" ليس كل ما نرغبه نطوله، قد تكون لدى إسرائيل القدرة على عرقلة التطور النووى الإيراني، لكنها غير قادرة على القضاء عليه.

إفرايم سينيه: إسرائيل لا يمكنها القضاء على ٦٩ مليون نسمة، لم أكن أقصد ذلك.. لكننى أيضاً لا أعتقد أن هناك آخرين يقدرون على فعل شيء ما لدولة إسرائيل ولصالح وجودى أنا غير قادر على فعله.. وطالما نواجه مثل هذا العدو الذى يحاربنا فعلا، سواء ضمن صفوف الجهاد الإسلامى أو لجان المقاومة أو حماس أو حزب الله فى الجنوب اللبناني، فما عليك إلا أن تستعد له بشكل جاد، خاصة أنك لا يمكنك الاعتماد فقط على الآخرين.

أهارون برنياع: كم من الوقت مر عليك منذ توليت منصب نائب وزير الدفاع للمرة الثانية..؟

إفرايم سينيه: عشرة أيام.

أهارون برنياع: ما هى الصلاحيات المخولة لك..؟

إفرايم سينيه: انظر.. الأمر لا يتعلق بالصلاحيات، وإنما بمجالات العمل. أولاً أنا أشارك فى كل المناقشات ذات الصلة، لكننى أخذت على عاتقى ثلاث قضايا سوف أقوم بعلاجهم..

أهارون برنياع: إننى أسألك، لأنه من المتعارف عليه قبل التعيين إجراء نقاش مع الوزير حول الصلاحيات التى ستوكل إلى نائبه، ولاسيما فى وزارة الدفاع، وأنت تقول لى أنه لا توجد صلاحيات وأنك حددت بعض المجالات.

إفرايم سينيه: لم أحدد شيء، لقد أوكل لى وزير الدفاع، من خلال المناقشات والمشاورات معه، قضايا تتعلق بالجبهة الداخلية وتشكيل الاحتياط والقضية الفلسطينية والحوار معهم وقضية المناطق (الفلسطينية) وغيرها من القضايا التى تناولتها فى الماضي، وسوف أتناولها فى الوقت الحالي.

أمنون إبراموفيتش: لم يكن هناك نواب لكل وزراء الدفاع.. فهل يحتاج عَمير بيرتس لنائب فى وزارة الدفاع..؟

إفرايم سينيه: كيف..؟ بدءً من دافيد بن جوريون، الذى كان نائبه يسرائيل جاليلي، حتى شاؤول موفاز الذى كان نائبه زئيف بويم، تقريباً كل وزراء الدفاع كان لديهم نواب.

أهارون برنياع: لكن بوجه عام، هل ترى أن "عَمير بيرتس" يحتاج إلى نائب وزير دفاع بصورة تفوق أى وزير آخر..؟

إفرايم سينيه: بصورة لا تقل عن الآخرين، لأن المجالات الآن أكبر.. فعلى سبيل المثال، كانت قضية تشكيل الاحتياط مسألة بسيطة فى السابق، ولكنها الآن عبء كبير للغاية.

أهارون برنياع: لكنك تدرك ما أقصده.. إننى أقصد أن "عَمير بيرتس" ليست لديه خبرة فى القضايا الأمنية، أما أنت فلديك هذه الخبرة.

إفرايم سينيه: نعم لدى هذه الخبرة، فى الوقت الذى لا يدعى فيه بيرتس بأنه خبير عسكري، ومن ثم فإن مساعدته مهمة، وقد قلت ذلك سابقاً. وعلى أية حال، فى النهاية، القرارات القيادية توضع على طاولة الوزير.. إنك تقول صلاحيات وأنا لا أعتبرها صلاحيات، فأنا أكلف بعمل وهو التعامل مع بعض القضايا وإعدادها لكى يتخذ الوزير قراراً فيها، وهذا هو ما ينبغى على فعله.

أمنون إبراموفيتش: سيد "إفرايم"، "عَمير بيرتس"

هو أول وزير دفاع لا تربطه علاقة بقضية الأمن القومي مقارنة بـ"ليفي أشكول" و"بنحاس لافون" و"موشيه آرنس".. هل تعتقد أن يكون لدولة إسرائيل وزير دفاع بعيد كل البعد عن قضية الأمن القومي..؟

إفرايم سينيه: أعتقد أن مقولة أنه بعيد كل البعد عن قضية الأمن القومي هي مقولة غير سليمة، لأن أي شخص في الدولة يعمل بالسياسة بمستوى معين، يتعين عليه التعامل مع القضايا الأمنية...

أمنون إبراموفيتش: إنني أتحدث عن العلاقة بقضية الأمن القومي مقارنة بـ"دان مريدور" و"يوسي ساريد" ود. "يوفال شتاينيتس".. لقد كان "عَمير بيرتس" بعيداً تماماً عن كل هذا الحاضر..

أهارون برنياع: لقد جاء بأجندة اقتصادية اجتماعية.

إفرايم سينيه: "عَمير بيرتس" ليست لديه خلفية أمنية ولا أحد ينكر ذلك، وهو لا يدعي ذلك، وسوف أقول لك ما يتمتع به، وهو ما شاهدته خلال تلك الأيام العشرة، فهو يصدر قرارات سليمة ومباشرة ومسئولة وجادة وكذلك واعية في القضايا المتخصصة التي تعرّض عليه.. وهذا ما يحتاجه شعب إسرائيل. فقد يكون هناك شخص ذو خبرة كبيرة بالقضايا الأمنية، لكنه لا يتصرف بمسئولية وجدية.

أهارون برنياع: لكن هناك من يتحدثون داخل حزب العمل اليوم بعد حرب لبنان الثانية عن وقوع حرب بعد توليه منصب وزير الدفاع بخمسة أشهر، ويتحدثون عنه بألم ممزوج بحزن.

أمنون إبراموفيتش: هؤلاء هم من يتحلون بالإنسانية من بينهم، ولكن الأشرار يتحدثون بلا ألم ولا حزن.

إفرايم سينيه: إنني أتقبل ملاحظة "أمنون"، فالأشرار يتحدثون بمصطلحات أخرى، ولدينا الكثيرون منهم.

أهارون برنياع: إذاً، فإن موافقته على شغل منصب وزير الدفاع تعني أنه حفر قبره السياسي بيده..؟

إفرايم سينيه: كلا، وسوف أقول لك ما قلته لـ"يوآف"، أحد أصدقائي، إن حزب العمل لو كان يرغب في المشاركة في الحكم يجب عليه أن يشغل منصب وزاري كبير، وإلا سنكون حزب شاس رقم ٢، وكان "عَمير بيرتس" يرغب في شغل منصب وزير المالية بأي ثمن، لكن "إيهود أولمرت" لم يمنحه هذا المنصب، بالتأكيد لاعتبارات سامية، ومن ثم فقد حصل على حقيبة وزارية مهمة للغاية، وربما تكون الأكثر أهمية من حيث التأثير على مصير الدولة.

أهارون برنياع: لكن "عَمير بيرتس" سيدفع مقابل ذلك ثمناً سياسياً، فوضع حزب العمل جيد، ولكن يبدو أنه هو الذي سيدفع الثمن بشكل شخصي.

إفرايم سينيه: انظر.. إنني أعتبر هذه الحقيبة أغلى وديعة حصل عليها حزب العمل، وسوف نبذل، أنا وهو، كل ما في وسعنا حتى يتم التعامل مع هذه الوديعة على أكمل وجه وبمسئولية شديدة.

أهارون برنياع: لقد قلت سيد "إفرايم سينيه" أن "عَمير بيرتس" يقوم بالتشاور قبل اتخاذ أي قرارات مهمة.. هل تعتقد - كما يزعم الكثيرون - أن قادة الجيش يستغلون عدم خبرة "عَمير بيرتس" الأمنية والعسكرية..؟

إفرايم سينيه: أعتقد أن هذا أمر صعب، لأن العقل السليم، بالإضافة إلى قدر من الشك، هما اللذان يحسمان الأمور في النهاية.

أهارون برنياع: هل تعتقد أنه سيستمر في هذا المنصب..؟

إفرايم سينيه: انظر.. يمكنني أن أجيبك كأي شخصية سياسية بأنه سيظل حتى نوفمبر ٢٠١٠، ولكن العام الحالي سيكون عام الحسم في قضايا كثيرة داخل حزبنا، ثم هل هناك شيء متوقع في السياسة الإسرائيلية..؟ هل نعرف ثلاثتنا ماذا سيحدث بعد أسبوع..؟ سوف أبلغكم بوجهة نظري من خلال شغلي لهذا المنصب لمدة عشرة أيام، وهي أنه يجب عمل كل ما في وسعنا وبأسرع وقت، ليس لأننا نوشك على إنهاء فترة ولايتنا، وإنما لأن هناك الكثير من القضايا المهمة والمصيرية والعاجلة، ولا يمكنني الاهتمام بما سيحدث بعد فترة زمنية معينة، ولاسيما عندما يتعلق الأمر بقضايا خاصة بوزارة الدفاع.

أمنون إبراموفيتش: سيد "سينيه"، أنت طبيب وخدمت في الجيش كقائد وحدة عسكرية وكنت وزيراً للصحة ووزيراً للمواصلات.. لديكم في الحزب ٥ أو ٦ أو ٧ مرشحين لرئاسة الحزب، لماذا لا ترشح نفسك..؟ ما سبب كل هذا التواضع..؟

إفرايم سينيه: إنني لست متواضعاً، وقد أرشح نفسي في وقت ما من عام ٢٠٠٧، إنني أعرف المرشحين جميعاً، وجميعهم من نفس سني بقدر أو بآخر، وكلهم أناس أخيار وزملاء لي. لا أشعر بأن أحداً منهم أقل مني في المستوى، لكنهم جميعاً أقل مني من حيث العلاقات والخبرة. ولكنني حالياً - كما فهمتم من تصريحاتي السابقة - أريد التركيز على عملي الحالي بوزارة الدفاع.

أهارون برنياع: وإذا لم ترشح نفسك فمن ستؤيد..؟

إفرايم سينيه: لا أحد يعرف ماذا سيحدث.. كل ما أتمناه هو أن يجتاز حزب العمل هذه العملية بسلام كوحدة واحدة، وهو أهم شيء في نظري الآن.

أهارون برنياع: لقد قرأت التصريحات التي أدليت بها في حوار لصحيفة "هاآرتس"، بأنه حان الوقت لغلق

المتجر، وهدم ما هو قائم بالفعل، وتشكيل حزب جديد يضم أحزاب العمل وكاديما وميريتس والمتقاعدون.. لقد قلت ذلك.

إفرايم سينيه: لم أقل ذلك بالتحديد، وسوف أوضح لك ما كنت أقصده..

أهارون برنياع: هل تقصد تفكيك حزب العمل..؟

إفرايم سينيه: كلا.. يسود الآن وضع غير طبيعي، ويجب تغيير هذا الوضع. وأعتقد أن ما ينبغي أن يصير الآن – ليس على أنقاض حزب العمل وإنما عن طريق انفجار آخر – هو تشييد بيت لليسار غير واضح الحدود من الناحية الأيديولوجية، وسوف أوضح لك أركانه الثلاثة الأساسية: الركن الأول، إسرائيل كدولة عظمى إقليمية وقوية.. والركن الثاني، إسرائيل كدولة ديموقراطية وفقاً للنموذج الاسكندنافي، أي أوروبي شمالي.. والركن الثالث هو التوصل لتسوية مع الفلسطينيين. هذه هي الأركان الثلاثة التي إذا استطاع أحد الالتزام بها يمكنه أن يجد له مكاناً تحت هذا السقف الذي أتحدث عنه.

أهارون برنياع: أدليت بتصريحات لصحيفة "هاآرتس" وجاء فيها: "لأن أناساً كثيرين يقولون إن حزب العمل لم يكن في أسوأ حال مما هو عليه الآن".. هل يمكن يا سيد "سينيه" أن تقول بكلمات حذرة أن حزب العمل وصل إلى طريق مسدود..؟

إفرايم سينيه: لا، لم يصل إلى طريق مسدود. أعتقد أنه يحدد الطريق الاجتماعي والسياسي السليم للدولة، لكنه يعاني من أنه يجمع، فضلاً عن الأمور الإيجابية التي ذكرتها، بين طموحات أكبر وبين مسئولية أقل، ولذلك فإننا نبدو في شكل سيئ رغم صحة منهاجنا.. لذا، آمل أن يعمل كل زملائي من أجل تغيير هذا الوضع وأن يكثروا من الحديث عن إنجازات الحزب.

أمنون إبراموفيتش: كل هذا جيد، ولكنهم في نهاية الأمر (يقصد أعضاء وقيادات حزب العمل) مجرد بشر، هل تعتقد أنكم على استعداد للوقوف بجوار مرشح وأنتم تتبعون رئاسة "عَمير بيرتس"..؟

إفرايم سينيه: إننا على استعداد للوقوف بجوار المرشح الذي سيتم انتخابه، ولكن السؤال هو عما إذا كانوا داخل الحزب على استعداد للتعاون مع الشخص المنتخب أم الحكم عليه بالإعدام.

أمنون إبراموفيتش: وماذا عن إعادة السيد "إيهود باراك" إلى اللعبة..؟

إفرايم سينيه: هل تعرفون مقولة: "ادعوا إيهود"، لماذا لا تدعون "إيهود"..؟! وأنا أدرك قدراته وإنجازاته، ولكن في السياسة لا يدعون أحد.. إن كانت لديك رغبة فلتحضر، الأمور لا تسير هكذا في السياسة..

أهارون برنياع: هل تؤيد عودته..؟

إفرايم سينيه: هو صاحب القرار، وأنا أؤيد حضور أي شخص كفء.

أهارون برنياع: أريد أن أسألك بصفتك عضواً في حزب العمل والآن نائب وزير الدفاع عن الحزب، إنكم تجلسون في حكومة "إيهود أولمرت" التي انضم إليها في الأسبوع الماضي وزير جديد وجميعاً يدرك اسمه، هل تريد أن تبلغني أنك ستتعاون مع "أفيجدور ليبرمان" بصفته وزير التهديدات الاستراتيجية..؟

إفرايم سينيه: في قضايا قليلة للغاية، يمكنني أن أتعاون معه في كل ما يتعلق بالتهديدات الخارجية في ظل صلاحيات وزارة الدفاع وصلاحيات الوزارة التي ذكرتها الآن..

أهارون برنياع: نحن ندرك طبيعة هذه الوزارة.

إفرايم سينيه: كلا، ولكن على مستوى القضايا الاجتماعية والسياسية هناك فجوة كبيرة بيني وبينه.

أهارون برنياع: حسناً، دعنا نستمع إلى التصريحات التي أدلى بها "أفيجدور ليبرمان" الأسبوع الماضي لمراسل إذاعة الجيش "رازي بركاي": ("أفيجدور ليبرمان": لقد قلت إن هذا تبادل للأرض والسكان، وإقامة دولة يهودية متجانسة، وأنا لا أفهم سبب حق الفلسطينيين في دولة خالية من اليهود. وقد تعهدنا بإقامة دولة فلسطينية خالية من اليهود، وسنخلي من هناك كل المستعمرات وكل اليهود. سنقيم دولة متجانسة. ونحن في طريقنا لأن نصبح دولة ثنائية القومية، حيث إن ما يزيد على ٢٠٪ من سكان دولة إسرائيل من أبناء الأقليات)..

نحن نعرف رأيك في القضية الفلسطينية وسبل حلها.. كيف يمكن أن تجلس بجواره في حكومة واحدة..؟

إفرايم سينيه: أولاً، لقد جلسنا بجواره وبجوار أشخاص أكثر يمينية منه، مع الراحل "رحبعام زئيفي" (غاندي) و"إيفي إيتام". والسؤال هو ليس عمن نجلس بجواره وإنما عما نفعله، وهذا هو محك اختبار الحكومة في الأشهر القادمة. لقد وضع معنا رئيس الحكومة الخطوط العريضة للحكومة – التي تستند إلى كلمته التي ألقاها هنا في "نافيه إيلان" عشية الانتخابات – وهي تبدأ بضرورة التفاوض مع الفلسطينيين، وإذا التزم ببنود الاتفاق الائتلافي فلا مشكلة في ذلك، ولو أقام حلف جديد مع "ليبرمان" فإن هذه الشراكة لن تستمر.. لن تستمر هذه الحكومة إلا إذا التزمت بالخطوط الأساسية التي اتفقنا ووقعنا عليها.

أهارون برنياع: لكن ما يقوله "ليبرمان" ليس ضمن تلك الخطوط الأساسية.

إفرايم سينيه: هذه هى خطوطه الأساسية (يقصد الخاصة به).

أمنون إبراموفيتش: لكن "إفرايم" إن "أبو مازن"، الأكثر اعتدالاً، يقول اليوم إنه لن يتم التوصل لتسوية دون تطبيق ما يطلق عليه حق العودة، وهذا يعنى أنه لا مفر من الخطوات أحادية الجانب لو كنا نرغب فى إنهاء الاحتلال.

إفرايم سينيه: من المؤكد أنك استمعت إلى خطابه بالكامل.. الخطاب الذى ألقاه اليوم بعد مرور ثلاثة أيام على ما حدث فى بيت حانون هو خطاب معتدل، ويمكن استناداً إليه البدء فى مفاوضات.. نحن جميعاً نعلم أننا سنجرى مفاوضات صعبة بشأن أمرين وهما: القدس واللاجئون.

أهارون برنياع: إنك تتحدث عن التسوية الدائمة.

إفرايم سينيه: نعم، وهذا الأمر هو جزء من التسوية النهائية.. ومن المؤكد أنه سيكون محل جدال. ولكن إذا لم نأخذ زمام المبادرة، فإننا لن نتوصل إلى ذلك أبداً.

أهارون برنياع: إنك تدرك - مثلى تماماً - أن السيد الذى يجلس فى دمشق ويطلقون عليه "خالد مشعل" هو الرئيس غير الرسمى للسلطة الفلسطينية.

إفرايم سينيه: إننى لا أوافقك الرأى وسأقول لك السبب. أولاً، أن الشعب الفلسطينى هو شعب منقسم وأنتما تدركان ذلك، حيث يرغب معظمهم فى التوصل إلى تسوية مع إسرائيل تتيح إقامة دولتين لشعبين. وحتى حركة حماس فى الانتخابات التى فازت بها كانت أقلية (٤٣٪ مقابل ٥٦٪ ذهبوا إلى حركتى فتح والجهاد، وهذه هى نتيجة الانتخابات بالأصوات).. من الناحية الرسمية فإن الرجل المخول للحديث مع إسرائيل هو "أبو مازن"، كما تم اختياره بنسبة ٦٢٪ فى الانتخابات الشخصية التى نعتبرها انتخابات نزيهة... لا يمكن هزيمة حماس دون طرح أفق سياسي، والهدف من المفاوضات فى مرحلتها الأولى هو وضع صيغة عامة يستطيع "أبو مازن" عن طريقها أن يتوجه لشعبه ويقول لهم لقد اتفقت مع الإسرائيليين على هذه المبادئ، هل تسمحون لى بالمواصلة أم لا..؟! لو احتوت هذه الورقة على أمل كافٍ للفلسطينيين يمكن معه إحراز تقدم والمضى قدماً."وهذا ما أطلق عليه تعاون استراتيجى لهزيمة حركة حماس. وأود أن أكرر جملة شبيهة بما قلته عن الإيرانيين، فإسرائيل لا يمكنها العيش بجوار "فلسطين - حماس"، لا يمكنها ولن يحدث ذلك.. وهذا يعنى أنه يجب هزيمة حماس، ولا يمكن فعل ذلك دون مفاوضات، وهذا ما يجب البدء فيه.

أمنون إبراموفيتش: أوضحت ذلك بصورة جيدة.. ولكن دعنا نتحدث عن الوضع مع دمشق. أليس لزاماً علينا أن نفعل كل ما فى وسعنا فى محاولة للتوصل إلى تسوية مع سوريا..؟

إفرايم سينيه: مبدئياً طالما هناك باب، يجب أن نجد طريقة لفتحه. وأتفق معك مائة بالمائة بأن سوريا لم تفكر فى هذا الأمر أبداً. ولكننى سأقول لك ما توصلت إليه لأننى دائم الحرص على الاستماع للآخرين.. عندما سألوا السوريين عما إذا كانوا على استعداد لوقف نقل أسلحة لحزب الله وإبعاد "خالد مشعل" من دمشق وغلق الحدود السورية العراقية حتى لا تتسلل عناصر إرهابية وأسلحة.. هل أنتم على استعداد..؟ الحقيقة أنهم ليسوا على استعداد لفعل ذلك. ويقولون أولاً نريد ضمانات بشأن الجولان، ثم نفكر فى الخطوة القادمة. وهذا يعنى أن السوريين يقولون أن آخر شيء يفكرون فيه خلال مراحل الحوار بيننا هو الانفصال عن الإيرانيين. إنهم ليسوا على استعداد لفعل تلك الأمور التى نرى، وكذلك الولايات المتحدة، أنها صحيحة...

أهارون برنياع: دعنا نعُد للحديث عن طبيعة عملك.. لقد قلت إنك تشارك فى كل اللقاءات وإنك مطلع على الأمور، وأنا أريد أن أطرح عليك سؤالاً: هل القيادة العسكرية فى الوقت الحالى قادرة على استخلاص العبر على المستوى الإنسانى وتنفيذها بشأن ما حدث لنا فى حرب لبنان الثانية..؟

إفرايم سينيه: أعتقد أنها قادرة على فعل ذلك من حيث هيكلها وكفاءتها، ولكن ينبغى تحديد ما نرغب فى فعله، أى أن هناك أمران بسيطان وأمر آخر أصعب، وأعتقد أنك تدركه عندما طرحت هذا السؤال.. إعادة العتاد الذى فُقد، وهذه مجرد مسألة وقت وأموال، وضرورة تدريب الوحدات...

أهارون برنياع: يجب إصلاح القوات البرية.

إفرايم سينيه: يجب إعادة تدريبها وتأهيلها.. ولكن لو سألتنى عن أهم شيء أقول لك إعادة الروح التى كانت سائدة فى الماضى واختفت الآن.. إدارة أقل وقيادة أكثر، وهذا يتطلب مجهوداً جماعياً من جانب الجيش، وربما يمكن إحضار الأشخاص الذين كانوا يخدمون فى الماضى وتطوعوا للخدمة.. هذا ما ينبغى التفكير فيه، لأن هذا هو أهم شيء من بين كل عناصر الإصلاح الذى تتحدثون عنه..

أمنون إبراموفيتش: بصفتك عميد احتياط، هل تعتبر المشكلة الأكبر هى مشكلة التخصص العسكري..؟ وطالما يخدم جنود الجيش فى المناطق (الفلسطينية) عند الحواجز والطرق والبؤر الاستيطانية، فإن هذا لا يمثل أى تدريب لهم، ألم يحن الوقت لتشكيل قيادة خاصة بالمناطق (الفلسطينية) وتخصيص الجيش الإسرائيلى للدفاع عن دولة إسرائيل..؟

إفرايم سينيه: هذه مشكلة تنظيمية، ينبغى التوصل

لتسوية تجعل من هذا الوجود أمراً غير ضروري، ولكن المناطق (الفلسطينية) هي التي أهلّت الجيش، وهذه هي إحدى المشكلات. وسأبلغك بأمر آخر سياسي مهم، هناك محور من الدول المعتدلة على استعداد للتحالف معنا ضد قوى الشر، عندما يبدأ الصراع مع الفلسطينيين في الحل. ينبغي أن يكون في المناطق (الفلسطينية) وجود معين طالما ظل الوضع على ما هو عليه، ولكن يجب السماح للوحدات بالمزيد من التدريبات وتغيير أسلوب التعامل ونظام العمل.

أهارون برنياع: أخبرنا لو كنت مكان "بيرتس" هل كنت ستصادق على تعيين اللواءات الأربعة على أيدي رئيس الأركان أم كنت ستوقف ذلك..؟

إفرايم سينيه: أولاً، من الجيد أنه جمد هذه التعيينات حتى انتهاء التحقيقات. يجب الانتهاء أولاً من التحقيقات، فالجميع سواسية أمام القانون.

أهارون برنياع: هل تدرك ما هي أهداف عملية "غيوم الخريف" في غزة..؟ لقد توغلنا هناك وقصفنا بالمدفعية ولا تزال صواريخ القسام تسقط علينا ولم يحدث شيء.

إفرايم سينيه: لقد كان الهدف هو الاصطدام مع عناصر حماس وإصابتهم.

حوار مع "يجآل كارمون" مؤسس ومدير منظمة "ميمري" (*)



أجرى الحوار: روتي بلوم

المصدر: جيروزاليم بوست ٢٠٠٦/١١/١٦

من داخل مكتبه في القدس، وهو فرع من فروع المنظمة التي مقرها الرئيسي واشنطن ولها عدة فروع في العالم بما في ذلك بلدان عربية..!!، كرر يجآل كارمون البديهية المعروفة: "الحقائق دائما ذات وجهين". كارمون البالغ من العمر ٦٠ عاما كان قد أسس منظمته المعروفة باسم "معهد دراسات إعلام الشرق الأوسط" في عام ١٩٩٨ تحت مسمى تجسير الفجوة في لغة الحوار، بين الشرق الأوسط والغرب. ومنذ بدء المنظمة لعملها راجت الشكوك من حولها وجسدتها ردود الفعل الحذرة، والقلقة من جانب إعلاميين وسياسيين في المنطقة، وتسائل الكثيرون منهم: إلى أي مدى يمكن اعتبار ما تقدمه ميمري من ترجمات لمواد منشورة أو خطب دينية منقولة من مساجد أو تصريحات وبرامج في الإذاعات والتلفزيونات العربية والإسلامية تعبيرا عن حقيقة أو صورة العالمين العربي والإسلامي..؟

أوليست عملية اختيار هذه المواد دون غيرها ملونة بوجهة نظر ورؤية كارمون وفريقه العامل نفسه، قبل أن تكون الحقيقة المدعاة عن هذه المنطقة..؟ ورغم تلك الشكوك حظيت ميمري باهتمام كبير من جانب قطاع آخر من النخب داخل المنطقة وأصبحت ترجماتها للمواد المنقولة من الإعلام العربي والإسلامي وكذلك تقاريرها عن المنطقة منتشرة على نطاق واسع عالميا ويتلقفها إعلاميون وأكاديميون ومسئولون حكوميون، خاصة مع تزايد الاهتمام بالإرهاب الإسلامي والجدل حول أسبابه وسبل التعامل معه.

ومن جانبها ترسل ميمري أعمالها إلى أعضاء البرلمانات الأوروبية والكونجرس الأمريكي بشكل دوري.

على مدى نحو الساعة من لقاءه مع جيروزاليم بوست تحدث كارمون عن مفاهيم "الجهاد" والمقرطة، والتعددية الثقافية. ودان ما اسماه بالتحالف غير المقدس بين اليسار واليمين لإشاعتهم قول مغلوط يرى أن العرب لديهم ثقافة مختلفة ولا يمكن ولا ينبغي لها أن تتغير!!

❖ ما هو تقيمكم للتهديد الإيراني ورد الفعل الغربي عليه..؟

– ميمري منظمة بحثية ولا تقدم توصيات عملياتية. مهمتنا هي تقديم الشرق الأوسط كما هو، أو حقيقته كما هي كائنة. في هذا السياق فإن إحدى الحقائق هي وجود نظام متطرف وربما أكثر تطرفا من نظام آية الله الخميني. بعد أن وصل الرئيس أحمدي نجاد إلى السلطة نشرنا تقرير وافي عنه وعن معلمه الروحي – آية الله مصباح يازدي – وهو بالمناسبة مرشح في انتخابات ديسمبر المقبل لمجلس الخبراء وإذا ما نجح سيكون ذلك كارثة محققة، فهو وأحمدي نجاد معا يشكلون محورا خطرا على العالم كله. لقد قال أحمدي نجاد في التلفزيون ولآيات الله في دائرته الضيقة أن

"الشهادة" هي التي تميز الإنسان عن الحيوان ولو لم نكن استشهاديين لأصبحنا جميعا من الحيوانات آكلة العشب. والأسوأ من نجاد آراء معلمه يازدي.

◆ ولكن أحمدي نجاد غير معروف كمتدين..؟

- قد يبدو غير متدين، ولكن من داخله متدين. هناك أقوال وشائعات قوية - تحاول ميمري حاليا التأكد منها من خلال تتبع مقولاته - ترى أن أحمدي نجاد يتحدث ويتلقى تعليمات من الأمام المختفي (المهدي الذي يعتبر مسيح الشيعة ويؤمنون بأنه سيظهر يوما ما).

◆ إذا كان غرض منظمتك تعريف الغرب بحقيقة العالم العربي لماذا تحتاج لأن يكون لديك مكتب في بغداد..؟

- حيث أن أولويتنا هي مشروعات الإصلاح في العالمين العربي والإسلامي فإن العراق تمثل حالة مهمة بالنسبة لنا كمصدر أولي لتتبع هذه العملية وتقيمها، حيث شهدت العراق خلال عام واحد ثلاث انتخابات ديموقراطية.

◆ ولكن ما هي مشروعاتكم الأخرى التي تنخرطون فيها حاليا..؟

- مشروعاتنا الأخرى هي: العرب والعداء للسامية، الجهاد ودراسات الإرهاب، والمشروع الرابع هو تتبع المواقع الإسلامية على الانترنت.

◆ هل تعمل ميمري تحت المظلة الأمريكية في العراق..؟

- لا، رغم أننا مؤسسة بحثية أمريكية مسجلة في واشنطن ولها فروع في أوروبا وآسيا (طوكيو مثلا) ولكن العاملين في فروع المنظمة عادة ما يكونون من أهل نفس البلد الذي به هذا الفرع.

◆ ولكنك تحمل الجنسية الإسرائيلية إلا يشكل ذلك خطرا على المنظمة أن تكون لها فرعا في العراق..؟

- نعم هناك خطر.

◆ لقد ذكرت توا أنكم منظمة بحثية ولكنك عندما تصف المشروعات التي تنخرطون فيها نرى أنها تشكل أجندة محددة إلا يتضمن ذلك تناقضا..؟ إذ كيف يمكن أن نثق- في ظل وجود هذه الأجندة أو هذه النظرة المسبقة إلى المنطقة - في أمانة ونزاهة النتائج التي ستخرجون بها..؟

- أعتقد أن كلمة أجندة هنا تحتاج إلى إيضاح. في أي وقت يقوم باحث بعرض شيء غير معروف اليوم يمكن للبعض أن يقول أن لديه أجندة. عندما يكشف عالم آثار عن مدينة أثرية يكون لديه أجندة حتى يتمكن من إظهار المدينة الأثرية للوجود. وعندما يجري باحث بحثا سوسيولوجيا فهو بدوره له أجندة.

الأجندة هنا تعني الكشف عن موضوع لم يكتشف بعد، أو أنها نوع من تسليط الضوء على موضوع لم يحظ بهذا الاهتمام من قبل. وهذا يعتبر أمرا مشروعا أو أجندة مشروعة من الناحية البحثية، ولا يوجد علاقة ارتباط بين الأجندة وبين نزاهة البحث. فمهما كانت الأجندة على الباحث أن يتحلى بتقاليد علمية صارمة في بحثه، أما إذا ما كنا مثلا نحاول إثبات وجود ظاهرة غير موجودة أصلا أو العكس فإن ذلك ليس أجندة ولكنه تحامل أو انحياز.

ما أعنيه أن الحقيقة دائما ذات وجهان. وليس هناك خط مباشر يمكن رسمه - اعتمادا على معلومات مجتزئة - بين هذه المعلومات ووضع سياسي ما. ليس مهما منظور الشخص إلى الشيء، هو يحتاج أن يعرف الحقائق أولا، أما ما سيفعله بهذه الحقائق فهو أمر آخر وقضية مختلفة.

◆ ألا يمكن احتكار الحقيقة أو التلاعب بها أليس ذلك تحامل أو تحيز عندما نتهم خصومنا بما نحله لأنفسنا..؟

- سأجيب بالإحالة إلى بعض النوادر. بين عام ١٩٩٤ - ١٩٩٥ قبل تأسيس ميمري، سجلت شريط تلفزيوني لرئيس السلطة الفلسطينية ياسر عرفات وهو يدعو إلى الجهاد (الحرب المقدسة) كان رد الفعل على تسجيل الشريط أن صاح البعض اقتلوا من أذاعه (الرسول).

◆ من كان رد فعله على هذه الشاكلة..؟

- العديد من وسائل الإعلام الإسرائيلية والسياسيين. وقد احتججت حينها بقولي: "ولكنه ليس أنا من طالب بالجهاد أو دعا إليه، أنه هو (عرفات)..؟ وأجابوا على ذلك: هذا لا يغير شيئا. وذات يوم سألت صحفي بارز تجمعني به صداقة لماذا وجهتم النقد إلى عملنا لقد كنا فقط نعكس الحقيقة.

كانت أجابته التي لن أنساها ما حييت هي: ليس هناك شيء أسمه الحقيقة كل خبر يتم نقله يجب أن يكون محكوم بسؤال: من هي الجهة التي سيخدمها إذاعة هذا الخبر..؟ وأنت بما فعلته عندما أذعت الشريط الذي دعا فيه عرفات للجهاد خدمت أعداء السلام.

بفزع رددت عليه: تقول ذلك وأنت من المحسوبين كونك صحفي موثوق فيه يتوخى أمانة الخبر، وأنا من يُنظر إليَّ على أنني متحاز ومتحامل..!!

قال لي: "إذا كنت تريد أن توهمني بأنك ساذج أفعل ذلك مع شخص أخر غيري أنت تعلم أنني على حق.

قلت: لا أنا لا أعرف أنك على حق، أنا أعرف أن هناك شيء أسمه الحقيقة وإنها نزيهة.

فيما بعد عثرت على العديد من التعبيرات المماثلة لما قاله الصحفى الشهير، فعلى سبيل المثال تقول الصحفية دانا سبيكتور - فى تلك اللحظة فتح كارمون نسخة مطوية قديمة من صحيفة يديعوت أحرونوت وقرأ بصوت مرتفع - "فى الواقع لم أدخل مجال الصحافة لأقدم حقائق، فالحقيقة ليست مجال اهتمامى على الإطلاق".

على المنوال ذاته - يقول كارمون - حاولت أن أشرح لمدير مكتب رويترز فى إسرائيل واحدة من المواد المثيرة، كان شخصية جذابة وودودة، ولكنه قال: لست مضطرا لأن تطلعنى على الحقيقة، لا يوجد شيء أسمه الحقيقة هناك فقط رواية هذا الطرف ورواية مضادة لطرف آخر عن نفس الشيء.

حسنا ولكنى مازلت أصر على أن هناك شيء أسمه الحقيقة وهذا لا يلغى أن هناك روايات مختلفة باختلاف موقف من يرون حدث واحد ويقومون بسرده لاحقا. ومن المهم بالطبع أن نلاحظ ونعترف بذلك. وبدون أن اقلل من شأن هذه الملاحظة أنا أعتقد أن جوهر العمل العلمى والأكاديمى هو محاولة تقديم الحقيقة.

◆ نتحدث عن الوقائع والحقائق، كيف تأتى للجميع أن يتجادلوا حتى اليوم حول ترجمة معنى كلمة "جهاد"..؟

- العديد من الكلمات تبدأ ولها معنى محدد ثم يتطور استخدامها عبر السنين للتعبير عن معان أخرى أو دلالات جديدة.

المعنى الأصلى لكلمة جهاد فى القرآن والتراث الإسلامى فى تكويناته الأولى هو (الحرب المقدسة بالسيف). ومع الوقت تطور المفهوم أو تحور، فعلى سبيل المثال فى الأحاديث النبوية نجد الجهاد يتخذ دلالات متغيرة خذ مثلا هناك حديث عن النبى محمد يقول "لقد خرجنا من الجهاد الأصغر إلى الجهاد الأكبر" (الكفاح ضد الشر الذى بداخل كل منا وليس ضد العدو الخارجى لنا جميعا).

هذه الظاهرة اللغوية نرى لها مثيلا فى كل اللغات الأخرى نحن مثلا نقول: "شن حرب ضد المخدرات" وهذا لا يعنى أننا سنكافح ظاهرة انتشار المخدرات بالسلاح بل نعنى أو نريد أن نصور مدى جديتنا فى مكافحة هذه الظاهرة ليس إلا، ولذلك استخدمنا تعبير أو كلمة حرب.

المدافعون عن التطرف الإسلامى يذكّروننا دوما بأن جذر كلمة جهاد هو "جاهد" وتعنى بذل الجهد. ولنفرض أن ذلك صحيحا فما القول فى أن جذر كلمة revelation (وحي) هو reveal (يُظهر أو يكشف) فعلى حين يبدو لفظ يكشف reveal محايدا فإن لفظ وحى revelation له دلالة دينية واضحة الأمر، نفسه ينصرف إلى لفظ أو كلمة مثل trinity الثالوث المقدس - الأب والابن والروح القدس) فأصل هذه الكلمة أو جذرها اللغوى هو three والتى تعنى لفظا محايدا وهو ثلاثة. وما أقصده بناءً على هذه الأمثلة أنه على الرغم من صحة أن جذر كلمة جهاد هو "جاهد" ولكن كلمة جهاد لها مدلول دينى أو هى مفهوم دينى وليس مجرد كلمة.

◆ هل من الممكن تغيير الدلالات الدينية لكلمة "جهاد" وكلمات أخرى فى الإسلام كما حدث فى اليهودية والمسيحية من قبل من أجل أن يتمكن المسلمين من العيش فى الغرب..؟

- مطلقا إعادة تحديد معنى هذه المفردات هو عمل نخبوى فى جزء من المجتمعات الإسلامية (لا يتم تجذيره داخل الثقافة).

خذ مثلا كتاب عن اليهود وهو سفر esther أيستر هناك مقاطع تحوى إشكاليات عدة مثلا الانتقام من الفرس. لم يتبق شيء من هذه الذكريات لدى اليهودى العادى ولم يعد يأخذ بها ولكن عند الأصوليين اليهود الموضوع مازال له معنى مختلف. فعند أصولى مثل باروخ جولدشتاين (١) فإن دلالة البوريم (٢) عنده تقف حرفيا عند معنى الانتقام ولذلك عندما اختار ارتكاب جريمته اختار يوم عيد البوريم على وجه الخصوص.

مثال آخر: رمضان أو شهر رمضان، هذا الشهر بالنسبة للأصوليين هو شهر الجهاد والشهادة - الشهر الذى نصر فيه الله المؤمنين. اليوم - بالنسبة لعديد من المسلمين - هو شهر الروحانيات:الصوم والاحتفالات. لسوء الحظ فى كتب الدراسة فى المدارس الفلسطينية - وأعنى بذلك التى تدرسها السلطة فى مدارسها - يتعلم الأطفال أن شهر رمضان هو شهر الجهاد والشهادة والنصر للمسلمين وأنه كان كذلك طيلة التاريخ، مع ضرب أمثلة محددة لمعارك خاضها المسلمون فى رمضان.

فى عام ٢٠٠٤ شاركت فى مؤتمر نظمته الحكومة الأسبانية لأحياء ذكرى الهجمات الإسلامية فى مدريد والتى وقعت فى ١١ مارس ٢٠٠٣ . كان هناك ضمن المشاركين فى المؤتمر أوروبيين ومسلمين من مختلف الجنسيات، وتحدثت أنا عن مفهوم الجهاد لدى المسلمين، وأتت تعقيبات بعض المشاركين من المسلمين محتجة على ربط الجهاد بالهجمات الإرهابية وبدورى قمت بالرد وقلت فى البداية: لا أريد أن أعقب على هذه التعليقات بوصفى أكاديمى ولكن بوصفى يهودي..!!

صُعق الجميع مما قلت بينما واصلت حديثى قائلا:

"نحن اليهود لدينا فى الكتاب المقدس المبدأ القائل "العين بالعين والسن بالسن" ولكن حكماءنا ومفسرى كتابنا المقدس منذ قرون طويلة استبدلوا هذا المبدأ بمبدأ التعويض.

الله بالطبع يعرف كلمة "التعويض" أو "الدية" ولو كان يريد قولها(بهذا المعنى) لقالها حينما أنزل كلماته للبشر. ولكنه اختار أن يقول صراحة وبوضوح "العين بالعين". ولكن حكماءنا جاءوا وقالوا أن هذا الأمر لم يعد ملائما ومقبولا وأسقطوه فى النهاية. الأمر نفسه بالنسبة للمسيحيين فيما يخص قضية الهرطقات.

بالنسبة لقضية معاقبة المهرطقين كما كانت الكنيسة الكاثوليكية تفعل من خلال محاكم التفتيش فى القرنين الخامس عشر والسادس عشر، فى البداية كانوا يقولون ويعتقدون أن تلك كانت إرادة الله ولاحقا اسقطوا. اقترح على المسلمين أن يسيروا فى الاتجاه نفسه ويسقطوا مبدأ الجهاد والذى لم يكن من الأركان الخمسة للإسلام، فلم يعد هذا المبدأ ملائما من وجهة النظر الإنسانية، فى القرن الواحد والعشرين.

◆ كيف كان رد فعل بعض الجمهور عندما قلت ذلك..؟

– كانوا غاضبين بشدة، وأُنهيت الجلسة سريعا بعدها. اليوم عدلت موقفى بعض الشيء، وأقول إذا كان المسلمون لا يريدون إسقاط مبدأ الجهاد أو استئصاله.. حسنا فليقصروا معنى الجهاد على أنه جهاد النفس وليس المعانى المتعددة – التى يدافع عنها أغلب المسلمين – واحدها، لسوء الحظ وهو المسيطر على أغلب المسلمين، هو الجهاد بالسيف.

هذا الأمر فى يد المسلمين فى عمومهم ورغم صعوبته إلا أنه ممكن. على سبيل المثال فى الكتب الدراسية فى تونس يعلمون التلاميذ أن معنى الجهاد هو الجهاد الروحى فقط.

على الجانب المضاد الفلسطينيون مازالوا يدرسون لأطفالهم أن الجهاد هو الجهاد بالسيف. بينما يقولون لمن حولهم أن الجهاد له معانى متعددة.

◆ كيف يمكن إحداث التغيير المنشود فى العالم العربى من داخله، وهل ذلك ممكن بالفعل..؟

– هناك قوى وتيارات عديدة ومختلفة تنشط داخل العالم العربى والإسلامي، كان هذا الأمر واضحا تماما خلال حرب لبنان. السعودية ومصر والأردن والكويت وآخرون كانوا ضد حزب الله فى مقابل مؤيدين أقوياء لهذا الحزب فى الجانب الآخر مثل سوريا وإيران. لقد كان من دواعى السخرية أن أحد المواقع الوهابية على الانترنت استخدمت شريط فيديو صورته القوات الجوية الإسرائيلية يبين أن هناك صواريخ تطلق من كفر قانا ليثبت الموقع أن حزب الله يكذب..!!

◆ ماذا عن الفلسطينيين، كيف ترى أبو مازن..؟

– لقد كتبنا كثيرا عنه. منذ سنوات تحول ليكون معاديا بقوة للإرهاب بتعبيرات غير محددة أمام أكثر فئات الشعب الفلسطينى حساسية واقصد بهم الشباب فى معسكرات اللاجئين، فتعبير المقاومة يحظى بقداسة خاصة لدى الفلسطينيين ولأن تكون ضده هذا أمر فى غاية الصعوبة.

◆ ألم يصرح أبو مازن بأن الإرهاب حماقة استراتيجية..؟

– نعم فى عديد من المواقف كان موقفه من الإرهاب مفيد، ولكن فى مواقف ثلاثة منفصلة أدان الإرهاب على أساس أخلاقي.

◆ أليس ذلك أقرب للجزرة فى السياسية المعروفة (سياسية العصا والجزرة) التى تنتهجها السلطة الفلسطينية..؟

– لا.. الإنسان لا يناور مع منظومة معتقداته، دعنى أضرب لك مثالا. إذ جاءك شخص وعرض عليك أن تدلى بتصريح للـ "B.B.C" تقول فيه أن الصهيونية تساوى العنصرية، وفى المقابل ستتلقى إسرائيل ٢٤ مليار دولار تحررها من كافة ديونها هل ستقبل هذه الصفقة..؟ بالتأكيد لن تفعل.

لا توجد إمكانية للعب عندما يتعلق الأمر بالأيدولوجيا أنت تخدع نفسك بالطريقة نفسها التى كان عرفات يفعلها عندما كان حديثه بالعربية غير حديثة بالإنجليزية.

◆ ما تقوله يتناقض مع موقف المتعاطفين مع حماس من داخل السلطة الفلسطينية والذين شددوا على أن من صوتوا لحماس صوتوا فى الواقع ضد الفساد وليس دعما للإرهاب الذى تتبناه حماس. وهو أيضا يتناقض مع ما دأب الغرب على ادعائه أن الشعب الفلسطينى ضحية بريئة لتصرفات قادته وبالطبع لتصرفات إسرائيل..؟

– صحيح أن قادة الفلسطينيين هم الذين يوجهونهم (يوجهون الشعب أو الجمهور) ولكنهم يسلمون بالقيادة لهؤلاء، أنه جزء من تعليمهم أو مما تعلموه.... جزء من ثقافتهم... جزء من منظومة معتقدات يؤمنون بها، وهذا الأمر أظهرته صناديق الاقتراع، هناك ظاهرة عجيبة رافقت عملية الاقتراع فى الانتخابات الفلسطينية والتى أشارت إلى أن أغلبية الفلسطينيين يؤيدون التفاوض وأغلبهم أيضا يؤدون الهجمات الإرهابية بالقدر نفسه!!.

الأمر نفسه يمكن قوله عن أبو مازن فهو فى جانب ضد الإرهاب ولكنه على الجانب الآخر الأكثر تشددا فى المطالبة بحق العودة، وهو الوحيد الذى ذكر رقما لمن

لهم حق العودة - ٣ مليون فلسطيني - حتى عرفات لم يحدد رقما لمن يعتقد أنهم لهم هذا الحق.

◆ بعد الانتصار الساحق للديموقراطيين في انتخابات الكونجرس هل تتوقع استقبال مختلف للمواد التي ترسلها ميمري إلى أعضاء الكونجرس..؟

- لا، جميع نشراتنا التي نرسلها للكونجرس تعكس الصور عن الأحداث والمواقف بشقيها أو بتفاصيلها، نحن نعرف أن العديد من الديموقراطيين في الكونجرس مهتمون بمعرفة الحقيقة. ولكني لا أتوقع أي تغير كبير في سياسة الولايات المتحدة في ضوء نتائج هذه الانتخابات.

◆ ألا تعتبر نتائج الانتخابات في الكونجرس تصويت بعدم الثقة في الرئيس الأمريكي وسياسته..؟

- بعض النظر عن الحديث عن فشل سياسة بوش، أنا اعتقد أنه يستحق الثقة، وليس الانتقاد... وأنا أؤسس هذا الرأي على ما أراه في العالم العربي، لقد غير بوش هذه المنطقة، التي لم تتغير خلال قرنين مضيا، لقد بدأ بوش طريق للإصلاح لا يمكن الارتداد عنه في هذه المنطقة. ومن دون شك كان لابد أن يواجه هذا العمل بمقاومة عنيفة وحادة من داخلها.

◆ ربما يكون بوش قد بدأ بالفعل عملية المقرطة في العالم العربي، ولكن ألا تخضع أوروبا حاليا لمسار عكسي أي تتجه نحو الأسلمة..؟

- لا يعني زيادة عدد المسلمين في أوروبا بالضرورة مزيد من الاتجاه نحو الأسلمة هناك، لقد خلقت عملية زيادة المسلمين في أوروبا صعوبات مؤلمة لكلا الطرفين: للمهاجرين المسلمين والبلاد الأوروبية التي استقبلتهم على حد سواء، حيث أدت صعوبة عملية التأقلم بالنسبة لهؤلاء المهاجرين في البلاد التي هاجروا إليها إلى جعلهم فريسة سهلة للإسلاميين، ورغم ذلك ما يزال من المبكر القول بأن الإسلاميين فازوا بالمعركة، فالواقع أن القليل من المسلمين هم الذين انخرطوا في الإرهاب داخل أوروبا أما الأغلبية فإنها تحاول التأقلم مع المجتمعات التي تأويهم.

نحن نحتاج إلى شرح السياسة الأوروبية التي تنقسم عادة إلى نوعين، النوع الأول ويمكن أن نسميه النموذج الألماني والقائم على التعددية الثقافية بدلا من محاولة تحقيق الاندماج بالنسبة للمهاجرين، وترمي هذه السياسة إلى تفادي الثمن المؤلم لهذه العملية تاركة المهاجرين في مجتمعاتهم المغلقة عليهم ويبررون ذلك باسم "الاحترام" أو احترام الآخر. وهذا نوع من النفاق والعنصرية معا.

وكأن هذا النموذج يقول للمهاجرين ابقوا في جوارنا: ختنوا واقتلوا نساءكم. نحن نحترمكم ونحترم ثقافتكم كيفما كانت. أنها سياسة الابتعاد عن مجتمعات المهاجرين وعن مشاكلهم بدلا من محاولة التقارب معهم وحل مشكلاتهم.

النوع الثاني من السياسات الأوروبية وهو ما يجسده النموذج الفرنسي هو محاولة دمج المهاجرين في المجتمع الفرنسي.

ووفقا لهذه السياسة أو هذا النموذج: على المسلمين أن يتوافقوا مع الثقافة الفرنسية أو يتبنوها وكذلك أن يتبنوا المبادئ التي أقيمت عليها الجمهورية الفرنسية حتى لو بقوا مسلمين، الأئمة الذين يودون أن يتلقوا رواتب من الحكومة عليهم تلقي دورة تدريبية لمدة ثلاثة سنوات لتعلم اللغة الفرنسية والثقافة والتاريخ والنظام السياسي في البلاد.

ولكن هذا التوجه أنتج مزيد من الضعف لأن البوليس والمؤسسات الحكومية الأخرى وجدت نفسها مضطرة للصدام مع منظومة التقاليد الإسلامية وهي تحاول تطبيق قوانين وقواعد الحكم في الجمهورية. لقد اصطدموا في محاولتهم تلك مع الشيوخ المسلمين الذين قاتلوا ليحافظوا على سيطرتهم على المسلمين في فرنسا، ولكن هذا النوع من السياسيات (سياسة الإدماج) هو الفرصة الوحيدة لأوروبا لكي تتفادى هي والمسلمون الصدام.

خلال تمردات العام الماضي في فرنسا كتب وزير الداخلية الفرنسي "ساركوزي" مقالا في "اللوموند" مجليا فيه واقع المأساة الفرنسية بقوله: هل الأحياء التي يعيش هؤلاء المهاجرون فيها حول باريس هي أحياء في شمال أفريقيا أو جزء من الجمهورية الفرنسية..؟ الإجابة يجب أن تكون واضحة.

من الرائع أن العديد من الأمريكيين يتبنون منظور التعددية الثقافية باعتباره الأفضل للجميع. أنهم نفس الفئات والأشخاص الذين اتهموا بوش بمحاولة فرض الديموقراطية على العرب. وفقا لذلك فهم يصلون إلى نتيجة محددة وهي أن العرب غير مهتمين ولا يستحقون القيم التي يعيش أغلبهم (أي الأمريكيون) بها: قيم الحرية، المساواة، حقوق الإنسان، الخ. وهذا يعني أنهم يعتقدون أنهم (أي العرب) أقل شأنا ولا يستحقون أن يتم إنقاذهم من مصيرهم.

هناك تحالف غير مقدس بين اليمين واليسار يعتمد على مقولة أن العرب لديهم ثقافة مختلفة لا يمكن لها - ولا ينبغي - أن تتغير.

هذا الوضع برمته محض هراء وغير أخلاقي. العرب بشر مثلنا تماما ويستحقون أن يستمتعوا بما نستمتع به نحن.

أنهم يتصرفون (أي اليمين واليسار) على النحو

الوارد فى احد مقاطع مسرحية تاجر البندقية عن اليهود وإذا ما أزلنا كلمة يهود فى نص شكسبير واستبدلنا بها" العرب" لما أختلف كلام شكسبير عن اليهود عن الكلام الذى يردده البعض عن العرب فى الوقت الراهن. وراح كارمون يسرد هذا المقطع من مسرحية شكسبير مستبدلا لفظ اليهود بالعرب.

الهوامش:

(❖) يجآل كارمون خدم ككولينيل فى جيش الدفاع فى الفترة ما بين عامى ١٩٦٨ و١٩٩٨ .

فى أثناء الفترة ١٩٧٧ - ١٩٨٢ عمل كرئيس للإدارة المدنية فى الضفة الغربية.

شغل منصب مستشار رئيس الوزراء فى عهدى شامير ورابين لشئون مكافحة الإرهاب فى الفترة ١٩٨٨ - ١٩٩٣ .

شارك فى وفد المفاوضات التى انبثقت بعد مؤتمر مدريد فى المسار السورى ١٩٩١ - ١٩٩٢ .

١- باروخ جولدشتاين: طبيب وأصولى يهودى متطرف أرتكب المذبحة البشعة فى الحرم الإبراهيمى وقتل ٢٩ مصليا فى فبراير ١٩٩٤ .

٢- يرتبط عيد البوريم عند اليهود والتى تمتد أيام الاحتفال به إلى أربعة عشر يوما بين نهاية شهر فبراير والأسبوع الأول من مارس كل عام... يرتبط الاحتفال بأسطورة انتقام إستر من الفرس.

حوار مع "بنيامين إيلون" رئيس قائمة "الاتحاد القومي-المفدال" فى الكنيست:

"ليذهبوا إلى بلغاريا، إنهم يريدونهم هناك"

أجرى الحوار: جدعون آلون
هآرتس ٢٠٠٦/١١/٦

هناك فجوة ضخمة بين شخصية عضو الكنيست "بنى إيلون" اللطيفة وبين مواقفه السياسية المتشددة. إيلون، وهو ابن نائب رئيس المحكمة العليا المتقاعد مناحم إيلون، لا يوجه الانتقادات أو السباب بشكل فظ إلى خصومه السياسيين. إنه يتحدث برقة، حتى عندما يتحدث تفصيلا عن خطته الوهمية بعض الشيء حول ترحيل الفلسطينيين من المناطق (الفلسطينية) طواعية.

يعتبر إيلون، الذى يبلغ من العمر ٥٢ عاماً، سياسى من صنف آخر. فهو لا يلاحق الصحفيين، ولا يوزع كل يوم أنباءً على الصحافة. إنه يرأس بالفعل قائمة الاتحاد القومي- المفدال، لكنه لا يشعر بأنه زعيم الحزب، حيث نجده يقول: "أشعر بأننى لا أملك صلاحيات قيادة حزب الاتحاد القومي- المفدال، فأنا لست مثل أفيجدور ليبرمان فى حزب يسرائيل بيتينو أو إيلى يشاى فى حزب شاس".

فى مطلع هذا العام، قبل فترة قصيرة من انتخابات الكنيست السابعة عشرة، أصيب إيلون بسرطان فى الأحبال الصوتية. وقد أجرى عملية ناجحة لإزالة الورم فى مستشفى بيلينسون، وخضع طوال ثلاثة أشهر بشكل يومى للعلاج بالإشعاع فى مستشفى هداسا بالقدس. وقد قال موجهاً شكره للملائكة الذين اعتنوا به فى مستشفى هداسا: "إننى فى مرحلة المتابعة، لكننى أصبحت معافى الآن، والحمد لله على ذلك".

❖❖ " ليبرمان شخص يتمتع بشعبية جماهيرية" :

❖ هل فوجئت بقرار أفيجدور ليبرمان بالانضمام إلى الحكومة..؟

- "لا.. ليبرمان يمر بمرحلة يتبوأ فيها مكانته على الساحة السياسية. إننى أعتبر اقتراحه، بأن تمر حدود الدولة عند مفترق طرق كركور وتصبح منطقة أم الفحم جزءاً من الدولة الفلسطينية، اقتراحاً شعبياً (يقصد أنه لا يجب أن يصدر عن شخصية سياسية كبيرة مثل ليبرمان) يفتقر إلى المسئولية. حتى فى سيره نحو الوسط لا يعتمد على أيديولوجية. وحتى فيما مضى، لم يكن يُبدى أى نوع من الثبات فى القضايا الجوهرية. لقد قال عشية الانتخابات أنه على استعداد لترك منزله فى مستعمرة نوكاديم".

❖ هل سيكون انضمامه للحكومة لفترة قصيرة من الوقت..؟

- " ليبرمان دخل الحكومة على افتراض أنه يستطيع أن يقوم بالتغيير بواسطة شخصيته القوية. إنه يعتقد خطأ أن المنصب الذى عُرض عليه فى الحكومة منصب تنفيذي.

لكنه سيكتشف خطأه بسرعة، لأنه لا يستطيع أن يعمل فى المجال الاستراتيجي، ولن يستمر وجوده فى الحكومة طويلاً".

◆ هل تؤيد مشروعه بأخذ إسرائيل بالنموذج القبرصى والقيام بفصل بين اليهود والعرب الذين يعيشون فى إسرائيل..؟

– "هذا الاقتراح وهمى وليس واقعياً. فالاقتراح يسعى إلى إرضاء الجمهور اليهودي، خاصة أن استطلاعات الرأى تشير إلى أن عرب إسرائيل يزعجونه (يقصد الجمهور اليهودي) أكثر من عرب المناطق (الفلسطينية).. لكننى لا أعتقد أن عرب إسرائيل هم أساس المشكلة، فهم فى النهاية مجرد أقلية. يجب علينا فى المرحلة الأولى حل مسألة العلاقات بيننا وبين الفلسطينيين، وبعد ذلك يمكن أن نقوم بترتيب مسألة العلاقات مع عرب إسرائيل".

◆ لماذا اعتدل يمينيون بارزون فيما مضى أمثال أولمرت وليبرمان وتسيبى ليفنى فى مواقفهم..؟

– "استنتاجى الذى ينبع من شعورى بالحزن هو أن الحركة اليمينية العلمانية، التى تفتقر إلى عامود فقرى يقوم على الإيمان، قد أفلست. حيث لم تحظ "حركة هتحياه" بنسبة الحسم، وانهار حزب تسوميت، واتجه آريك شارون والنواة الصلبة لحزب الليكود نحو الوسط، والآن يقوم ليبرمان بالشيء ذاته. ربما كان غاندى (رحبعام زئيفي)، رحمه الله، هو آخر أتباع الحركة اليمينية العلمانية.. أين الجمهور العلمانى الذى يوجد فى مظاهرات اليمين..؟ أين إخلاصهم للحركة اليمينية..؟ يوجد أشخاص على هذه الشاكلة، مثل عضو الكنيست آرييه إلداد، لكننى لا أعرف إذا كانوا يملكون تفويضاً من الجمهور أم لا".

◆ فى جلسة الكنيست فى ذكرى مرور خمس سنوات على اغتيال رحبعام زئيفى قلت: "المشكلة الديموجرافية لن تحل من تلقاء نفسها. لم يفت الوقت بعد كى نتعلم من تراث غاندي".. فهل لا زلت تؤمن بفكرة الترحيل..؟

– "نعم. لم يتحدث غاندى يوماً عن الترحيل بالإكراه، بل عن الترحيل طواعية فقط. يمكن أن نتخلص من مخيمات اللاجئين الفلسطينيين فى المناطق (الفلسطينية) عن طريق منح ١٠٠ ألف دولار لكل أسرة توافق على الهجرة إلى دولة أخرى. فإذا استجابت مليون أسرة فلسطينية للعرض، الذى يصل تكاليفه إلى ١٠٠ مليار دولار، سنحل المشكلة الديموجرافية".

◆ من أين ستأتى بمبلغ ١٠٠ مليار دولار..؟

– "تحصل إسرائيل سنوياً على معونة أمريكية خارجية تقدّر بثلاثة مليارات دولار. إذا أخذنا أموال المعونة وقمنا بتوفيرها على مدى ٢٠ عاماً، سيكون فى حوزتنا ٦٠ مليار دولار، وإذا أضفنا إلى ذلك أموال الصناديق الأمريكية والأوروبية، التى تتدفق إلينا، نستطيع الوصول إلى ١٠٠ مليار دولار".

◆ هل تعتقد حقاً أنه فى مقابل ١٠٠ ألف دولار ستنجح فى إقناع عائلات فلسطينية بالتخلى عن منازلهم..؟

– "بالتأكيد. لقد أجريت دراسة استخلصت منها أن هناك دولاً كثيرة، مثل بلغاريا والبوسنة، على استعداد لاستيعابهم. عندما تتوجه إلى هناك عائلة تملك ١٠٠ ألف دولار، سيكون هناك إقبال عليها وستصبح عائلة ثرية بالفعل. هناك فى غزة الآن عائلات تعيش فى جحيم، يجب تشجيعهم على الرحيل".

◆ كيف ستشجعهم..؟ سيقولون، وهم على حق، إن هذا هو منزلهم. وعلاقتهم بالأرض أقوى من علاقتنا بها.

– "إننا أقنعنا أنفسنا بذلك وأجرينا عملية غسيل مخ لأنفسنا. لدى قائمة تضم عشرات الأسر العربية من القدس الشرقية قمنا بشراء منازل منهم وهاجروا إلى أمريكا الجنوبية، إلى هندوراس ودول أخرى. هل لديك فكرة عن عدد العرب الذين يعيشون فى أمريكا وأوروبا..؟".

◆ كيف ستتصرف مع الفلسطينيين الذين سوف يرفضون الرحيل..؟

– "باحترام شديد. كل الأشخاص الذين لا يعتبرون من اللاجئين ويمتلكون منزلاً، سيصبحون مواطنين أردنيين. سيقيمون هنا، لكنهم سيقومون بالتصويت من أجل المجلس التشريعى فى عمّان. لن نتدخل فى شئون الدين والتعليم والثقافة، وسيصبحون جسراً للسلام. سيتم حل السلطة الفلسطينية ولن تقوم دولة فلسطينية بين إسرائيل والأردن، لأن هذه الدولة – دون وجود امتداد إقليمى بين غزة ويهودا والسامرة (الضفة الغربية) – لا يمكن أن تقوم".

◆ وماذا عن عرب إسرائيل..؟

– "سيتمتع عرب إسرائيل، الذين يرغبون فى أن يكونوا مواطنين إسرائيليين، بجميع الحقوق ويؤدون ما عليهم من واجبات، وسيكونوا مطالبين بتأدية الخدمة الوطنية. وبقدر ما يستطيعون البقاء هنا، سيملكون أيضاً خيار أن يكونوا مواطنين أردنيين".

◆ سيقول الكثيرون أن هذا اقتراح عنصري.

– "أى عنصرية فى هذا الاقتراح..؟ هل يريدون أن يجعلوا من سفك الدماء أمراً أبدياًأب..؟ لماذا لا يدركون أنه لا يوجد لدينا دولة يهودية أخرى، وفى مقابل هذا توجد الكثير من الدول العربية..؟ لا يريد الفلسطينيون مجرد إقامة دولة فلسطينية، بل يرغبون فى محو إسرائيل من الوجود. لذلك، فإننى أعتبر خطتى السياسية هذه وسيلة لإدارة معركة من أجل وجودنا".

◆◆ "عام حرج":

◆ وفقاً لاستطلاع الرأى الذى نُشر مؤخراً، يعتقد ٣٠٪ من الجمهور أنه يجب العفو عن القاتل يجئال عامير. فما رأيك..؟

- "نتائج هذا الاستطلاع خطيرة، نظراً لأنها تشير إلى إخفاق هائل.. إننى أتجول فى المدارس وأسمع مثل هذه الأقوال من التلاميذ. عندما لم يسمح اليسار لليمين بأن يكون شريكاً فى استيعاب مدلولات وتداعيات هذا الاغتيال، فإنه يخلق وضعاً يعتقد فى ظله أشخاص حمقى فى اليمين أن هذه مشكلة اليسار. ولكن الحقيقة أن الاغتيال ليس مشكلة اليسار، فاغتيال رابين كان بمثابة منعطف خطير لدولة إسرائيل قضى عليها كلها (يقصد إسرائيل بيسارها ويمينها)".

◆ ألا تخشى أن يأتى خلال عدة سنوات رئيس يقوم بالعفو عن عامير..؟

- "أنا أعارض العفو عن يجئال عامير وأعتقد أنه لن يأتى رئيس يمنحه هذا العفو. الحديث عن العفو خطير، لأنه يوضح للأطفال فى اليمين أن الاغتيال لم يكن عملاً رهيباً. فى مقابلاتى مع الفتية فى المدارس، أقول لهم: إننا نكره هذا القاتل وسنحرص على أن يبقى فى السجن للأبد. إذا كان بينكم من يفكر فى القيام بمثل هذه الأفعال، عليه أن يعلم أنه سيحظى بكراهية الجميع...

"ما يقلقنى حالياً أن هناك أطفال يتربون وهم يعتقدون أن المشكلة ربما تكون مشكلة يسار ويمين. إننى أوجه دعوتى للأشخاص فى اليسار قائلاً: "توخوا الحذر فى كلامكم. التراث الذى تريدون أن تخلدوه ليس ميراث رابين، الذى لا يقل أهمية عن ميراث موشيه شاريت، بل وفى نظرى يعد أكثر أهمية من ميراث إسحاق رابين".

◆ لا يعرفك الجمهور على أنك زعيم الاتحاد القومي- المفدال.. لماذا..؟

- "صحيح أننى على رأس القائمة (يقصد على رأس قائمة الحزب فى الكنيست)، لكن هذا الأمر ليس حقيقي. لا أشعر بأننى أمتلك تفويض لقيادة حزب الاتحاد القومي-المفدال. أقترح عدم الانتظار حتى انتخابات الكنيست القادمة والانشغال مرة أخرى بالصراع والجدال حتى اللحظة الأخيرة، والإسراع بعقد مؤتمر يضم ٢٥٠ ألفاً من الناخبين الذين قاموا بتأييدنا وانتخاب زعيماً لحزب الاتحاد القومي. ومن سيتم انتخابه، يكون زعيم الحزب".

◆ كيف يتعين على إسرائيل التعامل مع تهديد الرئيس الإيرانى بتدمير إسرائيل..؟

- "يعتبر العام القادم حاسماً، ولذلك كان يجب على إيهود أولمرت أن يقوم بتشكيل حكومة طوارئ وطنية، إلا أنه فضّل أن يضم ليبرمان فقط إلى حكومته. سيخشى أولمرت القيام بعمليات جريئة ضد إيران من أجل منعها من إكمال المفاعل النووي، لأن أى عملية سيبادر بها سيتم تفسيرها على أنها عملية سياسية. كما ستثير أى عملية يقوم بها الموساد الانتقادات ضد أولمرت، إلا إذا كان هناك إجماع واسع النطاق حول ضرورة القيام بها".

◆ من محددات السياسة الإسرائيلية فى هذا الصدد عدم قيادة الصراع الدولى ضد إيران (منذ أيام شارون).. فهل تقترح أن تكون رأس الحربة فى هذا الصراع..؟

- "منذ اللحظة التى أعلن فيها الرئيس الإيرانى بأن هدفه هو محو إسرائيل من على خريطة العالم، سنكون مسئولين مسئولية جماعية إذا تجاهلنا هتلر الجديد وقلنا إنه يمزح. يتوجب علينا من الناحية الأخلاقية أن نكون أول من ندعو العالم وأن نقول للجميع: إنكم لا تستطيعون الموافقة على أن يقوم رئيس إحدى الدول الأعضاء فى الأمم المتحدة بالتهديد بتدمير دولة أخرى.. إذا كانت هناك فرصة لأن نمنع إنتاج القنبلة النووية بالطرق الدبلوماسية، يُفضّل أن يقوم بهذا الأمر إمبراطورية مثل الولايات المتحدة الأمريكية. وإن كان السؤال الذى يطرح نفسه هنا هو ماذا سيحدث لو لم تنجح الولايات المتحدة بزعامة بوش فى منع مواصلة إنتاج القنبلة النووية بالطرق الدبلوماسية..؟".

◆ هل علينا التعامل بجدية كاملة مع تهديدات أحمدى نجاد..؟

- "بالتأكيد. يجب علينا أن ندرك فى هذه اللحظة أن كراهية إسرائيل ستنتشر وستأخذ شكلا من الأشكال. ومن أكبر المخاطر التى تواجهنا هو أن تظهر الكراهية مرة أخرى كما حدث فيما مضى. فالكراهية ستظهر هذه المرة بلا موسيقى فاجنر أو خلفية مسيحية، بل فى ظل وجود خلفية إسلامية. الجمهور فى إسرائيل لا يستوعب أنه يوجد ملايين المسلمين تربوا منذ نعومة أظفارهم على بروتوكولات حكماء صهيون وعلى كراهية اليهود. وهذا يحول قضية أراضى مقابل السلام إلى أمر محزن، والصراع الإسرائيلي - الفلسطينى إلى نفق مظلم".

◆◆ بينى إيلون فى سطور:

- وُلد عام ١٩٥٤ فى القدس.
- الحالة الاجتماعية: متزوج وأب لستة أبناء.
- محل الإقامة: بيت إيل
- الثقافة: خريج مدرسة ثانوية ودينية (المدرسة الدينية العالمية وكذلك "مدرسة إيدرا الدينية")، حاصل على شهادة الإعداد للحاخامية (١٩٧٨).
- اللغات: الإنجليزية والعبرية.
- النشاط العام: من زعماء حركة "هذه بلادنا"، ومبعوث الوكالة اليهودية إلى منظمات الطلبة اليهود فى أمريكا الشمالية (١٩٨٣- ١٩٨٥)، ومؤسس ورئيس المدرسة الدينية اليهودية "بيت أوروت" (١٩٩٠- ١٩٩٦).
- عضو فى الكنيست منذ عام ١٩٩٦ .
- وظائف فى الحكومة: وزير السياحة (أكتوبر ٢٠٠١ - مارس ٢٠٠٢)، (فبراير ٢٠٠٣ - يونيو ٢٠٠٤).

ترجمات عبرية



استطلاعات

مقياس السلام لشهر أكتوبر ٢٠٠٦ (*)

هاآرتس ٢٠٠٦/١١/٧
بقلم: إفرايم ياعر وتمار هيرمان

تعتقد أغلبية كبيرة من الجمهور اليهودى أن السنوات المقبلة لن تشهد سلاماً بين إسرائيل والعرب. وتوضح نتائج مقياس السلام أن هذا التشاؤم لم يظهر مؤخراً، وإنما تبلور منذ ست سنوات، عقب فشل مؤتمر كامب ديفيد (٢) وبداية الانتفاضة الثانية. وعندما نتحرى فرص السلام، مع سوريا والسلطة الفلسطينية بشكل خاص، تظهر صورة مماثلة، بل إن نسبة التشاؤم بشأن فرص السلام مع سوريا تفوق بكثير النسبة فيما يتعلق بالفلسطينيين.

لم ينته الأمر عند هذا الحد، حيث أن مواقف الجمهور فيما يتعلق بسوريا أكثر تشدداً: فالغالبية العظمى تعارض اتفاقية سلام كاملة مقابل الانسحاب الكامل من هضبة الجولان، وذلك حتى لو خاطب الرئيس السورى بشار الأسد علانية الجمهور الإسرائيلى، وأعلن عن رغبته فى السلام الكامل، وذلك حتى رغم الاعتقاد السائد بأنه لو لم يتم التوصل لاتفاقية سلام ستندلع حرب بين إسرائيل وسوريا سواء آجلا أم عاجلا.

هناك حالة من عدم الثقة فى إمكانية إحلال السلام، رغم، وربما بسبب، اعتقاد الأغلبية بأن الوضع الأمنى القومى أسوأ بكثير مما كان عليه قبل عام.. وبناءً على هذا الإحساس، يكمن ربما شعور بعدم الثقة الجارف فى إمكانية كل من وزير الدفاع ورئيس الحكومة على قيادة السياسة الأمنية لإسرائيل، وأيضاً نفس الشعور الذى يظهر فى نسبة الراضين عن انضمام أفيجدور ليبرمان للحكومة كوزير مسئول عن التهديد الاستراتيجي، حيث إن نسبة من يعتقدون أن ضمه سيضر بالأمن القومى تزيد بقدر ملحوظ على نسبة من يعتقدون أنه سيضعفه.

وفيما يلى النتائج الأساسية لمقياس السلام لشهر أكتوبر الذى أجرى فى يومى ٣١ أكتوبر والأول من نوفمبر ٢٠٠٦:

◆ السلام مع سوريا:

فى الإجابة على السؤال الخاص بما إذا كانت السنوات المقبلة ستشهد سلاماً بين إسرائيل والعرب فى الشرق الأوسط، قالت أقلية تبلغ ١٧٪ أنهم يثقون أنه سيكون هناك سلام، فى حين أن ٦٨٪ أجابوا بأنهم يثقون أو يعتقدون أنه لن يكون هناك سلام.

وتفيد نتائج استطلاعات رأى مقياس السلام فى العقد الأخير بأنه حتى نهاية التسعينيات كانت نسبة من يعتقدون أنه ليست هناك فرص لسلام مع العالم العربى أقل من ٤٠٪. وفى أكتوبر ١٩٩٩، أى قبل سبع سنوات بالتحديد، كانت ٣٧٪. ولكن بعد مرور عام، أى فى أكتوبر ٢٠٠٠، طرأ ارتفاع حاد فى نسبة غير الواثقين فى فرص السلام، حيث بلغت النسبة ٦٠٪، ومن المؤكد أن ذلك يرجع إلى فشل مؤتمر كامب ديفيد فى يوليو ٢٠٠٠ واندلاع الانتفاضة الثانية.. وقد استمر هذا المؤشر أيضاً بعد عام، وفى أكتوبر ٢٠٠١ بلغت نسبة غير الواثقين فى فرص السلام ٦٨٪، وهى شبيهة بنسبة غير الواثقين فى الاستطلاع الحالي، وهو ما

يعنى أن النسبة المرتفعة لـ"غير الواثقين" اليوم هى استمرار لمؤشر متواصل لم يتغير عقب التطورات الأخيرة.

تظهر صورة تشاؤمية مشابهة أيضاً عند تحرى فرص السلام بشكل خاص: فتجد أن نسبة من يثقون فى فرص السلام مع سوريا تبلغ ١٨٪، فى حين أن نسبة غير الواثقين فى فرص سلام مع سوريا تبلغ ٦٣٪ (١٩٪ لا يعرفون). ويبدو أن عدم الثقة فى فرص السلام مع سوريا مرتبط بالمعارضة الشديدة للانسحاب الكامل من هضبة الجولان، حيث يؤيد نحو ١٦٪ هذه الصيغة، بينما يعارضها ٦٧٪.

فضلاً عن ذلك، حتى لو كان الرئيس السورى يخاطب الجمهور الإسرائيلى علانية معرباً عن رغبته فى السلام الكامل، يعتقد معظم الجمهور (٦٢٪) أنهم لن يغيروا موقفهم، حتى لو كانت هذه الصيغة قوية أو قوية للغاية، ولم يؤيدها سوى ٣٤٪.

وبخصوص السؤال عما سيحدث لو لم تتوصل إسرائيل وسوريا إلى سلام، تبين أن ٤٠٪ من الجمهور يعتقدون أن الوضع الحالى سيستمر لسنوات طويلة، فى حين أن الأغلبية (٥١٪) يعتقدون أنه إن آجلاً أم عاجلاً ستندلع حرب أخرى بين البلدين، أى أن الجمهور اليهودى متمسك بمعارضته لصيغة السلام الكامل مع سوريا مقابل الانسحاب الكامل من هضبة الجولان، حتى فى ضوء احتمال اندلاع حرب بين البلدين.

يبدى الجمهور مواقف متشددة فيما يتعلق بالنظرة إلى سوريا رغم، وربما بسبب، الاعتقاد السائد بأن هناك تراجع فى حالة الوضع الأمنى القومي، يبدو أن سببه صعود حماس إلى الحكم، واستمرار إطلاق صواريخ القسام ونتائج حرب لبنان. ويعتقد ٥٧٪ أن الوضع الأمنى القومى قد ساء مقارنة بما كان عليه قبل عام، بينما يعتقد ٢٩٪ أنه لم يتغير، ويعتقد ١٠,٥٪ أنه تحسن بشدة، و٣,٥٪ لا يعرفون. وعندما يدور الحديث عن الأمن الشخصى تقل الصورة خطورة، ويبدو أن ذلك يرجع إلى انخفاض عدد العمليات الإرهابية: فالنسبة الأكبر من الجمهور (٤٧٪) يعتقدون أنه لم يتغير إحساسهم بالأمن الشخصي، فى حين أفاد ٤٠٪ بأن الوضع ازداد خطورة، بينما أعرب ١٠,٥٪ أنه تحسن بشدة.

❖ ضم ليبرمان للائتلاف الحكومي:

فى ضوء هذه المشاعر، يمكن تفسير عدم الثقة التامة فى قدرة رئيس الحكومة إيهود أولمرت ووزير الدفاع عَمير بيرتس على قيادة السياسة الأمنية لإسرائيل. وعلى السؤال حول مَنْ مِنَ الوزراء التاليين يمكن الاعتماد عليه فى قيادة مسيرة بلورة السياسة الأمنية لإسرائيل، ذكر ما يقرب من ٢٪ بيرتس و٦٪ أولمرت.. وفى مقابل هذه النسب الصغيرة، حصل وزير الأمن الداخلى آفى ديختر ووزيرة الخارجية تسيبى ليفنى والوزير الجديد أفيجدور ليبرمان على ١٧٪ لكل واحد منهم.

إن الاندماج السريع للوزير ليبرمان فى الثلاثية التى يمكن الاعتماد عليها فى قيادة الشأن الأمني، يتماشى مع المعلومة التى تفيد بأن ٤١٪ من الجمهور راضون عن ضمه للحكومة مقارنة بنسبة ٣٢٪ يرون عكس ذلك، بينما ٢١٪ لا رأى لهم.

من الأهمية بمكان التأكيد على أن هذا التأييد لضم ليبرمان يأتى رغم الاعتقاد السائد (٤٢٪) بأن هذه المسيرة ستؤثر بالسلب على العلاقات بين اليهود والعرب فى إسرائيل (٢٩٪ فقط يعتقدون أنه لن يؤثر و١٠٪ يعتقدون أنه سيؤثر بالإيجاب). وتظهر صورة أخرى، لكنها أقل اعتدالاً، فيما يتعلق بتقدير تأثير ضم ليبرمان للحكومة على فرص استئناف المفاوضات السياسية مع الفلسطينيين. وهنا صحيح أن النسبة الأكبر هى لمن يعتقدون أن هذه المسيرة لن تغير الوضع، إلا أن نسبة من يعتقدون أن ضم ليبرمان سيؤثر بالسلب تفوق نسبة من يعتقدون أن ضمه سيؤثر بالإيجاب فى هذا الصدد.

ويتبين من تقسيم المواقف إزاء ضم ليبرمان للحكومة، وفقاً للتصويت فى الانتخابات السابقة، أن نسبة غير الراضين داخل الحزبين الكبيرين اليساريين تزيد بكثير على نسبة الراضين: فبين ناخبى حزب ميريتس، كانت النسبتان ١٢٪ راضين و٧١٪ غير راضين، وفى العمل كانت ١٤,٥٪ و٧٤٪ بالترتيب.. يتضح أيضاً أنه داخل كتلة الاتحاد القومى - المفدال هناك أغلبية لغير الراضين (٤٤٪) مقابل (٣٨٪) راضين، ويبدو أن ذلك يرجع إلى الخوف من أن يؤدى انضمام ليبرمان إلى الحكومة إلى إضعاف معسكر اليمين. صحيح أن هناك أغلبية بين ناخبى الأحزاب الدينية للراضين (فى حزب شاس ٥٤,٥٪ راضين و٦٪ غير راضين وفى حزب يهدوت هاتوراه ٣٧,٥٪ راضين مقابل ٦٪ غير راضين)، لكن داخل هذين الحزبين تبرز نسبة الناخبين الذين لم يعربوا عن رأيهم (٣٩٪ فى شاس و٥٦٪ فى يهدوت هاتوراه). وكان ناخبو حزب المتقاعدين هم الوحيدون الذى انقسم رأيهم بالتساوى بين ٤٥٪ راضين و٤٥٪ غير راضين، والباقى لا رأى لهم.

فى النهاية، يبدو أن المناخ العام التشاؤمى المصحوب بعدم الإحساس بالأمن قد يفسر موقف الجمهور اليهودى إزاء النشاط المستمر من جانب الجيش الإسرائيلى فى قطاع غزة. وعلى السؤال الخاص بما إذا كان ينبغى على الجيش الإسرائيلى أن

يأخذ فى الحسبان عنصر المساس بالمواطنين الفلسطينيين أثناء تخطيط عمليات الجيش الإسرائيلى فى المناطق (الفلسطينية) فى ظل الظروف الحالية، أجاب ٢١٪ فقط بأنهم يعتقدون أنه ينبغى أخذ ذلك فى الحسبان كاعتبار من الدرجة الأولى، بينما أعرب ٤٦٪ منهم عن اعتقادهم بأنه ينبغى أخذ المساس بالمواطنين الفلسطينيين فى الحسبان، ولكن ليس كاعتبار من الدرجة الأولى، بينما أعرب ٢٩٪ منهم بأنه لا ينبغى أخذ هذا الاعتبار فى الحسبان تماماً (٤٪ لم يعربوا عن رأيهم).

(*) مؤشرات السلام لشهر أكتوبر ٢٠٠٦:
بلغ مؤشر أوسلو فى إجمالى العينة ٣٦,٩ نقطة، وبلغ فى العينة اليهودية ٣٣,٠ نقطة.
بلغ مؤشر سوريا فى إجمالى العينة ٣٤,٩ نقطة، وبلغ فى العينة اليهودية ٢٩,٣ نقطة.
يجرى مشروع مقياس السلام فى مركز تامى شتاينمتس لبحوث السلام وبرنامج إيفنس Evens فى جامعة تل أبيب لبحوث الصراعات وتسويتها، برئاسة البروفيسور إفرايم ياعر والبروفيسور تمار هيرمان. أجرى الاستطلاعات الهاتفية معهد ب.ي. كوهين فى جامعة تل أبيب فى يوم ٣١ أكتوبر وأول نوفمبر ٢٠٠٦، وشملت ٥٨٥ مشاركاً يمثلون الراشدين من السكان اليهود والعرب فى إسرائيل (بما فى ذلك يهودا والسامرة "الضفة الغربية" وغزة والمستعمرات التعاونية "الكيبوتس"). تبلغ نسبة الخطأ فى العينة نحو ٤,٥٪ بالزيادة أو بالنقص.

تراجع ثقة الجمهور فى مؤسسات الدولة والجيش

هاآرتس ٢٠٠٦/١١/٢
بقلم: روتى سيناي

أظهر استطلاع للرأى واسع نطاق، يهدف إلى قياس المنعة الاجتماعية لدى سكان الدولة، أن ٨٠٪ من الجمهور الإسرائيلى يُجمعون على أن فساد السلطة فى إسرائيل يقض مضاجعهم ولا يجعلهم يفتخرون بدولتهم. كما أظهر مؤشر المنعة الاجتماعية الذى أجرى قبل مؤتمر سديروت للدراسات الاجتماعية، الذى سينعقد الأسبوع القادم، وجود تراجع شديد فى ثقة الجمهور فى الدولة ومؤسساتها بما فى ذلك الجيش الإسرائيلي، مقارنة بالأعوام السابقة.

فى عام ٢٠٠٣، أفاد ٢٧٪ فقط من الجمهور بأنهم لا يثقون مطلقاً، أو يثقون إلى حد ما، فى المؤسسات العامة التى من المفترض أن تمد لهم يد العون وقت الحاجة، إلا أن هذا العدد قد تضاعف خلال العام الحالى ليصل عدد الذين لا يثقون فى الدولة ومؤسساتها إلى ما يقرب من ٥١٪.

فيما أظهر مؤشر قياس المنعة الاجتماعية الذى يجرى للسنة الرابعة على التوالي، أن ٧٠٪ من الجمهور على يقين بأن الدولة لا توفر لمواطنيها، أو ربما توفر لهم بشكل جزئى فقط، ظروف إقامة معقولة، فى مقابل ٦٥٪ أفادوا بذلك فى عام ٢٠٠٥ .

تعتقد نسبة ٧٠٪ من الجمهور بأن الدولة لا توفر لمواطنيها، أو ربما توفر لهم ولكن بشكل جزئي، حياة كريمة بعد خروجهم على المعاش (بلغت هذه النسبة ٦٤٪ عام ٢٠٠٥). بينما يعتقد ٦٧٪ بأن الدولة لا توفر، أو ربما توفر ولو بشكل جزئي، الحصول على مستوى مناسب من التعليم والثقافة، فى مقابل ٦١٪ كانوا يعتقدون ذلك فى العام الماضي. ويعتقد ٤٩٪ من الجمهور أن الدولة لا توفر، أو توفر ولو بشكل جزئى فقط، الحصول على رعاية طبية مناسبة، فى مقابل ٤٥٪ كانوا يعتقدون ذلك فى العام الماضي.

أفاد حوالى ٢٥٪ من الجمهور بأنهم لا يثقون مطلقاً، أو يثقون إلى حد ما، فى الجيش الإسرائيلي. كما أفاد نصف المشاركين فى الاستطلاع تقريباً وبلغت نسبتهم (٤٦٪)، بأنهم لا يثقون فى المجلس المحلى (فى مقابل ٤٤٪ فى استطلاع عام ٢٠٠٥)، كما ذكر ٤٤٪ أنهم لا يثقون مطلقاً، أو يثقون إلى حد ما، فى الحزب الذى أيدوه فى الانتخابات (فى مقابل ٣٩٪ فى عام ٢٠٠٥). كما أن ثقة الجمهور فى الهستدروت (الاتحاد العام لنقابات العمال فى إسرائيل)، ليست كبيرة، فحوالى ٤٦٪ لا يثقون مطلقاً فى الهستدروت (حيث ارتفعت هذه النسبة عن العام الماضى والتى كانت ٤١٪).

وقد صرح اللواء (احتياط) عوزى ديان، رئيس مؤتمر سديروت للدراسات الاجتماعية، الذى سيبدأ فعالياته يوم الثلاثاء القادم بكلية سافير، بأن "هذا المؤشر بمثابة استغاثة من المجتمع الإسرائيلى بقيادة

تتمتع بالقيم والأخلاقيات".

وقد أجرى الاستطلاع الشهر الماضى على عينة شملت ١١١١ من الإسرائيليين البالغين، وأجرى الاستطلاع معهد مأجر موحوت، تحت إشراف فريق من الباحثين، يتابع مشروع المنعة الاجتماعية. وقال ديان أنه "يتعين على القيادة أن تدرس جيداً معطيات الاستطلاع، التى تظهر لنا جميعاً الفجوة الشاسعة بين قدرات الدولة على الصعيدين الأمنى والاقتصادي، وبين النتائج المشينة التى تقود الجمهور إلى عدم الثقة فى القيادة ومؤسسات الحكم".

من ناحية أخرى، احتلت الأحزاب السياسية مرتبة دنيا فى سلم الثقة لدى الجمهور، حيث يثق ١٣٪ فقط فى الحزب الذى أيدوه. كما أن الشرطة لا تحظى بثقة الجمهور هى الأخرى، حيث يثق ١٦٪ فقط من الجمهور فى الشرطة (فى مقابل ١٩٪ فى عام ٢٠٠٥)، ويثق ٢٥٪ فقط من الجمهور فى الجهاز القضائى (فى مقابل ٣٠٪ فى العام الماضي). أما الثقة الأكبر لدى الجمهور، فإنه يشعر بها إزاء الأسرة والأصدقاء، حيث يثق ٧٤٪ من المشاركين فى الاستطلاع فى الأسرة والأصدقاء.

وعندما سُئل المشاركون فى الاستطلاع عن أكثر الظواهر إزعاجاً لهم فى المجتمع الإسرائيلي، أجاب ٨٠٪ منهم بأنه الفساد فى السلطة، وهى نسبة مرتفعة بنحو ٦٪ عن العام الماضي.. وأفاد ٧٣٪ بأن الفقر هو أكثر ما يقلقهم، بينما أشارت نسب مماثلة إلى العنف والنزاع مع الفلسطينيين. فيما سُجِّل التحسن الوحيد لصالح الوضع الاقتصادي، رغم أن نسبة من يشعرون بالقلق من الوضع الاقتصادى لا تزال مرتفعة: فقد أفاد ٥٢٪ من المستطلعة آراؤهم بأنهم يشعرون بالقلق، أو قلقون للغاية، من أنهم لن يستطيعون الادخار للمستقبل، فى مقابل ٦٢٪ فى العام الماضي. وأفاد ٢٥٪ من المشاركين فى الاستطلاع بأن مستوى معيشتهم أدنى من المستوى المعقول، وهى نسبة مرتفعة إذا ما قورنت بنسبة ٣٥٪ كانوا قد أفادوا بذلك فى العام الماضي. فيما أفادت الأغلبية الساحقة من المشاركين فى الاستطلاع، وبلغت نسبتهم حوالى (٥٧٪) بأن دخلهم يوفر لهم مستوى معيشة معقول (فى مقابل ٥٢٪ فى العام الماضي)، وعندما سُئلوا ما هو المبلغ الذى من الممكن أن يوفر لهم مستوى معيشة معقول، كان متوسط المبلغ ١٣٦٥٦ شيكلاً.

ومع كل ذلك، يعتقد ٧٣٪ أن إسرائيل هى أفضل الدول من حيث مستوى المعيشة، وذلك مقارنة بعام ٢٠٠٥ حين بلغت النسبة ٦٧٪، علماً بأن نسبة مماثلة (٧٣٪) أفادت بأن هناك رغبة، ولو ضئيلة، فى الانتقال للعيش فى دولة أخرى.

أولمرت الأكثر فساداً وليفنى الأكثر استقامة (*)

معاريف ٢٠٠٦/١١/٨
بقلم: جيل حوريف

◆ **لقد جنت التحقيقات ثمارها:** أظهر استطلاع للرأى تم عرضه فى مؤتمر سديروت لشئون المجتمع، أن ٤٢٪ من الجمهور الإسرائيلي، يرون فى رئيس الوزراء، الذى ارتبط اسمه خلال الأشهر الأخيرة بالعديد من القضايا التى يباشر مكتب مراقب الدولة التحقيق فيها، الشخصية الأكثر فساداً فى الحكومة. ووفقاً لما نشره موقع صحيفة معاريف الإليكترونى على شبكة الإنترنت، فقد احتل أولمرت المركز الأول فى "مؤشر أكثر الساسة فساداً" مقارنة بالعام الماضي، حين جاء فى المركز الرابع. بينما كان الشخص الوحيد الذى ما يزال يحافظ على ثبات مطلق هو، تساحى هنجبي، الذى اعتبره الجمهور فى العام الماضى الوزير الأكثر فساداً فى الحكومة، وينظر إليه اليوم باعتباره أكثر أعضاء الكنيست فساداً. وفى المقابل، يحظى كل من وزيرة الخارجية، تسيبى ليفني، ونائب رئيس الوزراء، شمعون بيريس، بأكبر نسبة ثقة بين الجمهور.

فيما أظهر الاستطلاع، الذى أجراه معهد أبحاث "مأجر موحوت" أن ٤٢٪ من الإسرائيليين، أفادوا بأن السلوك العام لرئيس الوزراء هو سلوك فاسد أو الأكثر فساداً. وقد قفز أفيجدور ليبرمان، الذى عُين وزيراً فى الحكومة، منذ حوالى أسبوعين فقط، ليحتل المركز الثانى فى مؤشر الفساد، بحصوله على نسبة ٣٦٪ من أصوات المشاركين فى الاستطلاع. يليه فى المركز الثالث كل من وزير الدفاع، عَمير بيرتس، ووزير الصناعة والتجارة والتشغيل، إيلى يشاي، فقد حصل كل منهما على ٢٣٪. يليهما وزير الداخلية رونى بار أون، وحصل على (٢٢٪) من الأصوات، ووزير المالية أفراهام هرشيزون بنسبة أصوات بلغت (١٧٪) ووزير البنى التحتية فؤاد بن اليعيزر وحصل على (١٧٪) من الأصوات.

رغم أن حزب كاديما جاء على رأس قائمة أكثر الأحزاب فساداً، إلا أنه احتل أيضاً المراكز الخمسة

الأولى فى مؤشر الوزراء الأكثر استقامة فى الحكومة، حيث احتلت وزيرة الخارجية، تسيبى ليفني، المركز الأول بحصولها على ٣٨٪ من أصوات المشاركين فى الاستطلاع، فقد وصف المشاركون فى الاستطلاع سلوكها العام بأنه "نزيه" أو "نزيه جداً"، يليها مباشرة كل من شمعون بيريس وحصل على (٣٥٪)، ووزير المواصلات شاؤول موفاز (٢٨٪)، وأخيراً وزير العدل ميئير شطريت (٢٢٪).

◆ **داليا إيتسيك الأكثر استقامة بين أعضاء الكنيست:**

احتل تساحى هنجبي، وهو الشخص الذى جاء على رأس قائمة الفساد فى العام الماضي، وبدون منافس هذه المرة، المركز الأول فى "مؤشر أكثر أعضاء الكنيست فساداً" للعام الحالي، فقد حصل على ٣٨٪ من أصوات المشاركين فى الاستطلاع. وجاء فى المركز الثانى عضو الكنيست أحمد الطيبي، وحصل على (٣٤٪) من أصوات المشاركين فى الاستطلاع. بينما جاء حاييم رامون، الذى تجرى محاكمته بتهمة الاعتداء الجنسى فى المركز الثالث بحصوله على ٣٠٪ من الأصوات، يليه وزير المالية السابق، بنيامين نتنياهو، بنسبة أصوات بلغت (٢٩٪).

فيما أظهر الاستطلاع حصول رئيسة الكنيست، داليا إيتسيك، على المركز الأول فى قائمة أكثر أعضاء الكنيست "استقامة"، حيث حصلت على ٢٤٪ من أصوات المشاركين فى الاستطلاع، تلتها فى المركز الثانى عضوة الكنيست، زهافا جلئون، وحصلت على (٢٣٪) من الأصوات، ثم عضو الكنيست سيلفان شالوم، وحصل على نسبة (٢٢٪) من الأصوات.

◆ **بيرتس وليبرمان ينضمان إلى القائمة السوداء:**

كان الوزير أفيجدور ليبرمان، الذى احتل المركز الثانى فى مؤشر الفساد، قد احتل المركز الثانى أيضاً فى قائمة أعضاء الكنيست الأكثر استقامة العام الماضي. كما أن وزير الدفاع عَمير بيرتس، إذا به يجد نفسه ضمن القائمة السوداء: فقد قفز من المركز الرابع فى قائمة أعضاء الكنيست الأكثر استقامة فى العام الماضي، ليحتل المركز الثالث فى قائمة أكثر الوزراء فساداً.

(◆) أجرى استطلاع "مؤشر الفساد" لعام ٢٠٠٦، على عينة شملت ١١١١ محادثة تليفونية. وتمثل هذه العينة السكان البالغين فى إسرائيل. وقد جرت المحادثات الهاتفية باللغة العبرية والروسية والعربية. وقد سبق هذا الاستطلاع، استطلاع تمهيدي، أجرى بين مختلف فئات الجمهور، وكان يهدف إلى الوقوف على مدى الاستقامة والنزاهة التى يتمتع بها نواب الشعب.

الجمهور يفضل مراقب الدولة على أولمرت

هاآرتس ٢/١١/٢٠٠٦
بقلم: يوسى فيرتر

نجح رئيس الوزراء، إيهود أولمرت، هذا الأسبوع، فى تحقيق الاستقرار للائتلاف الحكومى عن طريق ضم حزب "إسرائيل بيتينو". ولكنه فشل فى استعادة تأييد الجمهور له منذ انتهاء الحرب فى لبنان. فوضعه يزداد سوءاً. ومن المتوقع أن تكون مسيرة انتعاشه طويلة وبطيئة. ربما يجد عزاء له فى أن وضع وزير دفاعه أسوأ منه، ولكن هذا لا يعد عزاء فى الواقع، فعزاؤه الوحيد هو أن الانتخابات ليست على الأبواب، لأنه لو أجريت الانتخابات هذا الأسبوع، لما انتخب لرئاسة للوزراء، ولما تمكن حزبه كاديما من تشكيل الحكومة الجديدة.

ووفقاً للاستطلاع الذى أجرته صحيفة "هاآرتس"، منتصف هذا الأسبوع، بواسطة شركة "ديالوج"، تحت إشراف البروفيسور كميل فوكس، فقد بلغت نسبة الرضاء عن أولمرت ٢٠٪ فقط، فى مقابل ٧٠٪ من المشاركين فى الاستطلاع غير راضين عنه. وعلى الرغم من التحفظ الكبير على أداء مراقب الدولة ميخا ليندشتراوث، لكن حين طلب من الجمهور أن يختار بين رئيس الوزراء وبين مراقب الدولة، إذا به يؤيد مراقب الدولة: حيث يعتقد ١٢٪ فقط من الجمهور بأن مراقب الدولة يطارد أولمرت شخصياً، بينما قال ٦٧٪ من المستطلعة آراؤهم بأن مراقب الدولة يضطلع بدوره كما يجب.

من ناحية أخرى، يعتقد ٣٩٪ من المشاركين فى الاستطلاع أن الحكومة بهيئتها الجديدة مع انضمام ليبرمان إليها أفضل بكثير من الحكومة بدون ليبرمان (بينما يعتقد ٣٥٪ من المشاركين فى الاستطلاع بأن هذه الحكومة ليست جيدة).

فيما لم تحدث تغييرات كبيرة فى مؤشرات الرضاء عن كبار رجال السياسة التى يتم دراستها بشكل دائم فى استطلاع "هاآرتس - ديالوج" مقارنة بالاستطلاع السابق، حيث حصل أولمرت، كما ذكرنا آنفاً، على نسبة رضاء بلغت ٢٠٪، بينما واصلت وزيرة الخارجية

والقائمة بأعمال رئيس الوزراء، تسيبي ليفني، محافظة على مكانها في القيادة، حيث حصلت على نسبة تأييد بلغت ٥١٪، في حين أن رئيس المعارضة، عضو الكنيست بنيامين نتنياهو، على الرغم من التخبطات التي يثيرها خلال أحاديثه وتصريحاته، يحافظ على وضع مستقر (٤٥٪ راضون عنه، في مقابل ٤٣٪ غير راضين).

كما أظهر استطلاع المقاعد (يقصد مقاعد الكنيست) الذي أجرى هذا الأسبوع، أن وضع نتنياهو آخذ في التحسن بقوة. وبناء على ذلك، فإن الليكود تزداد قوته بحصوله على أربعة مقاعد أخرى مقارنة بالاستطلاع السابق. فإذا تم إجراء الانتخابات الآن، لحصل حزب الليكود على ٢٨ مقعداً، ثلاثة منهم تأتي مباشرة من حزب يسرائيل بيتينو (إسرائيل بيتنا). وهذه كانت توقعات حقيقية، حتى إن ليبرمان نفسه، خلال الأحاديث التي أجريت معه عشية انضمامه للحكومة، توقع أن حزبه سيفقد بضعة مقاعد. ومثلما، توقع، فقد تحول ناخبو اليمين إلى الليكود.

ولا شك أن السياسي الذي يقع في أسفل السلم، في حالة خطيرة، هو وزير الدفاع، عَمير بيرتس. فلم ينجح هو الآخر في تحسين وضعه منذ انتهاء الحرب، حيث أفاد ٨٢٪ من المستطلعة آراؤهم بأنهم غير راضين عنه، في مقابل ١٤٪ فقط راضين. وحتى داخل حزبه، ٦٨٪ غير راضين عنه.. فلو جرت اليوم مواجهة (يقصد انتخابات حزب العمل) بين بيرتس والوزير المستقيل أوفير بينيس، لأصبح بينيس رئيساً لحزب العمل، ولصوَّت ٤٥٪ لصالحه، في مقابل ٣٤٪ كانوا سيصوتون لصالح بيرتس. وعلى الأقل، فقد ثبت الآن، بعد أيام معدودات من استقالة بينيس، أنه قد نجح في وضع نفسه كخيار بديل لرئيس الحزب الحالي. ماذا سيحدث في المستقبل..؟ إن الوقت ما زال مبكراً.

وإذا جرت اليوم مواجهة بين المرشحين الستة وهم: بيرتس، بينيس، عامي أيالون، إيهود باراك، داني ياتوم وأفيشاي بروفمان، لما نجح بيرتس في أن يخوض جولة ثانية، نظراً لأن باراك وبينيس وأيالون كانوا سيتقدمون عليه في هذا السباق الانتخابي المضني. فباراك وضعه في تحسن واضح بين ناخبي حزب العمل، مقارنة باستطلاعات رأى سابقة. ولكن يبدو أن الجمهور لا يزال غير مستعد لرؤيته يعود إلى عمله في الحكومة، فيما أظهر الاستطلاع أن ٢٧٪ من المستطلعة آراؤهم يؤيدون انضمامه لحكومة أولمرت، بدلاً من بينيس.

وفيما يخص الشأن السياسي توجد مفاجآت: فأغلبية واضحة من الجمهور (٣٨٪) يؤيدون المفاوضات السياسية مع الفلسطينيين، بينما يريد ٩٪ فقط من المشاركين في الاستطلاع رؤية انسحاب أحادي الجانب من أراضي الضفة الغربية، في حين يعتقد ١٦٪ بأنه يتعين على الحكومة الدخول في مفاوضات مع سوريا.

وزيران فقط يؤيدان مسيرة الشواذ

يديعوت أحرونوت ٢٠٠٦/١١/٦
بقلم: رونى سوفير

ليس من السهولة بمكان رسم خريطة دقيقة لمواقف الوزراء من إجراء مسيرة الشواذ في القدس، حيث وافق ثلاثة عشر وزيراً فقط على المشاركة في استفتاء موقع يديعوت أحرونوت على شبكة الإنترنت حول هذا الموضوع.. فبينما قال ثمانية وزراء أنهم يعارضون إجراء هذه المسيرة، أعرب وزيران عن موافقتهما على إجرائها في القدس، في حين امتنع ثلاثة وزراء، من بينهم رئيس الوزراء، عن الإعراب عن موقفهم.. هذا ولم يشارك في الاستفتاء نحو إثنى عشر وزيراً آخرين.

الوزيران المؤيدان لإجراء مسيرة الشواذ في القدس، هما وزيرة التعليم يولى تامير ووزير شئون أرباب المعاشات رافي إيتان. أما الوزراء المعارضون لإجراء مسيرة الشواذ فهم وزراء شاس الأربعة - إيلي يشاي، يتسحاق كوهين، مشولام نهري وآريئيل أتياس. وينضم إليهم شمعون بيريس وجدعون عزرا ويعقوف أدري من حزب كاديما، وكذلك يعقوف بنيزري من كتلة جيل (المتقاعدين). أما رئيس الوزراء أولمرت ووزير الأمن الداخلي آفي ديختر والقائم بأعمال وزير العدل ميئير شطريت، فقد امتنعوا عن الإعراب عن موقفهم في هذا الشأن.

كيف يبرر الوزراء مواقفهم..؟ أعلن مكتب رئيس الوزراء، الذي طلب منه أمس أنصار جمعية "هابيت هابتوح" تدخل رئيس الوزراء شخصياً من أجل السماح بإجراء المسيرة، أنه "لن يعمل من أجل التأثير على المسئولين المعنيين حتى يتمكنوا من اتخاذ القرار بما يتلاءم مع المعطيات على الأرض". كما أجاب آفي ديختر بشكل مماثل، فقال: "بصفتي وزيراً للأمن الداخلي، فإنني أفضل عدم التطرق لذلك إلا بعد انتهاء تقدير الموقف الميداني للشرطة".

وأوضح إيلي يشاي، وزير الصناعة والتجارة والتشغيل ورئيس حزب شاس، أنه "يعارض إجراء مسيرة الشواذ، لأن إجراءها في القدس يدنس المدينة.

فالنجاسة هى النجاسة ولا توجد أنصاف نجاسة". وقال الوزير موشلام نهري: "إن الديموقراطية هى القدرة على الحياة والسماح للآخرين بها. ومسيرة الشواذ فى القدس لن تمكن الحريديم من الحياة فى هذه المدينة".

وزير البيئة جدعون عزرا يقول: "أعارض إجراء المسيرة فى الأساس بسبب المشاكل الأمنية التى يمكن أن تنتج عن إجرائها فى القدس". بينما يقول الوزير يعقوف أدري: "إننى أعارض إجراء المسيرة، وأعتقد فى ضرورة نقلها من القدس. لقد حاولت بشكل شخصى التوفيق بين الجانبين، الأمر الذى لم يحدث. يجب أن نتذكر أن القدس مدينة ذات خصوصية، ويجب أخذ مشاعر الجميع بعين الاعتبار".

وتختلف يولى تامير من حزب العمل مع موقف هؤلاء، وتقول: "الخنوع للعنف يعنى أننا لم نتعلم شيئاً من مقتل رابين". بينما قال رافى إيتان إنه "يؤيد إجراء مسيرة الشواذ فقط بشكل محدود وبدون إثارات لا داعى لها، مع التوصل إلى حل وسط بين جميع الأطراف". وقال بنيزرى وزير الصحة: "إننى أعارض إجراء مسيرة الشواذ لأنها محل خلاف. يجب بذل قصارى جهدنا من أجل عدم حدوث صدع لا داعى له بين أوساط شعبنا".

الحريديم أكثر الطوائف المكروهة فى إسرائيل

معاريف ١/١١/٢٠٠٦
بقلم: آساف زلينجر

بالرغم من أن الإسرائيليين لا يعترفون ظاهرياً بهذا الأمر خارج إسرائيل، فقد تبين أن الأغلبية العظمى من الإسرائيليين لا يتحلون حقاً بالتسامح. فقد اتضح من استطلاع الرأى الذى أجرته جمعية جيشر أن ٣٧٪ من الجمهور يكنون الكراهية للحريديم.

تم توجيه سؤال للمشاركين فى الاستطلاع حول أكثر فئات السكان المكروهة فى إسرائيل، فجاء المهاجرون من دول الكومنولث فى المرتبة الثانية بعد الحريديم الذين احتلوا المرتبة الأولى، حيث اتضح أن نسبة أكثر الأشخاص كراهية لليهود الحريديم تبلغ ١٥,٢٪، و١٢,٦٪ يكرهون المستعمرين، ٧,٤٪ يكرهون سكان الكيبوتس وفقط ١,٣٪ يكرهون سكان تل أبيب.

وكذلك يمكن أن نرى مقدار عمق الانقسام من السؤال حول أكثر الفئات تبرعاً، حيث وضع ٣٠,١٪ من المستطلعة آراؤهم سكان الكيبوتس على رأس القائمة، تليهم بعد ذلك المستعمرون بنسبة تزيد على ١٦٪، ثم جاء سكان تل أبيب بعد ذلك بنسبة تبلغ ١١,٩٪، بينما جاء المهاجرون من دول الكومنولث بفارق بسيط، حيث بلغت نسبتهم ١١,٧٪، ثم تذيل الحريديم قائمة الترتيب بنسبة بلغت ٧,٧٪.

وعندما سُئل المستطلعة آراؤهم: مَنْ هو العنصر المسئول عن الانقسام بين الجمهور..؟ جاء رجال السياسة فى المرتبة الأولى دون منازع، بينما ألقت نسبة تبلغ ٤٢,١٪ المسئولية على أعضاء الكنيست، فى حين جاءت وسائل الإعلام بنسبة تصل إلى ٣٩,٤٪ فى المرتبة الثالثة، وجاء الحاخامات فى المرتبة الأخيرة بنسبة تبلغ ٩,٢٪.

وفى إطار استطلاع الرأى الذى أُجرى قبيل الاحتفال بالذكرى الحادية عشرة لاغتيال رابين، سُئل المشاركون فى الاستطلاع عن أكثر الأحداث التى أدت إلى أكبر الانقسامات بين الجمهور منذ إقامة الدولة..؟ اتضح من الإجابات أن خطة فك الارتباط تغلبت علي اغتيال رئيس الوزراء "إسحاق رابين"، حيث قال ٤٧,٤٪ إن إخلاء جوش قطيف كان أكثر الأحداث التى أدت إلى الانقسام، بينما قال ٣٨,٨٪ إنه اغتيال رابين، فى حين قال ٣,٦٪ فقط إنها قضية التالينا (*).

أجرت جمعية جيشر هذا الاستطلاع بمساعدة شركة موتاجيم التى قامت بإجراء مقابلات مع ٥٢٨ شخصاً يمثلون عينة من سكان البلاد تمثل جميع السكان اليهود البالغين ممن يتحدثون العبرية.

قالت مدير عام جمعية جيشر "شوشى بيكر": "تمثل النتائج علامة تحذير للسياسيين وزعماء الدولة الذين يجب عليهم أن يغيروا أساليبهم بشكل تام. وفضلا عن هذا ينظر إليهم الجمهور على أنهم المسئولين عن زرع الكراهية، كما يجب عليهم أن يشعروا بالقلق من وجود أقطاب داخل المجتمع الإسرائيلى كما اتضح من نتائج استطلاع الرأي".

من المتوقع أن يتدفق غداً مئات الآلاف من الشباب والجنود والمواطنين على خيمة الحوار السنوية الخاصة بجمعية جيشر فى ميدان رابين من أجل الاحتفال بذكرى رابين. ستدور جلسات النقاش فى الخيمة تحت عنوان "مطلوب شريك فى المجتمع الإسرائيلي". وستعقد أيضاً فى الخيمة جلسة خاصة للجنة التعليم والثقافة التابعة للكنيست حول موضوع "قيود حرية التعبير فى المؤسسات التعليمية".

(*) قضية تتعلق بإحدى سفن الأسلحة تدعى ألتالينا كانت تابعة لمنظمة "إيتسل - المنظمة العسكرية القومية"، وقام الجيش الإسرائيلى بإغراقها فى الثانى والعشرين من يونيو عام ١٩٤٨ أثناء حرب الاستقلال، لأن منظمة إيتسل رفضت منح السيطرة الكاملة على السفينة للجيش الإسرائيلي.

واحدة من كل خمس إسرائيليات تتعرض للاغتصاب

يديعوت أحرونوت ٣١/١٠/٢٠٠٦
بقلم: تمار طرابلسي حداد

أظهرت دراسة جديدة أجرتها الدكتورة أفيجيل مور، رئيس وحدة الدراسات النسائية والجنس بكلية تل حاي، أن ٧٥٪ من النساء اللائي تم الاعتداء عليهن جنسياً، وقعن ضحية لأحد الأشخاص المعروفين لهن، كصديق أو أحد الأقارب، وأن ٢٥٪ منهن فقط كن ضحايا لأشخاص غرباء.

وقد أظهرت نتائج الدراسة، التي تم نشرها هذه الأيام، أن ٣٣,٣٪ من النساء في إسرائيل قد تعرضن للاعتداء الجنسي، حيث تعرضت نسبة ٢٠,٧٪ منهن للاغتصاب، و١٢,٦٪ منهن تعرضن لاعتداءات جنسية بأشكال مختلفة. فيما استقصت الدراسة، التي أجريت على عينة إقليمية شملت ٢٠٠ امرأة تتراوح أعمارهن بين ١٥-٥٠ عاماً، مدى انتشار العنف الجنسي ضد النساء في إسرائيل والسمات الشخصية للنساء المتضررات.

وقد صرحت د. مور بأن "نتائج الدراسة ترسم صورة مقلقة للغاية. فالنساء اللائي يقمن بالإبلاغ عن الاعتداءات التي تعرضن لها، هن فقط مجرد جزء من الظاهرة مقارنة بالحجم الفعلي للظاهرة. كما أثبتت الدراسة مجدداً أن الاعتداء على المرأة سببه هو أنها أنثى، وأن الأمر ليس له صلة بسمات الشخصية أياً كانت، سواء كانت طريقة اللبس أو طريقة التصرفات، أو أي عامل آخر".

وعلى حد تعبيرها، فإن نتائج الدراسة تؤكد انتشار ظاهرة الاعتداءات الجنسية بشكل يوازي معدلات الاغتصاب والتحرش الجنسي التي يتم تسجيلها في بلدان غربية أخرى، حيث أظهرت نتائج دراسات أخرى مماثلة كانت قد جرت في كندا، أن ٣٨,٣٪ من النساء هناك تم الاعتداء عليهن جنسياً، من بينهن ٢٥,٧٪ تعرضن للاغتصاب، بينما تعرض ١٢,٦٪ منهن لاعتداءات جنسية بمختلف أشكالها. وأظهرت دراسات أخرى أجريت في الولايات المتحدة أن ٣٦٪ من النساء تم الاعتداء عليهن جنسياً، من بينهم ٢٠٪ تعرضن للاغتصاب، و١٦٪ فقط تعرضن لتحرشات جنسية مختلفة.

وقد أفادت ٦١,٢٪ من النساء في إسرائيل بأنهن تعرضن لتحرشات جنسية رغماً عنهن، بينما أشار ٩٢,٧٪ منهن بأنهن تعرضن لاعتداءات جنسية لفظية، في حين أشار ٧,٣٪ فقط بأنهن لم يتعرضن لأية اعتداءات من هذا النوع. كما أن نسبة النساء اللائي أفدن بأنهن اعتدن ارتداء ملابس تكون في بعض الأحيان خليعة، كانت متماثلة تقريباً في كلتا المجموعتين، حيث تراوحت النسبة بين النساء اللائي تعرضن للاعتداء الجنسي بين ٦٠٪ إلى ٦٤٪، في مقابل ٦٥٪ بين أولئك اللائي لم يتعرضن للاعتداء الجنسي.

وقد كشفت نتائج الدراسة أنه لا توجد علاقة بين الثقة بالنفس والتعرض للاعتداء الجنسي، حيث أفادت نسبة ٥١,٦٪ من اللائي تم الاعتداء عليهن جنسياً بأنهن يثقن في أنفسهن، ولكن بمعدلات متوسطة فما فوق، في مقابل ٥٤,٧٪ من النساء اللائي لم يتعرضن لأي اعتداء. وتقول د. مور أن "الدراسة الحالية تتناقض تماماً مع الاتهام بأن الملابس الخليعة من شأنها أن تعرض النساء للاغتصاب أو التحرش الجنسي. ومعنى ذلك، أنه على خلاف الاتهامات الرائجة، بأن النساء هن السبب في تعرضهن للاعتداءات الجنسية، بسبب ما يرتدون من ملابس خليعة "مثيرة" في بعض الأحيان، فقد أثبتت نتائج الدراسة عكس ذلك.

الأغلبية تطالب باستقالة بيرتس

معاريف ٢٠٠٦/١١/٢٤
بقلم: هيئة تحرير الموقع

◆انعدام ثقة غير مسبوق: رئيس حزب العمل، عَمير بيرتس، وصل بثقة الجمهور إلى الدرك الأسفل، وبلغ ما لم يبلغه أى وزير دفاع سابق. حيث تعتقد نسبة ٧٨٪ من الجمهور الإسرائيلى أنه يتعين على بيرتس الاستقالة من منصبه، فى مقابل ١٧٪ فقط يعتقدون بأنه يجب عليه البقاء فى منصبه.. هذا ما يظهره استطلاع للرأى أجراه مركز" تليسكر" لحساب صحيفة معاريف. وعلى هذا، فإن تراجع شعبية بيرتس بين الجمهور، يضر بشدة بوضع حزب العمل، الذى حصل فى الاستطلاع الأخير على ١٢ مقعداً فقط. إلا أنه، وعلى الرغم من رأى الجمهور الذى يطالب باستقالته، فقد أوضح بيرتس بالأمس أنه باق فى منصبه كوزير للدفاع.

وقد أظهر الاستطلاع، الذى نُشرت نتائجه صباح اليوم فى صحيفة معاريف، بشكل لا يقبل التأويل، أن الجمهور يريد وزير دفاع آخر.. حيث أعرب ٧٨٪ من الإسرائيليين أنهم لا يريدون رؤية عَمير بيرتس فى منصب وزير الدفاع، فيما حصل المرشح الأول بين الجمهور لخلافة بيرتس، وهو وزير الدفاع السابق، شاؤول موفاز، على نسبة تأييد بلغت ٣٢٪. وحصل منافس بيرتس فى حزب العمل، عضو الكنيست عامى أيالون، على نسبة تأييد بلغت ١٨٪. وتعتقد نسبة ١٦٪ من الإسرائيليين أن الوزير آفى ديختر سيضطلع بدور فاعل إذا ما شغل منصب وزير الدفاع، فيما حصل ليبرمان على نسبة تأييد بلغت ١٤٪، تلاه رئيس الوزراء ورئيس هيئة الأركان العامة للجيش الإسرائيلى الأسبق، إيهود باراك، بحصوله على نسبة تأييد بلغت ١٣٪ فقط.

كما أظهر الاستطلاع أن الموقف الجماهيرى المعارض لبيرتس، يضر أيضاً بالتأييد الجماهيرى لحزبه. فلو أن الانتخابات للكنيست ستجرى اليوم، لانهار حزب وزير الدفاع - أى حزب العمل - ولحصل على ١٢ مقعداً فقط فى الكنيست (فى مقابل الـ١٩ مقعداً التى حصل عليها فى الانتخابات الأخيرة)، ولأصبح حزب الليكود على القمة، ليصبح الحزب الأكبر فى الكنيست، بحصوله على ٢٩ مقعداً (فى مقابل الـ١٢ مقعداً التى حصل عليها الحزب فى الانتخابات الأخيرة). فيما بلغ عدد المقاعد التى حصل عليها حزب كاديما حتى نهاية هذا الأسبوع ١٨ مقعداً فقط (فى مقابل الـ٢٩ مقعداً التى حصل عليها فى الانتخابات الأخيرة). ويبدو أن تعيين ليبرمان وزيراً فى الحكومة، جاء ليدعم من موقفه، حيث حصل على ١٤ مقعداً فى الاستطلاع الأخير (مقابل ١١ مقعداً فى الانتخابات الأخيرة).

◆ بيرتس لن يتنازل عن حقيبة الدفاع:

كانت إشاعة قد ترددت، طيلة يوم أمس، على لسان أحد المقربين من وزير الدفاع، عَمير بيرتس، مفادها هو أنه سيوافق على التنازل عن حقيبة وزارة الدفاع، إذا ما حصل على حقيبة وزارة المالية. وقد قرر بيرتس أن يوضح بشكل قاطع أن هذا ليس له أى أساس من الصحة. وأعلن المتحدث باسم وزير الدفاع بأن "عَمير بيرتس لن يترك وزارة الدفاع أبداً". حتى أن بيرتس نفسه، ألقى بالأمس، فى مقر حزب العمل، كلمة دافع فيها عن نفسه، واتهم فيها خصومه فى الحزب بأنهم يشنون ضده حملة تشويه ضروس، كما اتهم وزراء الدفاع الذين سبقوه بأنهم تركوا له أرض أمنية محروقة.

وقد صرح بيرتس خلال مؤتمر حزب العمل، الذى انعقد بالأمس، قائلاً: "إن إحدى المشكلات التى أعانى منها هى إننى أصل فى ساعات المساء لبيتى وعيناى متثاقلتان، لأنهما كانتا يقظتان طيلة ١٨ ساعة متواصلة، أقوم خلالها بتفقد أحوال الجيش الإسرائيلي، والاطمئنان على مدى جاهزيته وكفاءته واستعداداته".

كما تطرق بيرتس فى كلمته إلى إمكانية أن يقوم رئيس الوزراء، إيهود أولمرت، بإقالته من منصبه. وحذر من أن مثل هذا الوضع من شأنه أن يؤدى إلى أزمة ائتلافية، قد تنتهى بانسحاب حزب العمل من الحكومة. وأضاف بيرتس: "إن من يرغب فينا كشركاء كبار، يجب عليه أن يعى أن حزب العمل لا يستطيع أن يكون شريكاً رئيسياً دون الاحتفاظ بإحدى الحقائب الوزارية الكبيرة، وأنا أقول أن حقيبة وزارة الدفاع هى الحقيبة الأكبر التى يجب أن نتمسك بها".

وقال بيرتس متطرقاً إلى المشكلات الأمنية: "إن إطلاق صواريخ القسام على إسرائيل لم يبدأ خلال السنة الأخيرة فقط، بل إنها مشكلة تلازمنا منذ بضعة سنوات.. إن حملة التشويه ضدي، سواء كانت من الداخل أو من الخارج، تضر أول ما تضر بالمعنويات القومية".

◆ ترجمات عبرية ◆



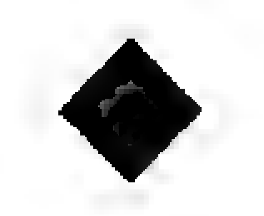


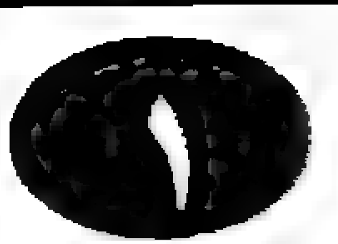


الرئيس العاشر للكنيست «دوف شيلانسكى»

اعداد : وحدة الترجمة

تاريخ الميلاد	١٩٢٤
فتـرة الولايـة	١٩٨٨-١٩٩٢
الأصل العرقي	من مواليد شيلى فى ليتوانيا
عام الهجرة لإسرائيل	عام ١٩٤٨
المؤهـل	خريج كلية الحقوق بالجامعة العبرية فى القدس (فرع تل أبيب)
اللغـات	العبرية، الإنجليزية، الألمانية، الليتوانية
الخدمة العسكرية	– منذ حرب الاستقلال (ضابط مقاتل) خدم فى جميع الحروب والمعارك الإسرائيلية (فى الاحتياط). – من عام ١٩٧٠ ضابط عمليات فى الدفاع الجوى (فى الاحتياط) فى منطقة دان. – من عام ١٩٧٤ حتى ١٩٨٩ ضابط تربية (فى الاحتياط).
الانتماء السياسي	ينتمى لحزب الليكود
النشاط السياسي	– قاد منظمة "إيتسل" (المنظمة العسكرية المحاربة) فى ألمانيا وإيطاليا. – عضو فى لجنة آداب المهنة ("الإتيكا المركزية") فى غرفة المحامين. – عضو فى المنظمة الدولية لمحامين ورجال حقوق يهود. – عام ١٩٧٧ كان ممثلا عن الكنيست فى لجنة تعيين القضاة، وذلك طوال ١٣ عاما.
عضوية الكنيست	عضو فى الدورات البرلمانية التالية: من الكنيست التاسعة حتى الثالثة عشرة عن الليكود فى الكنيست التاسعة:عضو فى اللجان التالية: لجنة الداخلية وشؤون البيئة، لجنة الدستور والقانون والقضاء. فى الكنيست العاشرة:عضو فى لجنة الدستور والقانون والقضاء فى الكنيست الحادية عشرة: رئيس لجنة الداخلية وشؤون البيئة فى الكنيست الثانية عشرة: رئيس الكنيست فى الكنيست الثالثة عشرة: نائب رئيس الكنيست – عضو فى لجنة الكنيست
المناصب الحكومية	فى الكنيست العاشرة: فى الحكومة الـ١٩: من ١٩٨١/٨/١١ نائب وزير فى مكتب رئيس الحكومة فى الحكومة الـ ٢٠ : نائب وزير فى مكتب رئيس الحكومة
النشاط العـام	كتب وألف العديد من الروايات منها: – "فى السجن العبري" من مذكرة سجين سياسى (باللغة العبرية). – "موزلمان" – رواية تاريخية (فترة اندلاع الكارثة النازية) ترجمت إلى اللغتين الإنجليزية والروسية – كان له زاوية ثابتة فى المجلة الشهرية "بإيرتس يسرائيل" أى فى بلاد إسرائيل (باللغة العبرية).





جدوى بقاء بيرتس والعمل فى الحكومة الإسرائيلية

صبحى عسيلة
باحث بمركز الدراسات السياسية والاستراتيجية بالأهرام

استمرارا للأزمة التى يمر بها حزب العمل فى الحياة السياسية الإسرائيلية منذ رحيل اسحاق رابين بمكانته التاريخية فى هذا الحزب ولدى الإسرائيليين عامة، وافق حزب العمل بزعامة الوافد الجديد إلى المجال السياسى عمير بيرتس على الدخول فى حكومة وحدة وطنية بقيادة حزب كاديما بزعامة إيهود أولمرت، وذلك بعد أن حصل الحزبين على المرتبتين الأولى والثانية فى الانتخابات الإسرائيلية المبكرة التى جرت فى مارس الماضي. وخلال تسعة أشهر من عمر تلك الحكومة لم يستطع كل من أولمرت وبيرتس التغلب على أو تبديد الشكوك الرئيسية التى حامت حول قدرتهما على إدارة الحكومة ووزارة الدفاع، فى ظل عدم تمتعهما بشرف الانتماء للمؤسسة العسكرية. ومن الواضح أن الرياح قد جاءت كعادتها بما لا تشتهى نفسيهما، أو أن الظروف جاءت فى غير مصلحتهما. فلم تقتصر المواجهات التى تخوضها إسرائيل على الملف الفلسطينى فقط، ولكنهما اتخذا قرارا تاريخيا ومصيريا بشن الحرب على لبنان فى أعقاب قيام حزب الله باختطاف ثلاثة جنود إسرائيليين.

لقد أصبح مألوفا فى الحياة الحزبية الإسرائيلية الحديث عن الأزمة التى يعانى منها اليسار ممثلا فى رافده الأساسى أى حزب العمل، الذى لم يستطع البقاء فى السلطة لأكثر من عامين عبر العقد الأخير. وبات البعض يشير للحزب باعتباره الوصيف الدائم لليكود فى الحلبة السياسية فى إسرائيل، بل إن البعض أطلق عليه لفظ "ليكود ب". فخلال العقد الأخير لم يستطع الحزب أن يلتزم ببرنامجه السياسى الأساسى المتعلق بملف الصراع العربى الإسرائيلي، والقائم بالأساس على الأرض مقابل السلام، وهى صيغة فضفاضة سمحت باستيعاب كل من الحمائم والصقور فى الحزب، وهو الأمر الذى فشلت فيه البرامج الأخرى التى حاول أن يتبناها الحزب. وإزاء هذه الأوضاع تبلور إجماع لدى المتابعين على أن حزب العمل بات يقف أمام مفترق طرق هام وخطير بالنسبة لتوجهاته السياسية على الأقل منذ نهاية عهد باراك. وتعمقت أزمة الحزب لدى الناخبين بشكل أساسى بعد فشل بارك الذريع فى تنفيذ برنامجه خلال فترة رئاسته للحكومة، والتى انتهت بحدثين غاية فى الأهمية بالنسبة للإسرائيليين وهما فشل مفاوضات كامب ديفيد، ثم تفجر الانتفاضة الثانية للفلسطينيين، وهما الحدثين اللذين أنهيا حياة بارك السياسية. ثم دخل الحزب فى انتخابات داخلية للبحث عن شخصية تقود الحزب فى الانتخابات التى جرت فى ٢٠٠٣ ثم فى ٢٠٠٦، إلا أن جميع من قادوا الحزب خلال تلك الفترة (متسناع أو اليعيزر أو بيرتس) لم يتمكنوا من تحسين وضع الحزب، بل إن متسناع أكد فى خطاب استقالته من رئاسة الحزب "إن حزب العمل عصى على القيادة، ولا يوجد فى ظل الظروف السائدة فى الحزب أى فرصة لأن ينجح أى زعيم فى قيادته". ثم خسر الحزب الانتخابات التى دخلها فى مواجهة شارون ثم فى مواجهة أولمرت.

وفى واحد من أهم تداعيات أزمة الحزب انخرط الحزب فى تشكيل حكومات وحدة وطنية مع الليكود ثم مع كاديما. وربما كان الحدث الأهم فى التعبير عن أزمة الحزب هو قرار البقاء فى حكومة أولمرت رغم انضمام ليبرمان بحزب إسرائيل بيتنا، وهو الأمر الذى يكن أكثر المتشائمين بشأن تدهور مكانة حزب العمل يتصورون إمكانية حدوثه. علاوة على ذلك فهناك من يشير إلى أن انتخاب بيرتس زعيما للحزب

بحد ذاته أحد تداعيات الأزمة التى يمر بها. فهو لم يستحق بالمقاييس الإسرائيلية أن يكون زعيم الحزب لكنه حاز على منصبه بعد أن بدا وكأنه جاء إلى الحزب بأجندة عدالة اجتماعية فى وقت لم تكن لدى الحزب أجندة سياسية. وتم التركيز فى الدعاية الانتخابية على أصل بيرتس الشرقى ونشاطه النقابى ليضفى مسحة اجتماعية على رسالة الحزب، خاصة بعد أن غاب مشروعه السياسي. وبالفعل استطاع بيرتس قيادة حزب العمل ليس إلى سدة الحكم ولكن للحفاظ على مكانته باعتباره الوصيف، وحصل الحزب على ١٩ مقعدا، ثم وافق على الدخول فى حكومة وحدة وطنية يتولى فيها أولمرت رئاسة الوزراء، ويتولى بيرتس "المدني" وزارة الدفاع التى نادرا ما تولاها شخص من خارج المؤسسة العسكرية.

◆ بيرتس يدفع ثمن قرراه الخطأ:

كان بيرتس أحد الأصوات داخل حزب العمل المطالبة ضرورة أن ينسحب حزب العمل من حكومة شارون، وحسب تعبيره فى منتصف مايو ٢٠٠٥، "أننا انضممنا إليها فقط من أجل ضمان تطبيق خطة الفصل ،ولا يربطنا ببنود سياستها الأخرى أى شيء". وأضاف أنه بعد تطبيق هذه الخطة، سينفض الناس من حول حكومة شارون، بسبب سياستها الاقتصادية الفاشلة. وسيكون على حزب العمل أن يثبت أنه البديل الأفضل وليس الشريك فى الفشل. وبالفعل دخل بيرتس سباق الانتخابات على رئاسة الحكومة برسالته التى وضع فيها قضية التدهور الاقتصادى واتساع الفقر والبطالة فى رأس سلم الاهتمامات وشكك من خلالها بصدق الجنرالات، بل طلب منهم أن يكفوا عن سياسة تخويف الناس باسم الأمن. وقال صراحة أن هناك شركاء لإسرائيل فى قضية السلام على الطرف الفلسطينى من البلاد وليس صحيحا ما يقوله رئيس الوزراء أريل شارون، من أن لا شريك فلسطينيا لإسرائيل فى عملية السلام. وعليه ينبغى تخفيض ميزانيات العسكرية والجيش لحساب الفقراء. إلا أن فوزه بالمكانة الثانية فى الانتخابات قد أغراه وأغرى حزب العمل بتطبيق ذات السياسة التى سبق وانتقدها فى الحزب، وهى الدخول فى شراكة مع حزب كاديما، الذى لا يختلف كثيرا عن الليكود، بل إن بيرتس أصر على الاحتفاظ بحقيبة وزارة الدفاع، رغم أنه غير مؤهل لها. وعلى الأرجح فقد كان هذا الوضع وضعا مثاليا لأولمرت الذى أصبح لديه وزير دفاع ليس كفؤا يمكن بسهولة تحميله نتائج كافة القرارات السيئة التى يتخذها الجيش تجاه الفلسطينيين أو الجيران العرب، كما حدث فى لبنان لاحقا. وهكذا أصبح بيرتس كما كان بنيامين بن اليعيزر الأداة التى يستخدمها أولمرت لضرب الفلسطينيين، ويورطها فى تحمل المسئولية بكل ما يعنيه ذلك من خصم من شعبيتهما وشعبية حزبهما لدى الرأى العام الإسرائيلي. وربما كان أبلغ تعبير عن مأزق بيرتس هو ما كتبه "أورى أفنيري" فى صحيفة معاريف فى أول يوليو ٢٠٠٦ حين قال منتقدا وضع وزير الدفاع "عمير بيرتس"، بأنه بات كالببغاء لرئيس أركان الجيش حالوتس. وحالوتس هذا هو شخصية عسكرية ضيقة الأفق، لكنه يعتبر اليوم الحاكم الحقيقى فى إسرائيل.

◆ بيرتس وحرب لبنان:

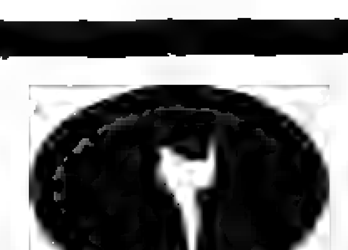
وكانت الأزمة الكاشفة لورطة بيرتس هى الحرب على لبنان، بكل النتائج التى تمخضت عنها، وبكل الجرائم التى ارتكبها الجيش الإسرائيلى فى لبنان دون أن يحقق نصرا مقنعا للرأى العام الإسرائيلي، الذى رأى ٨٠٪ منه تقريبا أن جيشه لم يحقق انتصار حاسما فى المواجهة مع لبنان. ومما لا شك فيه فقد حمل الرأى العام الإسرائيلى المسئولية لكل من أولمرت وبيرتس بالأساس يليهما رئيس الأركان دان حالوتس. وتصاعدت الدعوات المطالبة باستقالة كل منهما، وتدنت شعبية كل من أولمرت وبيرتس إلى مستوى غير مسبوق لم شغلوا مثل هذه المناصب فى السابق.

ومع ذلك فإن الوضع بالنسبة لبيرتس يبدو أسوأ بكثير، إذ يطالبه الرأى العام بالاستقالة ويسعى أولمرت لإقالته، والأهم أن حزبه بات بشكل أو بآخر يدعو لاستقالته. ومن ذلك مطالبة إيتان كابل سكرتير حزب العمل لبيرتس بأن يستقيل من منصبه، وقال أنه من أجل "مستقبل الدولة والحزب، يتحتم على بيرتس أن يستقيل من وزارة الدفاع. وبحسب مصادر فى حزب العمل فإن ١٠ من أعضاء حزب العمل فى الكنيست (١٩)، يؤيدون إبعاد بيرتس عن وزارة الدفاع، ويرون أن المرشح المفضل لهذا المنصب هو إيهود باراك رئيس الحزب السابق. إضافة إلى ذلك فإنه فى منتصف سبتمبر عبر ٦٤٪ ثم ٦٦٪ فى أول نوفمبر من ناخبى حزب العمل عن شعورهم بعدم الرضاء عن بيرتس. وهو الأمر الذى دفع بعض المراقبين إلى القول بأن حياة بيرتس السياسية قد انتهت على الأقل باعتباره رئيسا لحزب العمل. أما بالنسبة لحالوتس فقد طالب عضو الكنيست من

حزب المفدال "تسفى هندل" بيرتس بإقالة دان حالوتس ,من منصبه وقال "إذا أردنا إن نرمم الجيش فإن أول ما يجب فعله هو إقالة حالوتس". أما الرأى العام فقد عبر ٧١٪ منه عن رغبتهم فى يستقيل حالوتس ,مقابل ربع المستطلعين رأوا أن عليه البقاء فى منصبه. والأهم أن ٥٨٪ من الإسرائيليين رأوا أنه فى حالة عدم استقالة حالوتس فإن على القيادة السياسية إقالته. كما طالب ٧٢٪ من المستطلعين وزير الدفاع عمير بيرتس أن يستبق نتائج التحقيقات فى ملابسات حرب لبنان ويقدم استقالته ,بينما رأى ٢٨٪ أن عليه البقاء فى منصبه.

والحقيقة أن التراجع فى شعبية بيرتس وأولمرت قد بدأ يتصاعد بشكل ملحوظ على خلفية ما تم فى حرب لبنان. فقد أوضح استطلاع أجرى فى ١١ أغسطس أن شعبية رئيس الوزراء الإسرائيلى إيهود أولمرت هبطت من ٧٥٪ إلى ٤٨ ٪، وكذلك وزير الدفاع عمير بيرتس انحسرت شعبيته بشكل لافت من ٦٨ ٪ إلى ٣٧ ٪، فى حين أبدى ٧٣٪ من الإسرائيليين عدم رضائهم من معالجة اوضاع الجبهة الداخلية . وقد أرجع بعض الكتاب الإسرائيليين ذلك إلى أن استمرار الحرب ووقوع الخسائر وإطلاق صواريخ الكاتيوشا وبدء حرب الجنرالات كان له تأثيره السلبى الشديد على تأييد الجمهور لأولمرت وبيرتس. ففى أسبوع واحد خسرا معظم التفويض الذى منحه الجمهور لهما بسخاء كبير ليعودا تقريباً إلى مكانتهما (غير اللامعة) عشية الحرب. وفى ٢٠ سبتمبر تراجعت شعبية بيرتس، حيث أبدى ١٤٪ رضاءهم عن أدائه كوزير للدفاع فى مقابل ٧٩٪ غير راضين عنه. ومن الواضح أن نسبة عدم الرضاء عن بيرتس قد استقرت عند ما يقرب من ٨٠٪ من الرأى العام، ففى استطلاع نشرته صحيفة "معاريف" الإسرائيلية فى موقعها على الإنترنت فى ٢٣ نوفمبر اتضح أن نحو ٧٨٪ يعتقدون أنه يجب على بيرتس أن يستقيل من تلقاء نفسه.

وتعبيرا عن أزمة الجيش الإسرائيلى وعن وصول أزمة بيرتس إلى الذروة، كتبت صحيفة "هاآرتس" فى افتتاحيتها يوم ٢٤ نوفمبر تحت عنوان "مطلوب وزير دفاع"، أن التحديات الأمنية، من سقوط صواريخ القسام الى المشروع النووى الإيراني، تتطلب تبوأ شخصية ملمة بالشئون الأمنية والاستراتيجية والعلاقات الخارجية فى منصب وزير الدفاع "فيما الوزير الحالى يفتقر إلى هذه الكفاءة". ونصحت الصحيفة حزب العمل بإقناع زعيمه بيرتس بالتخلى عن منصبه الحالى "ليتيح لغيره تنفيذ مهمة إعادة تأهيل الجيش وإعداده للاختبارات المصيرية ليستعيد الإسرائيليون ثقتهم بالجيش". ومن الواضح أن أولمرت منذ افتعاله أزمة مع بيرتس بدعوى قيامه بالاتصال بمحمود عباس أبو مازن، قد قرر التخلص من أو التضحية بوزير دفاعه، على أمل أن يساعده ذلك فى امتصاص الهجوم الحاد عليه وعلى حكومته نتيجة فشلها فى الملف الأمني. ومع ذلك يبقى القول أن تراجع شعبية أولمرت على النحو الذى لا يقل كثيرا عن تراجع شعبية بيرتس يضع كثيرا من علامات الاستفهام حول إمكانية إصلاح صورته وحكومته أمام الرأى العام بإقالة وزير الدفاع، التى لم يعد شك فى أنها ستحدث، وتبقى فقط مسألة التوقيت، لاسيما وأن القرار لا يتوقف فقط على أولمرت ولكن على حزب العمل الذى بات عليه أن يبحث عن وزير دفاع يحل محل بيرتس. وإذا كان من المشكوك فيه أن تخرج إقالة بيرتس أولمرت من عثرته، فمن المؤكد أن حزب العمل سيعود ليواجه أزمته الحقيقية مرة أخرى، والمتمثلة فى عدم قدرته على إنجاب قيادة تستطيع دفعه مرة أخرى إلى السلطة، أو على الأقل تحتفظ به كحزب معارضة حقيقى يسعى للسلطة.



"حنة وميخائيل".. صورة للصراع داخل المجتمع الإسرائيلي

طلعت رضوان
كاتب وباحث

"هذه الأرض وطن لشعبين: من الواضح أنه ليس لديهما وطن آخر ولا خيار آخر"

(عاموس عوز)

إذا كان الأدب الرفيع هو الذى يعيد صياغة الواقع من خلال رؤى جمالية، تخرج الكامن من أعماق شخصيات هذا الواقع، تعكس أبعادها النفسية والفلسفية، إذا كان هذا هو أبسط تعريف للأدب رفيع المستوى، عميق المعنى، فإن قراءة رواية (حنة وميخائيل) (١) للكاتب الإسرائيلي عاموس عوز ينطبق عليها هذا التعريف، خاصة أنه من خلال شخصيات الرواية قدم للقارئ صورة أدبية لكل تناقضات المجتمع الإسرائيلي. وأن هذه التناقضات هى التجسيد الحى للصراع داخل هذا المجتمع، وذلك على عدة محاور:

المحور الأول هو أن المجتمع الإسرائيلى متعدد الأعراق، أى متعدد الأجناس، وبالتالى فهو متعدد الثقافات واللغات، لدرجة أن أكثر من شخصية تتحدث العبرية بصعوبة وركاكة (ص ٢٤،٦٨،٦٩،١٧٦،١٩١) ورغم أن هذا التعدد العرقى كان سببا لافتقاد التجانس المجتمعى بين أفراد شعب يعيش على أرض وطن واحد، وتسبب فى نزاعات تصل أحيانا إلى حد الحروب الأهلية، إلا أن هذا الافتقاد للتجانس فى المجتمع الإسرائيلى لم يخلخل انتماء الإسرائيليين للدولة التى يعيشون على أرضها وللنظام الذى يحكمهم. فما هو السبب..؟ السبب أن الإسرائيليين (غربيين وشرقيين، علمانيين وأصوليين) يؤمنون أن دولة إسرائيل الوليدة هى حقيقة لا يجب التشكيك فيها، وبالتالى فإن أى تشكيك فى إسرائيل كدولة، وأى تهديد لهذه الدولة ، يجعل(كل) الإسرائيليين يقفون ضد هذا التهديد. أى أن مفهوم (الوطن) هو الذى (وحّد) كل الإسرائيليين. ويكون الاختلاف داخل هذا المجتمع حول الحق الفلسطيني. فالأصوليون ينكرون أى حق للفلسطينيين ويشجعون على استخدام العنف ضدهم. وكان الكاتب موفقا وهو يجعل عين البطلة (حنة) تقرأ على أحد الجدران فى مدينة القدس كتابة حمراء غير واضحة من أيام منظمات العمل السرى اليهودى هذه العبارة: "بالدم والنار سقطت يهودا . وبالدم والنار ستنهض يهودا" وتعلق حنة قائلة "لم أحب الفكرة التى وراء هذا الشعار. بل أحب ترتيبها الداخلي. نوع من التوازن الخطر لا أستطيع أن أشرحه" (ص ٨٤، ٩٠) وفى المقابل نجد ميخائيل يقول لابنه عن حرب عام ١٩٤٨ "هنا كان العرب، ونحن هنا"(١٧١) ووالد ميخائيل يحكى لابنه عن "عرب أشرار وعرب أخيار" (١٠٧) وحنة تتكلم فى مونولوج داخلى عن "فلسطين البعيدة" (١٨٨) أى أن الرواية تعكس صورة التيارين الرئيسيين فى المجتمع الإسرائيلي: تيار الأصوليين الذين يرفضون أى حق للفلسطينيين فى إقامة دولتهم تأسيسا على مرجعيتهم الدينية. والتيار العلمانى (وكذلك فصائل اليسار الإسرائيلي) الذين يدافعون عن حق الفلسطينيين فى إقامة دولتهم.

هذا الموقف الذى جسده الكاتب فى الرواية هو تعبير صادق عن قناعته الشخصية، إذ قال فى حديث صحفى "إن النزاع العربى الإسرائيلى على الأرض هو نزاع ليس بين حق وباطل، وإنما بين حق وحق" وفى كتابه هنا وهناك فى أرض الميعاد قال "إن هذه الأرض وطن لشعبين، ومن الواضح أنه ليس لديهما وطن آخر ولا خيار آخر، لذا فإن عليهما أن يتقاسماها بشكل ما" (ص ١٣، ١٥ من مقدمة المترجم).

المحور الثانى فى الرواية هو تقديم صورة للأصوليين داخل المجتمع الإسرائيلى فى مقابل صورة العلمانيين. فتتذكر حنة طفولتها "كنا نتجول فى شوارع بعيدة. نجوب الغابات جوعي، نركض لاهثين نعذب الأطفال المتدينين: (٢٢) وحنة أثناء فترة الخطوبة مع ميخائيل رفضت أن تدعوه إلى غرفتها والسبب "أن أصحاب المنزل متدينون" (٢٩) بل أنها بعد الزواج وعندما كانت مريضة وزوجها على جبهة القتال أطمأنت عندما زارها رجلان من الجيران للاطمئنان عليها. وتخشى لو أن رجلا واحدا هو الذى زارها والسبب كما تقول حنة "لو جاء واحد منهما

بمفرده، سيفتح الباب للأقاويل الشريرة" (١٥٣) ووالد ميخائيل عند زيارته للمرة الأولى لابنه بعد الزواج، وعندما سأل على عنوان بيت أبنه، ضلله الأطفال المتدينون (٦٤) بل إن عمات ميخائيل الأربع تتعجبن فى حيرة وتتساءلن "لماذا يعيش ميخائيل بين المتدينين بدلا من العيش فى مناخ ثقافى متحضر" (٨١).

هذه الصورة التى تركز على أن الأصوليين فى المجتمع الإسرائيلى غير متحضرين، يؤكد عليها الكاتب فى مواضع عديدة. إذ بينما تسير حنة وميخائيل فى مدينة القدس، ينقض على ميخائيل يهودى ضخم أمسك بزر معطفه وقال فى وجهه "ويل لك يا مُعكر صفو إسرائيل، إن شاء الله تموت" اندهش ميخائيل فهو لا يعرف الرجل الذى أضاف "فليكن الموت من نصيب كل أعداء الرب.آمين يا رب العالمين" وعندما تهيأ ميخائيل ليقول للرجل أنه ليس من أعدائه، أنهى اليهودى الضخم الموقف قائلا "تفو عليك وعلى كل عائلتك إلى الأبد. آمين آمين" (٨٥).

واليهود المتدينون فى إسرائيل المدافعون عن الديانة العبرية يرون أن "البنات كلهن من عمل الشيطان الرجيم" (٥٦) والسيدة (هاداساه) صديقة حنة تنتقد الجامعة العبرية "فهى جامعة حديثة العهد، ومع ذلك يديرونها بأكثر الطرق أصولية" (٥٧) وإذا كان الأصوليون فى كل دين يحاولون إثبات أن كتابهم المقدس سبق العلم فى الاكتشافات العلمية، فإن والد ميخائيل يتكلم عن "شك الخبراء فى الآية التوراتية التى تقول "أرض حجارتها من حديد. ومن جبالها يُقطع النحاس" الموجودة فى سفر التثنية (١٠٨) وميخائيل بعد حرب عام ١٩٤٨ يرفض الذهاب إلى أى مستوطنة (كيبوتز) فى النقب. وترى عمته (جينيه) أنه بذلك أحسن صنعا، لأنه توجه للدراسة فى الجامعة ليخدم الشعب والدولة بعقله ومواهبه وليس بعضلاته" (١٠٩) والسيد قاديشمان الأصولى المتعصب يقول "سنقوم باحتلال القدس، الخليل، بيت لحم ونابلس خيرا فعل الرب بشعبنا حين منع الحكمة عن الذين يدعون الزعامة فينا، وجعل على قلب أعدائنا غشاوة بيده يأخذ وبيده الأخرى يعيد، ما لم تستطع تحقيقه حكمة اليهود يتحقق بفضل غباء العرب. قريبا ستندلع حرب كبيرة وستعود لنا الأماكن المقدسة" (١٣٤).

على الجانب الآخر يُبرز الكاتب الوجه المضاد للأصوليين، فرغم وجود ظاهرة التعصب الدينى داخل المجتمع الإسرائيلى فإن العلمانيين لهم حق الدفاع عن أنفسهم وإعلان معتقداتهم، وأكثر من ذلك فإن والد ميخائيل "تعود أن يصف نفسه بأنه يمارس الإلحاد" (١١٢) وميخائيل مثل والده. تقول حنة "نحن لا نشعل شموع السبت، لأن ميخائيل يرى فى ذلك نفاقا من جانب الذين لا يتمسكون بالمبادئ الدينية" وفى نفس المشهد يقول ميخائيل "أبى لم يعرف ما هو مدى الصدق فى المبادئ الدينية. وحين أنضم أخى عمانوئيل لحركة شباب يسارية، حينذاك فقط توقفت العادات الدينية فى بيتنا يوم السبت. و(إن) تمسكنا بالقواعد الدينية كان واهناً للغاية فقد كان أبى رجلا متشككا" (١٢٠).

والتعصب الدينى يصل إلى درجة أن تقول أحد الشخصيات الثانوية "جميع أبناء إسرائيل متساوون أمام الرب إلا أولئك الذين حلت عليهم اللعنة منه سبحانه" (١٢٢) أى أن التعصب الدينى يُكّرس لإقصاء كل مختلف والدعاء عليهم باللعنة من منظور الإيمان العبراني، وإذا كان هذا الإقصاء يشمل الفلسطينيين، فهو يشمل أيضاً الإسرائيليين الرافضين للمرجعية الدينية العبرانية، وهذا أحد أهم بؤر الصراع داخل المجتمع الإسرائيلي، وهو ما اهتمت الرواية بإبرازه. وتكتمل الصورة عندما يرفض ميخائيل أن يلتحق بأية مدرسة دينية. وقد شاركته زوجته حنة فى ذلك وقالت "ميخائيل مصمم تماما على أن يكون ابنه تقدميا فى آرائه" (١٦٩). وحنة تكتشف فى ابن جيرانها الفتى يورام موهبة الشعر، ولكنه يكتب شعرا يستمد مادته من التوراة فتقول "حين تكون السيطرة التامة فى يدي، أنوى أن اقنع يورام بأن يختار حياة متهورة، بمعنى أن أشجعه على أن يكون شاعرا وليس مدرسا للتوراة" (١٦٢) وتصف تلاميذ المدرسة الدينية للبنين (تحكموني) بأنهم "بدوا لى أكثر همجية، أكثر عنفا من السنين السابقة" (١٧٥) والسيدة (دوباه جليك) تجد أساسا مضحكا للتزامن بين التراتيل الدينية وبين المطر. ولهذا انفجرت فى ضحك أجش" (١٨٨).

المحور الثالث: هو الموقف من مصر، استنادا إلى الإيمان العميق بحرفية ما جاء فى التراث الدينى العبرى المعادى لأجدادنا المصريين القدماء، تدور أحداث الرواية (دون أن ينص الكاتب على ذلك صراحة) فى أجواء حرب عام ١٩٥٦ . يقول الدكتور أورباخ الذى يعالج حنة "هذه أيام مهمة ومن الصعب جدا فيها الابتعاد عن الأفكار التوارتية. حسنا بالأمس احتل الجيش الإسرائيلى بالدبابات جبل سيناء، تقريبا كما توقع سفر الرؤيا. تقريبا يوم القيامة" (١٥٠) ويقول السيد قاديشمان "فى هذا الوقت قواتنا تطارد جيش فرعون الهارب. والبحر لم ينغلق لم ينغلق لمجرمى مصر" (١٥٥) وكما ذكرت فى المحور الأول، فإن الإسرائيليين (أصوليين وعلمانيين) يوحدهم الدفاع عن بقاء إسرائيل، لذلك نرى ميخائيل (رغم رفضه للمرجعية الدينية) يقول "هناك قاعدة معروفة وضعها المستشار الألمانى بسمارك، مفادها أنه حين يهاجمك حلف من القوات المعادية، عليك أن تبحث عن أفواههم وتضربه أولا. وهذا ما يحدث هذه المرة أيضاً. سنخيف الأردن والعراق حتى الموت وبعد ذلك نستدير فجأة لنضرب مصر" وتعلق حنة قائلة "أنا حملقت فى زوجى كأنه يتحدث إلى باللغة السانسكريتية" (١٣٥).

ويذكر الكاتب على لسان حنة أن التلاميذ فى المدارس يتعلمون "قصة الخروج من مصر والضربات العشر. أبدى معظم الأولاد فزعا شديدا، ربما مشوشا من قسوة المصريين ومعاناة العبريين. أما جونيه (ابنها) فقد سأل أسئلة تتعلق بانشقاق البحر الأحمر كان لديه اعتراض منمق على أقول التوراة" (١٨٤) وأثناء الحرب يذيع الجيش الإسرائيلى البيان التالى "توغلت قوات جيش الدفاع الإسرائيلى هذا المساء إلى داخل صحراء سيناء واحتلت الكونتيلا ورأس النقب وسيطرت على مواقع بالقرب من نخل على بعد ٦٠ كم شرق قناة السويس. صحراء سيناء هى المهد التاريخى للأمة الإسرائيلية" (١٤٦، ١٤٧).

المحور الرابع: يتناول علاقة الإسرائيليين بالفلسطينيين. وهذا المحور تجسده حنة التى تدور أحداث الرواية على لسانها، حنة شخصية مركبة شديدة التعقيد. تهاجمها الأحلام الكابوسية دائما. رغم استقرار حياتها الزوجية، ورغم تقدم زوجها فى أبحاثه وفى وضعه الاجتماعي، ومع ذلك تشعر دائما بأنها على حافة الخطر. هل هو خطر ذاتى أم خطر عام..؟طوال صفحات الرواية يختلط الذاتى بالعام. فهى فى طفولتها كانت تلعب مع طفلين عربيين (توأم) عن هذا التوأم قالت "كنت أميرة وهما حارسي. كنت قائدة مغوارة وهما الضابطان. كنت القبطان وهما الملاحان. جاسوسة وهما العينان" (٢٢) ولكن العلاقة بينها وبين الطفلين العربيين تتعقد تقول "أحيانا كنت أحثهما على التمرد وبعد ذلك اخضعهما بيد حديدية" (٢٩) ورغم ذلك فهى تحكى لميخائيل "وأنا فى الثانية عشر من عمرى وقعت فى حبهما معا. كانا ولدين جميلين" وفجأة تراهما "ذئبان رماديان. همجيان قرصانان بحريان" (٣٦) وفى حلم آخر يتدرب التوأم العربى على استخدام القنابل اليدوية (٨١) ورغم ذلك فهى فى يقظتها تتمنى أن يكون هذا التوأم العربى ضمن المعسكر العربى الذى يسعى للسلام (١٥٧).

فى الصفحات الأخيرة من الرواية، عندما قررت الانفصال عن زوجها (رغم أنه زوج مثالي) فإنها ترى التوأم العربى فى أحلام يقظتها ومعهما صندوق متفجرات وأجهزة تفجير ورشاشات محشوة ومصوبة ومسحوب منها زناد الأمان. رغم ذلك فإن الخطر فى هذا الكابوس لازال مشوشا فتقول "أصابع تلتمس طريقها إلى الزناد، تجمعات صراصير مختبئة، فجأة يدوى انفجار مروع. وهج من الضياء فى الأفق الغربي. بقايا أصداء منخفضة تجلجل فى كهوف الجبل على وجه الأودية ندى ثقيل. نجمة. كتل من الجبال الصماء. ريح هادئة تلامس وتداعب أشجار الصنوبر. الأفق البعيد يصير باهتا ببطء. وعلى الوادى الفسيح تهبط سكينة باردة (من ص ١٩٤ – ١٩٦) وحنة إذا كانت ترى التوأم العربى فى أحلامها الكابوسية وهما ينقضان عليها، فإنها ترى أيضاً سائق التاكسى الإسرائيلى (رحاميم رحيمون) وهو يطوق خاصرتها كإنسان همجى متوحش (١٣٨) أى أن إحساسها بالخطر نابع من إحساس عام بتركيبة المجتمع الإسرائيلي، فهى ترى أن مدينة القدس "أوهام وليست مدينة" (٢٤) والقدس "مدينة تبعث على الحزن. فى كل ساعة وفى كل موسم تثير القدس حزنا مختلفا" (٦٣) والقدس قلعة أشباح يسكنها أصحاب الأرواح الشريرة (٨٢) وتقول أيضاً "من الذى بإمكانه أن يستوطن القدس..؟ أتساءل أنا. حتى ولو عاش هنا مائة عام. إنها مدينة الأقبية المغلقة. مخنوقة خلف جدران كئيبة. تعلوها قطع زجاج مكسور. حاد. لا قدس. بل فتات متساقط عمدا كى يضلل الأبرياء. قشور داخلها قشور. إننى أسجل هنا أننى من مواليد القدس. أما أن القدس مدينتي، فهذه لا استطيع أن اكتبها" (٨٤، ٨٥) وأكثر من ذلك قالت "كانت القدس بعيدة ولم تستطع أن تتعقب آثاري، ربما تحولت فى النهاية إلى غبار، فهى تستحق. لم أحب القدس من بعيد. أضمرت لى الشر. أردت لها سوءا" (١٩٢).

إن شخصية حنة من الشخصيات المهمة فى الأدب العالمي، والكاتب برع فى تضفير همومها الخاصة بالهم العام. فهى مشغولة بفلسفة الوجود وتسأل زوجها "من أجل ماذا نعيش..؟ قل لى من فضلك يا ميخائيل" (١٧٨) وهى تعترض على زوجها عندما تلاحظ أنه يردد كلمات محفوظة عن أبيه فتقول له "إن أباك هو الذى يتحدث الآن من حلقك" عندما يرد عليها "لم أفكر فى ذلك. لكن الأمر ممكن وطبيعي. فأنا ابن أبي" ولكنها ترفض منطقه فتقول "الفظيع ليس فى أنك ابن أبيك الفظيع أن أباك يبدأ الحديث فجأة من حلقك، وجدك زالمان وجدى وأبى وأمي، وبعدنا يكون يائير (ابنها) كلنا كأننا نتعاقب شخصا إثر شخص. كلنا مسودات نسخة جديدة تظهر بعد الأخرى مسودة طبق الأصل. بعد أن تتلف بالكرمشة تلقى فى سلة المهملات. وتظهر مسودة أخرى بتغيير بسيط. يا له من انعدام للجدوى. يا له من فتور يا لها من نكتة سخيفة" (١٨١) حنة ترفض أن يكون مجتمعها نسخ كربونية. لذلك يتفهم القارئ هواجسها وكوابيسها عن الذين يهددون حياتها تخشى من التوأم العربى ومع ذلك تحن لطفولتها معهما، وتتمنى أن ينضما إلى العرب المناصرين للسلام تعشق الحياة بطريقتها الخاصة، لذلك كان الكاتب موفقا وهو يقدمها فى السطور الأولى من الرواية وهى تقول "أكتب لأن أناسا أحبهم قد ماتوا. أكتب لأننى حين كنت صبية كانت لدى القدرة على الحب. أما الآن فإن قدرتى على الحب تموت. أنا لا أريد أن أموت" (١٩).

❖❖❖

الدفاع عن بقاء دولة إسرائيل رغم اختلاف التيارات السياسية والثقافية، الدعوة إلى السلام، إدانة الأصوليين اليهود، الصراع بين الأصوليين والعلمانيين هذه المحاور

التى تناولتها الرواية هى أيضاً مواقف الكاتب الذى قال للناقد الأمريكى (دافيد سباتر): "على السطح فى إسرائيل هناك ثقة فى النفس هائلة، رصيد ضخم من اللامبالاة، ومن إجابات سخيفة تدور فى أى ذهن وتتمثل فى "لا تنزعج نحن نستطيع أن نحل كل شيء. ونتغلب على كل صعوبة، ولكن هذه الثقة تطفح على السطح فقط، بينما فى العمق، وفى داخل طيات الضمير والعقلية الإسرائيلية، هناك شعور قديم بالفزع اليهودى التقليدى. هذا الفزع يبرهن عن نفسه فى الشعور بالذنب تجاه العرب، ويؤدى فى حالة بطلة هذه الرواية إلى نزوات انتقامية" وفى حديث آخر سأله أحد النقاد الأمريكيين: هل لازال يأمل أن دولة علمانية ديموقراطية تستطيع البقاء فى إسرائيل..؟ فقال "التطرف الدينى والتعصب حقق ارتفاعا هائلا. ليس فقط فى القدس، ولكن فى أماكن كثيرة أخرى من العالم تحت سيطرة الإسلام، المسيحية وبالتأكيد اليهودية. سيؤدى ذلك إلى سيطرة الدينيين الأصوليين على القدس، إننى لن اعتبر موجة التطرف الدينى فى إسرائيل ظاهرة عابرة إنها ثابتة وقائمة".

وعاموس عوز مؤلف الرواية عضو فى حركة السلام الآن. وعضو فى لجنة السلام الفلسطينية الإسرائيلية ومع إقامة الدولة الفلسطينية. وخلال الاعتداء على لبنان عام ١٩٨٢ قاد مظاهرة ضد مناحم بيجين رئيس الوزراء الأسبق مذكرا إياه أن هتلر قد مات، ونشر قصة قصيرة فى مجلة اليوم السابع تدور حول أم تشعر أن احتلال القدس فى حرب عام ١٩٦٧ يساوى إصبعا واحدا من أصابع ابنها الذى فقدته فى تلك الحرب (من مقدمة المترجم من ص ١١ - ١٥).

❖❖❖

تبقى ملحوظة خاصة بالمترجم: فإذ كان ابن ميخائيل عندما سمع قصة خروج اليهود من مصر "كان لديه اعتراض منمق على أقوال التوراة" وإذا كان من حق أى مترجم التعليق على أية أخطاء تتعارض مع لغة العلم، وهو ما فعله العديد من المترجمين، لذلك كنت أتوقع من مترجم رواية (حنة وميخائيل) أن يستشهد بأقوال العلماء الذين فندوا افتراءات بنى إسرائيل ضد أجدادنا المصريين القدماء، أمثال جيمس فريزر الذى نفى أن يكون قد صدر أمر من أحد الفراعنة بطرح كل أطفال العبريين فى الماء (٢). أو سيجموند فرويد الذى كتب أن القصة التى ترويها التوراة عن موسى والخروج ليست أكثر من أسطورة دينية (٣). أو د. محمد بيرمى مهران الذى كتب "انتهت الأمور باليهود أن نسوا لمصر أنها أطعمتهم من جوع، وآوتهم من تشرد، فردوا لها الجميل نكرانا، وكانوا عليها للفرس أعوانا وفى حاميتهم جنودا. وهم أعوان الهكسوس وخونة وجواسيس وأذناب لأعداء البلاد" (٤) وكتب شفيق مقار أن اليهود كانوا رعاة رحل جياع تسللوا عبر حدود مصر ليأكلوا وينهبوا (٥) وكتب جورج هربرت ويلز "أن قصة استيطان بنى إسرائيل مصر واستعبادهم فيها وخروجهم منها قصة صعبة التصديق للغاية. ففى تاريخ مصر ذكر لأقوام من الرعاة الساميين سُمح لهم بالإقامة فى أرض جاسان (محافظة الشرقية حاليا) بإذن من الفرعون رمسيس الثانى. وفى هذا السياق قال التاريخ أن من جعل أولئك الناس يلجأون إلى مصر كان الجوع، إلا أنه لا ذكر هناك إطلاقا فى أى شيء مما سجله تاريخ مصر لشخص اسمه موسى، أو أى ذكر لسيرته، كما أنه لا ذكر هناك لأية ضربات أو كوارث طبيعية حلت بمصر أو لأى فرعون غرق هو وجنوده فى البحر الأحمر" (٦).

لم يقدم مترجم الرواية هذه الخدمة لقارئه، وإنما اكتفى فى الهامش رقم (٤١) بأن لخص قصة الخروج كما وردت فى سفر الخروج. ولازال الألم يعتصرنى وأنا أقرأ فى الرواية على لسان أصولى يهودى "فى هذا الوقت قواتنا تطارد جيش فرعون الهارب. والبحر لم ينغلق لمجرمى مصر" (ص١٥٥) واستدعيت كل قراءاتى فى علم النفس لأعرف الحالة الشعورية للمترجم وهو يترجم افتراءات بنى إسرائيل ضد أجدادنا المصريين القدماء وضد المصريين المعاصرين. طبعا فشلت محاولتى واستبعدت أن يكون المترجم من المؤمنين بالتراث العبرانى المعادى للحضارة المصرية، ولكن آلمنى أكثر أن المترجم قرأ العهد القديم. فكيف لم يكتشف أن المجرمين الحقيقيين من واقع معظم أسفارا العهد القديم هم اليهود، وبالتالى كانت أمامه فرصة للرد على أكاذيب الأصوليين اليهود من واقع كتابهم الذى يقدسونه وكمثال واحد فإن إله العبرانيين يُحرض بنى إسرائيل على سرقة المصريين فيقول لهم "حينما تمضون أنكم لا تمضون فارغين، بل تطلب كل امرأة من جارتها ومن نزيلة بيتها أمتعة فضة وأمتعة ذهب وثيابا وتضعونها على بنيكم وبناتكم فتسلبون المصريين" (الخروج ٣: ١٨ - ٢٢) وأكثر من ذلك فإن هذا الإله العبرانى ينزل بنفسه فى منتصف الليل ليقتل كل بكر فى أرض مصر (الخروج ١١: ٤-٧).

الهوامش:

١- ترجمة رفعت فوده. الناشر: الدار العربية للطباعة والنشر والتوزيع ط١ عام ١٩٩٤ .

٢- الفولكلور فى العهد القديم ترجمة د. نبيلة إبراهيم - هيئة الكتاب المصرية عام ١٩٧٤ - ج ٢ ص ١٢ .

٣- موسى والتوحيد ترجمة د. عبد المنعم الحفنى - ص ٨٤، ١٠٩، ١٣٥ .

٤- تاريخ الشرق الأدنى القديم - ج ٣ ص ٣٢٥، ٣٨٤ .

٥- قراءة سياسية للتوراة، الناشر: رياض الريس للكتب والنشر ص ٩٢ .

٦- نقلا عن شفيق مقار، المصدر السابق ص ٣١١ .

مصطلحات عبرية

إعداد: وحدة الترجمة

١- بلوجوت هاليلا هاميو حدوت - السرايا الليلية الخاصة:

وحدات كوماندو خاصة، تشكلت لمحاربة المجموعات العربية المسلحة، التى عملت خلال الفترة ما بين ١٩٣٦ و١٩٣٩، وقد سُميت بالإنجليزية Special Night Squadsوقد أقام هذه السرايا وقادها الضابط الإنجليزى "تشالرز أورد فينجيت"، الذى كان من أشد مؤيدى المشروع الصهيونى وحظى بلقب "الصديق".

عمل فى السرايا الليلية جنود بريطانيون ومتطوعون يهود من أعضاء منظمة "الهاجاناه". وقد خاضت هذه السرايا معارك غير عادية ضد العصابات وحظيت بنجاح كبير. وبعد اشتداد حدة الخط البريطانى المناوئ للصهيونية ولمشروع بعث اليهود فى فلسطين، طرِّد فينجيت من فلسطين وكُتب فى سجل خدمته العسكرية أنه ممنوع من دخول فلسطين. وقد قتل فى جبهة "بورما" فى الحرب العالمية الثانية. وقد تم حل السرايا الليلية فى يوليو من عام ١٩٣٩ .

٢- بلوجوت ساديه - سرايا ميدان:

وحدات تشكلت عام ١٩٣٧ فى إطار منظمة "الهاجاناه" لمحاربة المجموعات العربية المسلحة، وسُميت باختصار "بوش".. وهذه الوحدات تطورت عام ١٩٣٨ إلى قوة قطرية أخذت على عاتقها حماية مناطق استيطان مختلفة.

كان الجديد فى عمل هذه الوحدات هو الخروج من مجال المستعمرات إلى الميدان لاستقبال العصابات العربية فى المناطق الواقعة خارج حدود المستعمرات.

٣- تشيلينوف/ يحيئيل:

هو أحد زعماء الصهاينة فى روسيا والهستدروت الصهيونية العالمية. وُلد فى روسيا عام ١٨٦٣، ونشط منذ شبابه فى حركة هواة صهيون، وكان من بين مؤسسى نقابة الطلبة (بنى صهيون) فى وارسو. كما عمل عضوا فى اللجنة التنفيذية الصهيونية للهستدروت الصهيونية العالمية، وكان أحد زعماء معارضى مشروع أوغندا.. وفى عام ١٩١٣، اختير نائبا لرئيس الإدارة الصهيونية العالمية.

توفى فى لندن عام ١٩١٨ ونُقلت رفاته ودُفنت فى المقبرة القديمة فى تل أبيب. وقد أطلق اسمه على مستعمرة زراعية فى الجنوب اسمها "تلمى يحيئيل"، وكذلك على أحياء وشوارع فى بعض المدن الإسرائيلية.

٤- ربانوت راشيت - حاخامية رئيسية:

أعلى مؤسسة حاخامية لليهود فى أرض إسرائيل "فلسطين". أقيمت عام ١٩٢١ بموجب نظام الكنيست الإسرائيلى الذى وُضع إبان عهد الانتداب البريطانى على فلسطين. ويرأس الحاخامية الرئيسية حاخامان: أحدهما أشكنازي، ويمثل الطوائف اليهودية الغربية، والآخر سفاردى يمثل الطوائف اليهودية الشرقية. وقد كان الحاخام الرئيس السفاردى يُسمى أيضاً "هارتشون لتسيون"، بحكم التقليد الذى كان سائدا إبان الحكم العثماني.

ويضم مجلس الحاخامية ثمانية حاخامات، نصفهم من الأشكناز والنصف الآخر من السفارديم. وهذا المجلس يُنتخب لفترة مدتها خمس سنوات. يعتبر المجلس أيضاً بمثابة "المحكمة العليا للاستئناف"، والتى مهمتها مناقشة القرارات الصادرة عن المحاكم الدينية المركزية.

الصحف الرئيسية فى إسرائيل

م	اسم الصحيفة	معناها باللغة العربية	تاريخ التأسيس	الجهة المؤسسة	أعداد التوزيع
١	يديعوت أحرونوت (يومية)	آخر الأخبار	١٩٣٩	ملكية خاصة لعائلة موزيس الإعلامية	الصحيفة الأكثر توزيعاً فى إسرائيل إذ يقرأها حوالى ثلثى قراء الصحف العبرية، حيث توزع ٣٠٠ ألف نسخة يومياً و٦٠٠ ألف نسخة للعدد الأسبوعى (الجمعة)
٢	هاأرتس (يومية)	الأرض	١٩١٩	مالكة هذه الصحيفة هى كتلة الإعلام "شوكين"	العدد اليومى (٦٥ ألف نسخة) العدد الأسبوعى (٧٥ ألف نسخة)
٣	معاريف (يومية)	صلاة الغروب	١٩٤٨	ملكية خاصة لعائلة نمرودى الإعلامية	العدد اليومى (١٦٠ ألف نسخة) لعدد الأسبوعى (٢٧٠ ألف نسخة)
٤	هاتسوفيه (يومية)	المراقب	١٩٣٨	المفدال (الحزب الدينى القومى)	العدد اليومى (٦٠ ألف نسخة)
٥	جيروزاليم بوست (يومية)	بريد القدس	١٩٣٢	ملكية خاصة لمجموعة جريشون أجررون	العدد اليومى (٣٠ ألف نسخة) العدد الأسبوعى (٥٠ ألف نسخة) (توزع يوميا طبعة دولية فى أمريكا الشمالية وطبعة أسبوعية باللغة الفرنسية فى أوروبا)
٦	جلوبس (يومية اقتصادية)	–	١٩٨٣	شركة "جلوبس لتونوت للنشر" التى تمتلكها مجموعة مونتين	٤٠ ألف نسخة
٧	هاموديع (يومية)	المخبر–	–	حزب أجودات يسرائيل	العدد اليومى (٢٥ ألف نسخة) توزع نسخة أسبوعية باللغة الإنجليزية

رقم الإيداع ٢٠٠٦٣ / ٢٠٠٣
الترقيم الدولى I.S.B.N. 977 - 227 -229 - 6





النشاط والأهداف

انشئ المركز فى عام ١٩٦٨ كمركز علمى مستقل يعمل فى إطار مؤسسة الاهرام لدراسة الصهيونية والمجتمع الاسرائيلى والقضية الفلسطينية، ثم امتد اختصاصه الى دراسة الموضوعات السياسية والاستراتيجية بصورة متكاملة. ويسعى المركز من خلال نشاطه الى نشر الوعى العلمى بالقضايا الاستراتيجية العالمية والاقليمية والمحلية، بهدف تنوير الرأى العام المصرى والعربى بتلك القضايا، وأيضا بهدف ترشيد الخطاب السياسى وعملية صنع القرار فى مصر.

عضوية المركز:

يمكن الاشتراك فى عضوية المركز التى تمنح حقوق الحصول على إصدارات المركز وأوراق الندوات وملخصات لورش العمل والحلقات الفكرية التى يعقدها المركز، وتقديرات المواقف والنشرات التى يصدرها فى لحظات الأزمات، وحضور محاضرات المركز ومؤتمره السنوى، فضلاً عن تكليف المركز بأبحاث تدرج فى خطته العلمية مع تغطية العضو لتكلفتها. قيمة رسم اشتراك العضوية سنوياً (عشرة الاف جنيه للهيئة وخمسة الاف جنيه للأفراد).



مطابع الأهرام التجارية - قليوب - مصر